

الأكاديمية الإسلامية لمقارنة الأديان

آداب الطلبة

جميع المحاضرات ١ - ٧

الدكتور
محمد حسني

المستوى التمهيدي ٢٠٢٢

الفهرس

٥	المقدمة.....
٦	آداب طلب العلم.....
٦	تعريف آداب الطلب.....
٦	أهمية آداب الطلب.....
٧	آثار غياب آداب الطلب.....
٧	الإستهانة بالعلم والعلماء.....
٧	الغلو في الدين.....
٨	التأثير السلبي للأصدقاء.....
٨	ضياع الوقت دون الفائدة في الطلب وجهل كيفية إزالة العوائق.....
٨	الغاية من آداب الطلب.....
٩	ماذا نتعلم وفيه تتمثل المنهجية الصحيحة لطلبه؟.....
٩	الغاية من التأدب.....
٩	فضل العلم ومكانته وفوائده وثمراته.....
١٠	فضل العلم في القرآن الكريم.....
١٠	اتصاف الله ﷻ بالعلم.....
١٠	الله ﷻ هو مصدر العلم.....
١١	وصف الملائكة ﷺ بالعلم.....
١١	وصف الأنبياء ﷺ بالعلم.....
١١	وصف المؤمنين بالعلم.....
١٣	فضل العلم في السنة النبوية.....
١٤	فضل العلم في كلام السلف الصالح - رضوان الله عليهم.....
١٦	فضل العلم في كلام العلماء.....
١٧	فضل العلم في الشعر العربي.....
١٩	فوائد وثمرات طلب العلم.....
١٩	شفاء لأعراض القلب وتطهيراً للنفوس.....
١٩	تخليد الذكر والأجر بعد الموت.....
١٩	تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة.....
٢٣	فضل مجالس العلم.....
٢٥	أصول آداب طلب العلم:.....
٢٥	النية أو تجريد النية والإخلاص لله ﷻ:.....
٢٦	تعريف النية.....
٢٦	فوائد النية.....
٣٢	أهمية النية.....
٣٣	أقوال العلماء في أهمية إخلاص النية في طلب العلم.....

- ٣٦..... التجرد في إتباع الحق وقبول النقد البناء والإذعان لتصحيح الخطأ
- ٤٠..... الأصول التي يحتاجها طالب العلم
- ٤٠..... آداب طالب العلم في نفسه (السمات الشخصية)
- ٤٠..... العمل بالعلم
- ٤٢..... مظاهر العمل بالعلم
- ٤٥..... الإعتناء بتزكية النفس في طلب العلم
- ٤٧..... كيف تتخلص من الصفات المذمومة؟
- ٥٠..... التواضع في طلب العلم وتعليمه
- ٥٢..... العزة
- ٥٤..... الصبر في طلب العلم
- ٥٩..... الهمة
- ٥٩..... تعريف الهمة
- ٥٩..... التأصيل الشرعي لكلمة الهمة
- ٦٣..... أقوال العلماء في علو الهمة
- ٦٨..... نماذج من علو الهمة في الطلب
- ٦٨..... الأنبياء ﷺ
- ٦٨..... الصحابة رضوان الله عليهم
- ٦٨..... معاذ بن جبل رضي الله عنه
- ٦٩..... أبو هريرة رضي الله عنه
- ٧٠..... العلماء
- ٧٠..... أحمد بن حنبل
- ٧٠..... سفيان الثوري
- ٧١..... ثعلب النحوي
- ٧١..... أبو حاتم
- ٧٢..... الخليل بن أحمد
- ٧٢..... عثمان الباقلاني
- ٧٢..... ابن الجوزي
- ٧٣..... الإمام أبو يوسف
- ٧٤..... سبل علو الهمة
- ٧٤..... القراءة في سير السابقين
- ٧٤..... مصاحبة أصحاب الهمم
- ٧٥..... حضور مجالس العلم والتواصل مع العلماء
- ٧٨..... المرأة و فضل العلم وطلبه و علو الهمة
- ٧٨..... التسوية بين المرأة والرجل في العمل الصالح
- ٧٩..... في مدح تعلم المرأة
- ٧٩..... ثناء النبي على من علم المرأة أو تسبب في تعليمها
- ٧٩..... تجربة شخصية للدكتور محمد بعنوان المرأة بين المسيحية و الإسلام

- ٨٠ أمثلة من عالمات الأمة الإسلامية
- ٨٠ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- ٨١ عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري
- ٨١ حفصة بنت سيرين
- ٨١ بنت سعيد بن المسيب
- ٨٢ بنت الإمام مالك
- ٨٢ زوجة الإمام الكسائي
- ٨٢ فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية
- ٨٣ فاطمة بنت محمد التنوخية
- ٨٣ نضار بنت أبي حيان الأندلسي
- ٨٣ امرأة تعلم زوجها
- ٨٤ صفات طالب العلم المسلم
- ٨٤ الصدق والأمانة
- ٨٤ الصدق قبل العلم
- ٨٤ الأمانة
- ٨٤ أمثلة للتطبيق العملي لأمانة النقل عند العلماء
- ٨٦ اغتنام الأوقات في الدراسة والتَّحصيل
- ٨٦ مسألة قيمة الزمن وأهميتها في القرآن والسنة
- ٨٦ مسألة قيمة الزمن
- ٨٧ أهمية الزمن في القرآن والسنة
- ٨٧ أمثلة لحرص العلماء على تسخير حياتهم للعلم
- ٨٩ قصة طريفة في تقدير العلماء للعلم و الوقت
- ٨٩ الزمن في أعين الصالحين: ابن الجوزي مثالا
- ٩٠ تجنب الصحبة المضیعة للوقت
- ٩٢ الآداب التي تتعلق بمجلس العلم
- ٩٢ الحرص على الحضور والإبكار فيه
- ٩٢ حسن الإنصات
- ٩٢ عدم قطع المتحدث على حديثه
- ٩٢ عدم التفريق بين جالسين
- ٩٢ السؤال والإستفسار
- ٩٢ تقييد المعلومة وكتابتها حتى يتسنى له أن يراجعها
- ٩٤ مسألة الكتابة في الدرس
- ٩٤ السؤال
- ٩٤ الحرص على الاستزادة من طلب العلم
- ٩٥ التفريق بين سؤال المتعلم وسؤال المتعنت
- ٩٧ الآداب المتعلقة بمنهجية الطلب والمعينة على تحصيل العلم
- ٩٧ مسألة الحفظ
- ٩٩ التأمل والفهم والتكرار والمذاكرة

- ١٠٠.....الاعتناء بالكتاب
- ١٠٠.....الاستمرار والمواظبة
- ١٠٠.....التدرج في الطلب ومراعاة المنهجية
- ١٠٣.....آداب متعلقة بالتعليم والتدريس
- ١٠٣.....الحرص على بذل العلم وتعليمه
- ١٠٣.....الحرص على بذل العلم وتعليمه
- ١٠٤.....عدم ترك قول لا أدري
- ١٠٥.....الصبر على المتعلمين
- ١٠٦.....محادثة الناس على قدر عقولهم
- ١٠٦.....الشيء الذي نفتقده
- ١٠٦.....الإنصاف مع المخالف
- ١٠٧.....عدم الطعن في الآخرين
- ١٠٨.....ثمرة المادة
- ١٠٨.....معرفة الغاية والثبات عليها
- ١٠٩.....البعد عن المزالق والمعوقات
- ١١٠.....العناية بوسائل التحصيل وأدواته
- ١١١.....الحذر من الإلتفات والإفتتان بالدنيا
- ١١٣.....البعد عن الراحة والدعة
- ١١٧.....أسئلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على ترادف نعمائك، وتتابع ألائك، حمداً يُديم لأهل الإيمان أفوايق النعماء، وينيم عنهم أهويل البلاء، ويليق بجلال ذي الجلال والإكرام، لا نحصي ثناءً عليك ربنا، أنت كما أثنت على نفسك، فيا رب إن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، بلِّغ الرسالة وأدِّ الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله ﷺ به الغمة، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يسير في دربها إلا سالك، اللهم صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين

الحمد لله حمداً طاب وانتشر	على ترادف جود في الوجود سرى
حمداً كثيراً به أرقى لحضرته	على منابر أنس أبلغ الوطرا
ثم الصلاة وتسليم المهيمن ما	هب الصبا فأدر العارض المطرا
على الذي شاد ببيان الهدى فسمما	وساد كل الوري فخرا وما افتخرا
نبينا أحمد الهادي وعترته	صحبه كل من أوى ومن نصرا
وبعد فالعلم لم يظفر به أحدٌ	إلا سَمًا وبأسباب العلى ظفرا
لا سيما أصل علم الدين إن به	سعادة العبد والمنجى إذا حُشرا ^١

بادئ ذي بدء، نعوذ بالله أن أتكلف ما لا أحسن أو أماري في الحق أو أجادل عن الباطل أو أتخذ الدين بضاعة أو العلم صناعة، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد، بداية أرحب بوصية رسول الله ﷺ كما جاء عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال (سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلمَ فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً مرحباً بوصية رسول الله ﷺ وأفنوهم فلت للحكم ما أفنوهم قال علموهم)^٢

نجتمع في مجلس من مجالس العلم، وروضة من رياض الذكر، نجدد فيها النية أن تكون خالصة لوجه الله ﷻ، ونُكثِر فيها النية أن نعصم أنفسنا من مجالس اللهو، ومن تضييع العمر في غير فائدة، ومن رفع الجهل عن أنفسنا، ولدعوة غيرنا، نُكثِر من نوايا العلم الصالحة

١ عقيدة ابن أبي زيد كما نظمها الشيخ أحمد بن مشرف الأحساني المالكي المتوفى سنة (١٢٨٥) هـ
٢ المصدر: صحيح ابن ماجه | الراوي: أبو سعيد الخدري | المحدث: الألباني | الصفحة أو الرقم (٢٠٣) | خلاصة حكم المحدث: حسن

آداب طلب العلم

تعريف آداب الطلب

هذه المادة لها جذور كبيرة جداً من القرآن والسنة و علماء السلف الصالح عليهم السلام ومفكري الإسلام، حتى أنك بنظرة فاحصة تجد أن سلسلة السند فيها متصلة، لا يخلو عالم من العلماء أو مجال من مجالات العلم أو فن من فنونه إلا وهم ينبهون على قضية آداب الطلب.

- **لغة:** كلمة الأدب لها جذر لغوي يدل على ما يتأدب به الأديب من الناس، وسمي أدبا لأنه يأدبُ الناس إلى المحامد و يدعوهم إلى المكارم، إلى حسن التعامل، إلى حسن الخصال، ينهاهم عن القبيح، رياضة للنفس وتحسين للأخلاق حتى يُخرج منها كل فضيلة.
- **اصطلاحاً:** الطلب هو الإرادة والمحاولة والرغبة، والمقصود بالعنوان: الصفات الأخلاقية والنفسية التي يجب أن يتصف بها العالم والمتعلم وطريقة التعليم، هذه الصفات تمثل المعيار لشخصية طالب العلم والعالم تحملاً وأداءً.

وقد سلطت الضوء على كلمة موثيق الشرف أو أخلاقيات المهنة، مثال ذلك الإعلاميون حين يتحدثون عن موثيق الشرف الإعلامي، كالصدق والأمانة في نقل الخبر وهم لا يعملون بها، فافتقدوا مصداقيتهم و أخلاقيات المهنة، أو كالطبيب صاحب الرسالة، والمعلم كذلك، وهكذا فطالب العلم أيضاً له سمات معينة، إذا لم تكن فيه هذه السمات فهو ليس بطالب علم عند علماء السلف ومن سار على دربهم.

فإذا طبقنا ذلك على أنفسنا، هل نصبر على طلب العلم؟ هل عندنا همة في طلب العلم؟ هل نحترم العالم؟ هل توجد طريقة منهجية في الطلب؟

اسأل نفسك هذه الأسئلة، إذا أجبت بنعم، إذن أنت على الجادة والطريق المستقيم، أنت على الميزان الصحيح، هذا المعيار وهذا الميزان الذي توزن به.

أهمية آداب الطلب

قد يعتقد البعض أنها معلومات عامة مشهورة فلا حاجة للحديث عن آداب الطلب، إلا أنه من ينظر نظرة سريعة عاجلة على الذين ينتسبون إلى العلم أو أديانهم -أنا أقول أديانهم لأن الدعوى "إن لم تقم عليها بينات فدعاتها أديانهم" يعني أنت معك دعوة، إذا لم تقدم الدليل عليها فهذا يعتبر أنك دعيّ وليس صاحب قضية- فنجد أن هذه

الأصول من أصول الطلب غير موجودة في الكثير حتى لا نعمم لأن التعميم من العمى، غير موجودة يفتقدها طالب العلم ويفتقدها من يزعم أنه عالم، يفتقد الإنصاف يفتقد الرحمة والرفق بالمتعلمين والصبر عليهم، [البعض وليس الجميع].

وكذلك طالب العلم لا يوجد عنده صبر على الطلب ولا محاولة لإزالة عوائق الطلب، بل يغلب على أمره ولا يوجد عنده منهجية في الطلب، فبذلك تكون الأخلاق والسمات النفسية التي تُكوّن طالب العلم ليست موجودة.

فعندما أقول لماذا الحديث عن آداب الطلب؟ لأنها الأصول التي يبني عليها العلم، و"من ضيع الأصول حُرِم الوصول"، وأنا قلت تظهر أهمية المادة من خلال أمرين، أمر إيجابي الوجوب، وأمر سلبي الانتفاع.:

فإذا قلنا أثر وجود هذه المادة في حياة الطالب من حيث الجانب التطبيقي مثل الإقبال على العلم، وعلو الهمة، وحسن التعامل مع الشيخ، الرحمة بالمتعلم والرفق بهم، الصبر على المعوقات، التزام المنهجية... هذه المفردات تمثل الجانب الأخلاقي في البحث الإسلامي الذي يُغفل عنه في الجانب الغربي، لأنهم يطلبون العلم لأجل العلم فهم يقدسونه مثل العلمية -وهذه أصبحت تعتبر ديانة عندهم فأصبح العلم ديناً يُدان به- ولكن نحن عندنا العلم يجب أن يكون له شروط، فثوابت الدين منطقة مقدسة لا أعمال للعقل فيها. فأنت تتطلق من رسالة القيم الإسلامية، فإذا فقدت هذا، إذا أنت فقدت الهوية، وفقدت السمة التي تتميز بها عن غيرك [هذا بالنسبة إلى جانب الوجوب].

آثار غياب آداب الطلب

الإستهانة بالعلم والعلماء

سنتكون هناك استهانة بالعلم والعلماء، ولا نعرف مكانتهم، وعندما لا نُعرف مكانة العلماء والعلم يترتب عليه الحرمان من العلم وفنور الهمة.

الغلو في الدين

كذلك في الغلو في الدين والانحراف في الفهم سواء في جانب الإفراط أو في جانب التفريط، كلاهما لغياب المنهجية العلمية وعدم وجود قواعد وضوابط تعصم الفهم عن الخطأ، مثل وجود شبهات عند بعض الناس، وهذا بسبب عدم جمعه كل النصوص التي وردت في الباب، وهذا يسمى إجتزاء، فلم يرجع لنظرية السياق، سواء سياق داخلي أو سياق خارجي، ولم يرجع للدلالات مثل الدلالة اللغوية أو الدلالة الشرعية أو الدلالة العرفية...

فتجد أنه إما غلى في الدين وبدأ يجتزئ من النصوص، مثلما فعلت الخوارج وقوعا في الفهم، أن قالوا "لا حكم إلا الله إن الحكم إلا لله، معاوية حكم الرجال في دين الله فكفر، علي قبل التحكيم فكفروا، الصحابة رضوا بذلك إذا كفروا" فتكلموا بنص قرآني ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، ولكن هؤلاء غاب عنهم الفهم، فلم يكن عندهم منهجية في الفهم.

التأثير السلبي للأصدقاء

إذا لم يكونوا على نفس المستوي من الإهتمام لطلب العلم.

إذا لم يكن عندك منهجية، فاعلم أن صاحب ساحب، ابن الجوزي رحمه الله يقول: "اعلم أن طبع الإنسان لص يسرق"^٣ انتهى. وأبو حامد الغزالي يقول: "مصاحبة الكريم تُحرك الكرم"^٤ انتهى وأيضاً يقول: "مصاحبة الحريص تحرك الحرص" انتهى

وذلك سيأتي التنبيه عليه أنه من منهجية طالب العلم أن يحرص على ملازمة الصديق الصدوق، فصديقك هو الذي يحرص على مصلحتك، فعندما تغيب عنك آداب طالب العلم، تصاحب أي أحد، وتندم في النهاية، وتعض يد الندم، فقال رحمه الله ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]

ضياع الوقت دون الفائدة في الطلب وجهل كيفية إزالة العوائق

فالتطلب لم يعرف بم يبدأ؟ وكيف يبدا؟ الطريقة المثلى للتلقي؟ وعدم معرفة إزالة المعوقات والصوارف التي تنصرف الإنسان عن العلم.

الغاية من آداب الطلب

- ترفع عن نفسك الجهل
- تعمل بهذا العلم
- تدعو إليه
- تعلم على بصيرة
- تصحح النية وهذا أول مقصود من مقاصد الطلب وسنتحدث عنه في المرة القادمة

^٣ صيد الخاطر، ابن الجوزي (٤٠٦)
^٤ تذكير الأنام بسنن وآداب الصيام، أبو حامد الغزالي، ص(١٠٨)

ماذا نتعلم وفيه تتمثل المنهجية الصحيحة لطلبه؟

يجب أن نتعلم أولاً ما لا يسع المسلم جهله، فمثلاً إنسان ذاهب للحج ولا يعلم فقه الحج أو يكون بائعاً يبيع ويشترى وليس عنده فقه البيع والشراء، أو عند الصوم لا يكون عنده فقه مبطلات الصيام ومفسداته ومستحباته وفضائله. فيجب إذن تقديم الأولويات في مسألة الطلب، ونحن في ذلك نسير على طريقة علماء الأمة الذين اعتادوا أن ينبهوا على جملة الآداب التي ينبغي على طالب العلم أن يلتزم بها سواء كان ذلك في مفتاح كتبهم أو غيره. قال ابن المبارك: قال لي مخلد ابن الحسين: "نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث"^٥ انتهى. يعني نحن نحتاج إلى تفعيل قيمة الأدب حتى لا يكون إنساناً ناقلاً لنصوص لا غير. وأعجبنى قول الشيخ محمد الغزالي عندما قال له أحدهم: حفظت القرآن، فقال الشيخ: "ازدادت عدد المصاحف نسخة" انتهى - ونحن نريد من يفهم القرآن ويعمل بالقرآن-. حيث ذكر الإمام الذهبي رحمه الله: أنه "في مجلس الإمام أحمد كان يجتمع فيه زهاء خمسة آلاف، فكانوا خمسمائة يكتبون، والباقيون يتعلمون منه الأدب والسمت."^٦ انتهى

الغاية من التأدب

إذا لم تعرف قدر الذي تقبل عليه، يصعب عليك جملة الآداب. فإذا، قبل التنبيه على جملة الآداب، لابد أن نبين فضل العلم وشرفه وأهميته للإقبال عليه حتى يعلم الطالب مكانة الشيء الذي يتأدب من أجله. قال برهان الدين الزرنوجي في تعليم المتعلم: "واعلم أن الكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله، فينبغي أن يُتعب نفسه على التخصيل والجد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم"^٧ انتهى. فالإنسان يجب أن يتأمل في فضائل العلم لأنها تبعث على النشاط.

فضل العلم ومكانته وفوائده وثمراته

فضائل العلم جاء منصوص عليها في كتاب الله ﷺ بما يشمل أطراف العملية التعليمية (العالم - المتعلم - العلم - الوسيلة) جاء ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف وكلام العلماء والدعاة الي الله ... وأعطيك نماذج على سبيل المثال وليس الحصر.

٥ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي (٨٠/١)

٦ سير أعلام النبلاء (٣١٦)

٧ موارد الظمان لدروس الزمان - قصيدة لابن مشرف (١٦٧)

فضل العلم في القرآن الكريم

كلمة العلم ومشتقاته وردت أكثر من ثمانمائة مرة في القرآن الكريم.

وأنا أقول: أتحدى أي مصدر من مصادر الديانات والأفكار البشرية أن يكون فيه كلمة العلم ومشتقاته أكثر من ثمانمائة مرة. فالدعاية الرخيصة الآن يريدون أن يوهموا الناس أن الدين ضد العلم، يعني يريدون أن يقولوا: الدين حليف التخلف والكفر حليف العلم، لذلك وضعوا العلمانية في مواجهة الإسلام. فالعلم في الإسلام له ضوابط، والإسلام أشار إشارات علمية في موضوعات العلم عموماً، إذا كان هذا يخص الجانب النظري من الديانات والعقائد والأخطاء والشبهات ومناقشتها، أو ما يخص جانب الكون مثل البحار والأشجار والرياح والجبال...

اتصاف الله ﷻ بالعلم

في القرآن الكريم:- الله ﷻ يتصف بالعلم وفي عقيدة أهل السنة:- لا يوصف الله إلا بكل كمال وجلال وجمال، فصفاة النقص تستحيل على الله ﷻ جملة وتفصيلاً، فقد قال تعالى ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال أيضاً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] وكذلك ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] و﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الله ﷻ هو مصدر العلم

قال ﷻ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال أيضاً ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] وكذلك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [سبا: ١٠]. وهنا بُعد تعبدي أنه إذا أردت أن تطلب العلم فلا بد أن تطلبه من الله ﷻ. مثلما كان الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: "ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول: يا معلم إبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني"^٨ انتهى -فهذا محرك لا ينبغي أن يغيب عن طالب العلم المسلم أن يطلب من الله ﷻ أن يعلمه- .

٨ غاية الأمان في الرد على النبهاني - الطبعة الأولى (٢٠٤/٢)

وصف الملائكة ﷺ بالعلم

وصف الملائكة بالعلم فأنت بهذا تتصف بصفات تشارك فيها الله ﷻ. تشارك فيها الملائكة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار ٩: ١٣]

وصف الأنبياء ﷺ بالعلم

وصف الأنبياء بالعلم وفضلهم بذلك وعلم آدم الأسماء هذه محفزات و تنشيط لجانب العلم في حق يوسف ﷺ و

في حق موسى ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ٤: ١].

وصف المؤمنين بالعلم

وصف الله المؤمنين بالعلم في قوله تعالى ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَنِيثٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

أقول كان مقتضى الكلام أن الله ﷻ ذكر فعلاً وعملاً قانت أثناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه. فكان مقتضى الكلام أي يقول "قل هل يستوي الذين يعملون و الذين لا يعملون". أنا أقول أن الله ﷻ ذكر العلم لأن العمل ما كان إلا بالعلم يعني العلم هو الذي تسبب في هذا العمل، وعمل بغير علم كيف يكون؟ لن يكون و إلا كان سيبقى عملاً فاسداً، ربنا هنا وضع لنا قيماً وضابطاً. فالقراءة عندنا والعلم "باسم ربك" قال تعالى ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق ١]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة ١٨]. ذكر مسألة الكتابة قلنا ماذا؟ ﴿وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة ٢٨٢] ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. الإشارات العلمية لموضوعات العلم فيما يخص الكون وهذا نبهنا عليه رفع قدر أهل العلم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة "للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمئة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمئة عام" انتهى.

النصوص يا أحباب لا تمر علينا مرور الكرام أنت مؤمن ومؤمن عالم، المؤمن العالم فوق المؤمن سبعمئة، فلا بد أن تعرف فضل العلم. قول الله ﷻ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨] والإمام ابن القيم عقد باب نفيس "فضل العلم والحاجة إليه وتوقف كمال العبد وشرفه عليه" في كتابه الممتع مفتاح دار السعادة، حوالي مائة وخمسين صفحة -يزيد قليلاً يقل- تأمل الإمام ابن

القيم لهذه الآية فقط، قال "وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ وَاهْلِهِ مِنْ وُجُوهِ أَحَدِهَا اسْتِشْهَادُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ وَالثَّانِي اقْتِرَانُ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ وَالثَّلَاثُ اقْتِرَانُهَا بِشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ وَالرَّابِعُ أَنَّ فِي ضَمْنِ هَذَا تَرْكِيضَهُمْ وَتَعْدِيلَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَشْهَدُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا الْعُدُولُ"^{١٠} انتهى. ظل يعدد هذه الوجوه -وجوه فضل العلم والعلماء- يا أحباب حتى ربت على المائة والخمسين -مائة وثلاثة وخمسون وجهاً بالضبط-، حيث ذكر أمور عجيبة جداً أنا أحفزكم أن تطالعوا هذا في مصدر أجيل إليه دائماً لكي يتعلم الإنسان كيف يأخذ المعلومة، من الجمال الذي أتى به الإمام ابن القيم في قول الهدهد لسليمان أحطت بما لم تحط به، ونحن نعلم أن الإحاطة هي العلم بالشيء من جميع جوانبه فقال الإمام ابن القيم: "إن سليمان لما توعد الهدهد بأن يعذبه عذاباً شديداً أو يذبحه نجا منه بالعلم. -لاحظ الجمال- و أقدم عليه في خطابه له بقوله -يعني بعلم الهدهد أقدم أن يخاطب سيدنا سليمان- قال له أحطت بما لم تحط به خيراً- يقصد خيراً الخبير الذي أتى به جنتك من سبأ بنياً يقين- وهذا الخطاب- ما الذي جرأ عليه الهدهد أن يتجرأ على ملك و نبي؟- قال إنما جراه عليه العلم"^{١١}. انتهى، و إلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم هذا تأمل من الإمام ابن القيم من ضمن الوجوه وهذا الوجه الخامس و الأربعين بعد المائة من وجوه فضل العلم التي تأملها الإمام ابن القيم في هذه الآية الكريمة، أنظر وذكر قصة طريفة قال أن أحد الأساتذة -الإمام ابن القيم يقول هذا في مفتاح دار السعادة- يقول قال له طالب أنا اعلم بهذه المسألة فغضب منه و عنفه فرد الطالب عليه قائلاً الهدهد قال لسليمان أحطت بما لم تحط به، ولست أنت أعلم من سليمان ولا أنا أقل من الهدهد و مع ذلك لم يعنفه ولم يوبخه، الإمام ابن القيم ذكر هذه القصة بعد هذه الإشارة التي تدل على فضل العلم.

من ضمن الوجوه أيضاً و هذا الوجه الثالث و الثلاثين رفع قدر المتعلم ولو كان كلباً، الإمام ابن القيم "أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ جَعَلَ صَيْدَ الْكَلْبِ الْجَاهِلِ مَيْتَةً يَحْرُمُ أَكْلُهَا، وَأَبَاحَ صَيْدِ الْكَلْبِ الْمَعْلَمِ"^{١٢} انتهى و هذا من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالم و أما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم و فضله و أتى بالآية ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْوَحْيُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤] الإمام ابن القيم يعلق بعدها و يقول: "ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما كان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء"^{١٣} انتهى لولا العلم الكلب الجاهل مثل الكلب العالم لكن بالعلم حتى الكلب عندما كان عالماً الله ﷻ أحل صيده و حرم صيد الجاهل.

الإمام أبو حامد الغزالي ذكر طرفاً من الآيات، وهي كثيرة أيضاً في كتاب العلم، ذكر قال الله ﷻ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] تنبيهها على أنه اقتدر بقوة العلم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

١٠ مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة ص ٤٨

١١ مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة ص ١٧٣

١٢ مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة - طبعة عطاءات العلم (١٤٩/١)

١٣ مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة - طبعة عطاءات العلم (١٥٠/١)

أَوْثُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقْلَبُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿﴾ [الفصص: ٨٠]. وذكر أن عظم قدر الآخرة يُعلم بالعلم ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فقد كان أحد السلف إذا مر بمثل من الأمثال ولم يفهمه يبكي لأن الله ﷻ يقول ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الله ﷻ يقول ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، يقول رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله. الإمام أبي حامد ﴿وَلَقَدْ جِئْتُم بِكِتَابٍ فَصَلْتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الاعراف: ٥٣]، ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ [الاعراف: ٧]، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال في معرضه الامتنان ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣-٤] يقول "ولهذا لم يأمر الله نبيه ﷺ بالاستزادة من شيء إلا بالاستزادة من العلم فقال سبحانه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤] وهذا يدل على شرفه" وهذا التعليق للإمام القرطبي "لو كان شيء اشرف من العلم من جاه منصب المال العقار لأمر الله نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم" ^{١٤} انتهى.

فضل العلم في السنة النبوية

نأتي إلى فضل العلم في السنة النبوية حيث الأحاديث كثيرة، ولعلمكم تحفظونها، نحن فقط نذكر، لأنه أيضا من آداب الطلب التدارس، فأنت لديك معلومة والعلم إذا لم يُعلم ولم توجد فيه مُدرسة بين إثنين يُدرَس، أي يذهب ويُنسى، فنحن نذكرُ بعضنا بعضاً ونحفر ونشجع فقط. والعلم في السنة النبوية أحاديث كثيرة و أبواب كاملة في الكتب الستة عن العلم، سواء العالم أو المتعلم أو فضل العلم أو عن باب من أبواب العلم، منها ما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ^{١٥}، وابن عبد البر يقول: "بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُسْتَمِعِ الْعِلْمِ وَحَافِظِهِ وَمُبَلِّغِهِ" ^{١٦} انتهى، تخيل أنه حتى المستمع النبي ﷺ يدعو له وللحافظ للعلم والمبلغ له، بمعنى أنك مع العلم تكون في خير عميم، عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأًا سَمِعَ مِنْهَا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ وَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ) ^{١٧}

الحديث القادم للإمام أحمد، والإمام الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري قال: قال رسول الله ﷺ (إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ (وفي رواية رجل) رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتَّقِي في ماله ربه، ويصل في رحمة، ويعلم لله فيه

١٤ تفسير القرطبي (٤٠/٤)

١٥ مجموع الفتاوى | المحدث: ابن تيمية | (١٩١/١) خلاصة حكم المحدث: صحيح

١٦ جامع بيان العلم وفضله (١٧٥/١)

١٧ تخريج كتاب السنة | الراوي: زيد بن ثابت | المحدث: الألباني (٩٤) خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

حقاً، فهذا بأحسن المنازل عند الله، ورجلٌ آتاه الله علماً ولم يُؤتِه مالاً فهو يقول: لو أن لي مالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فلانٍ، فهو بِنَيْتِهِ، وهما في الأجر سواء^{١٨}

الإمام ابن القيم له تعليق نفيس على هذا الحديث يقول: "قسم النبي ﷺ أهل الدنيا أربعة أقسام، خيرهم الذي أوتي علماً ومالاً: هذا محسن إلى الناس وإلى نفسه، ويليه في المرتبة الذي أوتي علماً ولم يؤت مالاً، وإن كان أجرهما سواء، ولكن ذلك بالنية، أجرهما سواء بالنية، وإلا فالمُنْفَق المتصدق هذا فوَقَه بدرجة الإنفاق والصدقة، ولكن العالم الذي لا مال له ساواه في الأجر والنية بالنية الجازمة المقترن بها مقدورهما، يعني هذا عندما قدر العالم صاحب المال أنفق لله عز و جل، والثاني لا يمنعه من الإنفاق إلا المقدره فله بِنَيْتِهِ"^{١٩} انتهى.

أنت عالم فقير! إنو خيراً تُوجر على هذا الخير، ما الذي يعلمك أن تنوي هذا الخير؟ العلم هو الذي يعلمك هذا.
سيدنا معاذ بن جبل في حديثٍ طويل -هذا الحديث أحبه حباً شديداً لأنه جامع- يقول: (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلْبُهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتُهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَدَلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَمَنَارُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَالْأُنْسُ فِي الْوَحْدَةِ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالصَّاحِبُ فِي الْعُزْلَةِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالسَّبَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْأَخْلَاءِ، وَالْقَرِيبُ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ قَادَةً، وَهُدَاةً يُهْتَدَى بِهِمْ، وَأَيِّمَةً فِي الْخَيْرِ تُقْتَصُّ آثَارُهُمْ، وَتُرْمَقُ أَعْمَالُهُمْ، وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ، وَيُنْتَهَى إِلَى رَأْيِهِمْ، تَرَعَّبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خِلَّتِهِمْ، وَبِأَجْنِحَتِهَا تَمْسَحُهُمْ، وَفِي صَلَاتِهَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، حَتَّى جِيئَانَ الْبَحْرِ وَهَوَائِهِ، وَسَبَاعِ الْبَرِّ وَأَنْعَامِهِ، وَالسَّمَاءِ وَنُجُومِهَا، لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى، وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ، وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ، يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ، وَمَجَالِسَ الْمُلُوكِ، وَالذَّرَجَاتِ الْعُلَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْفِكْرَةُ فِيهِ تُعَدَّلُ بِالصِّيَامِ، وَمُذَارَسَتُهُ بِالْقِيَامِ، وَبِهِ يُطَاعُ وَيُعْبَدُ، وَبِهِ يُعْمَلُ وَيُحْفَدُ، وَبِهِ يُتَوَرَّعُ وَيُوجَرُ، وَبِهِ تُوَصَّلُ الْأَرْحَامُ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ، إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ، قَالَ : تَابِعُهُ، يُلْهَمُهُ السُّعْدَاءُ -اللهم اجعلنا منهم-، وَيُحْرَمُهُ الْأَشْقِيَاءُ)^{٢٠}.

فضل العلم في كلام السلف الصالح - رضوان الله عليهم

الإمام أبو حامد الغزالي نقل جملة نمرٌ عليها سريعاً من أقوال السلف منها قول أبي الدرداء -أنظر كيف كانوا يعظمون العلم- قال أبو الدرداء: "لَأَنَّ أتعلم مسألة أحب إليّ من قيام ليلة. وقال أيضاً: كُنْ عالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ

١٨ صحيح ابن ماجه | الراوي : أبو كيثمة الأنماري | المحدث : الألباني (٣٤٢٥) خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخریج : أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد (١٨٠٢٤) ، فانظر الى العلم كيف اوصله الى درجة صاحب المال.

١٩ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ص ١٧٩

٢٠ مدارج السالكين - ابن القيم (١٣٤/٤)، روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ . والوقف أصح. الألباني (ت ١٤٢٠)، ضعيف الترغيب ٤٧ • موضوع • أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢٦٨) باختلاف يسير. (تخریجه موضوع وان كان معناه صحيحاً)

مُسْتَمِعاً وَلَا تَكُنْ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ وَقَالَ عطاء: مجلسُ علمٍ يَكْفُرُ سَبْعِينَ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ اللّهُوَ^{٢١}. انتهى، فلو لم يكن طلبك للعلم إلا أن تُكْفِرَ به سيئات لكفى به شرفاً. وسيدنا عُمر رضي الله عنه يقول: "موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بالحلال والحرام، لأن منفعة العابد لنفسه، أما منفعة العالم فهي متعدية إلى الناس"^{٢٢} انتهى، الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول: "طلب العلم أفضل من النافلة"^{٢٣} انتهى. ابن عبد الحكم من تلاميذ الإمام مالك، نقلها أيضاً ابن وهب وهو من تلاميذه ويقول: "كنت عند مالك رضي الله عنه اقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية"^{٢٤}. انتهى، وله أيضاً قوله: فرض القراءة مقدم على فرض التوحيد، واستدل بقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] الذي لا يعلم لا إله إلا الله سيأتي بمتناقضات بما ينقض لا إله إلا الله. أبو الأسود يقول: "ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك"^{٢٥} انتهى وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (خَيْرٌ سَلِيمَانُ بَيْنَ الْمُلْكِ وَالْمَالِ وَالْعِلْمِ، فَاخْتَارَ الْعِلْمَ، فَأَعْطِيَ الْمُلْكَ وَالْمَالِ؛ لِاخْتِيَارِهِ الْعِلْمَ)^{٢٦} والله العظيم أحد أساتذتنا وهو الدكتور أحمد غلوش حفظه الله أول عميد لكلية الدعوة الإسلامية في السبعينات، زُرته في بيته كان يقول: "يا بني لا تشغل نفسك لا بالمال ولا بالمنصب، عليك بالعلم سيأتيك العلم والمنصب والمال" انتهى سبحانه الله العظيم سيدنا سليمان اختار العلم، وبه أُوتِيَ المال والمُلْكُ

بالعلم والمال يبني الناس مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنَ مَلِكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالٍ^{٢٧}

ابن المبارك له كلامٌ غاية في الروعة والجمال والنفاسة، "سئل من الناس؟ قال العلماء، قيل فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل فمن السفلة؟ قال الذين يأكلون الدنيا بالدين"^{٢٨}. انتهى، وأبو حامد الغزالي يعلق على كلمة ابن المبارك فيقول: "ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه، (ليس بالقوة فالجمال أقوى منه، ولا بعظمه فإن الفيلة أعظم منه، ولا بشجاعته فإن السَّبُعَ أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطناً منه، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يُخلق إلا للعلم وقال بعض العلماء لبت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم"^{٢٩}. انتهى

٢١ إحياء علوم الدين (١/٩)

٢٢ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة علقه ابن عبد البر في "الجامع" (١/١٢٨)

٢٣ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١١٩) جزء ٩ ص ١١٩

٢٤ إحياء علوم الدين (١/٩)

٢٥ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: (٤٧/١).

٢٦ السلسلة الضعيفة - الألباني (٣٥٨٦)، حكمه موضوع • أخرجه الديلمي في «الفرديوس» (٢٩٥٧) واللفظ له، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٤/٢٢)

٢٧ جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (١٨٢)

٢٨ المجالسة وجواهر العلم (٢/١٨١)

٢٩ إحياء علوم الدين (٧/١)

فضل العلم في كلام العلماء

الإمام أحمد يقول: "الناس أحوج إلى العلم منه إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يُحتاج إليه كل وقت"^{٣٠}. انتهى، والإمام ابن القيم يعلق على حديث استغفار الحيوانات لطالب العلم. لماذا؟! عجب! لماذا الحيوان يستغفر لطالب العلم؟ قال: "سبب هذا الاستغفار أن العالم يُعَلِّم الخلق مراعاة هذه الحيوانات، ويُعرفهم ما يحلُّ منها وما يحرم، وكيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها، وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان"^{٣١}. انتهى. بالله عليكم قفوا عند هذه الكلمة، جمعيات الرفق بالحيوان التي أُسِّست في الغرب، متى؟ أنظر اللفظ عند الإمام ابن القيم في القرن الثامن الهجري "وأرفقها بالحيوان"^{٣٢} انتهى. فاستحق أن تستغفر له البهائم، وأنا أقول لدينا آلاف الأحكام الفقهية المتعلقة بالحيوان عندنا، ثم يأتي أحد مهزوم نفسياً يسافر - مثل ما قال الدكتور عبد الرحمن الهاشمي: المفارقة في "الدال" بين دال الدكتوراة ودال الدين- يسافر مثلاً ويجد جمعيات الرفق بالحيوان، فيقول لك: الغرب مُتَحَضِّر ويرفق بالحيوان"، أنت إذا قرأت مسألة من المسائل تجد عجباً، من الذي قال (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)^{٣٣}، طال أحكام الأضحية أحكام العقيقة تجد عجباً عندنا في الفقه الإسلامي والتراث الذي يريدون أن يهال عليه التراب الآن نحن نحتاج أن نراجع حتى نستحضر عزتنا وليس في استحضار العزه أن نقول كنا ولكن أن نكمل على ما بناه أبائنا أو علمائنا

لَسُنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرْمَتٌ ... يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَتَكَلَّمُ
تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا ... تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَهُمَا فَعَلُوا^{٣٤}

يقول أيضا ابن القيم: "أراد الله أن يظهر فضل آدم عليه السلام وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه فدل على أن العلم أشرف ما في الإنسان وأن فضله وشرفه بالعلم ونظير هذا ما فعله بنبيه يوسف عليه السلام لما أراد إظهار فضله وشرفه على أهل زمانهم كلهم أظهر للملك وأهل مصر من من علمه بتأويل رؤياه ما عجز عنه علماء التعبير حينئذ عندما أخرج سيدنا يوسف ما عنده من العلم قدمه ومكنه وسلم إليه خزائن الأرض وكان قبل ذلك حبسه على ما رآه من حسن وجهه وجمال صورته لما ظهر له حسن صورة علمه وجمال معرفته أطلقه من الحبس ومكنه في الأرض فدل على أن صورة العلم عند بني آدم أبهى وأحسن من الصورة الحسية ولو كانت أجمل صورته، أنظر جمال العلم هو من أخرج سيدنا يوسف من السجن، وجمال وجهه كان السبب في سجنه بينما جمال

٣٠ مدارج السالكين (٤٤٠/٢)

٣١ مفتاح دار السعادة (٦٦-٦٣)

٣٢ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - طبعة عطاءات العلم (١٧٥/١)

٣٣ صحيح الترمذي | الراوي: شداد بن أوس | المحدث: الألباني | (١٤٠٩) خلاصة حكم المحدث: صحيح

٣٤ شرح ديوان الحماسة (١٢٥٦)

علمه كان سببا أن يتمكن من خزائن الأرض، قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"^{٣٥} انتهى ومثله "حدثنا عبد الله، حدثنا أبي، أخبرنا هارون بن معروف، أخبرنا ضمرة، عن السدي بن يحيى قال: قال لقمان لابنه: أي بني، إن الحكمة أجلس المساكين مجالس الملوك"^{٣٦} انتهى. والإمام ابن حزم يقول "العلم لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجُهال يهابونك ويجلونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سببا إلى وجوب طلبه فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويغبط نظراءه من الجهال لكان ذلك سببا إلى وجوب الفرار عنه فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة لو لم يكن من فائدة العلم والاشتغال به إلا أنه يقطع المشتغل به عن الوسوس المضمنية ومطارح الآمال التي لا تفيد غير الهم وكفاية الأفكار المؤلمة للنفس لكان ذلك أعظم داع إليه فكيف وله من الفضائل ما يطول ذكره"^{٣٧}. انتهى يقصد أن ما يعتريك من أفكار وهم وحزن إنما هو بعدم اشتغالك بالعلم النافع.

كما توجد كلمة للإمام ابن القيم رائعة جدا عندما سئل "أن الكوز إذا ملأناه لا يبرد، فإذا نقص برده، فقال: حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل إلا على ناقص"^{٣٨}. انتهى

فالأفكار والهموم والأحزان كل هذه الأمور لأنك فارغ العقل لو عندك ما يشغلك تشتغل به عن هذه الوسوس - العلم-. أعلم أن كثيرا من الأحباب هرمون الدوبامين -السعادة- عندهم الآن يرتفع لأنه تلقى غذاء و سرت النفس ولكن المشكله أن أمة تُستنهض فتنهض وتُستثار فتثو، فهذا شيء لحظي ولكننا نريد أن يكون هذا هو المنهج ويتبنت. هناك كلمة من أجل أن أفسرها وحدها أتجاوزها الآن وأبدأ بها الدرس القادم لأنني أراها تحتاج لوقفه كبيرة جدا جداً، لابي الليث السمرقندي.

فضل العلم في الشعر العربي

نأتي للشعر أشعار كثيرة جداً أنا اخترت قطعتين فقط منهم ما نسب للإمام علي عليه السلام:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففرز بعلم تعش حيا به أبدا	الناس موتى وأهل العلم أحياء ^{٣٩}

أهل العلم لا يموتون كما قال أحد العلماء: للموت ثلاثة منازل مودة الفناء، ومودة الأحياء، ومودة البقاء.

^{٣٥} مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٥٣/١)

^{٣٦} الزهد لأحمد بن حنبل (٨٧)

^{٣٧} الأخلاق والسير في مداواة النفوس (٢١)

^{٣٨} المشترك اللفظي في الحقل القرآني - عبد العال سالم مكرم (١٩٩)

^{٣٩} إحياء علوم الدين (٧/١)

- موت الأحياء انسان سلبي لا أثر له في الأمة وموجود كمفقود انما الميت ميت الأحياء .
- موت الفناء موت سائر الناس والدواب والحشرات يفنى بفنائهم ذكرهم.
- موت البقاء موت رجال العلم والدعوة والفكر والعقيدة فهؤلاء عاش رجل الحق ما عاش الحق ولن يفنى داعي الله ﷻ مادام الله.

ابو إسحاق الألبيري وهذه القصيدة بلغت مائة وخمسة عشر بيتاً يقول وزدتها تسعاً حسناً وكانت قبل ذا مائة وستة يعني مائة وخمسة عشر يوصي ابنه بطلب العلم أنظر الجمال يقول:

تَفَتُّ فَوَادِكَ الْأَيَّامُ فَتًّا ...	وَتَنَجَّتْ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا ...
وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ ...	أَلَا يَا صَاحٍ: أَنْتَ أَرِيدُ، أَنْتَا ...
أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرِ ...	أَبَتَّ طَلَّاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتًّا ...
تَنَامُ الدَّهْرَ وَيَحْكُ فِي غَطِيظٍ ...	بِهَا حَاتِي إِذَا مِتَّ انْتَهَيْتَا ...
فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَى ...	مَتَى لَا تَرَعُوي عَنْهَا وَحَتَى ...
أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا ...	إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا ...
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا ...	مُطَاعَا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا ...
وَتَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا ...	وَتَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا ...
وَتَحْمَلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا ...	وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا ...
يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا ...	وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا ...
هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو ...	تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا ...
وَكَنْزٌ لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِحَا ...	خَفِيفُ الْحَمَلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا ...
يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ...	وَيَنْقُصُ أَنْ بِهِ كَفَاءُ شَدَدْتَا ...
فَلَوْ قَدْ ذُقْتَ مِنْ حَلَوَاهِ طَعْمًا ...	لَأَثَرْتَ التَّعَلُّمَ وَاجْتَهَدْتَا ...
وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٍ ...	وَلَا دُنْيَا بِزُخْرِهَا فُتِنْتَا ...
وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أَنْيَقُ رَوْضٍ ...	وَلَا خِدْرٌ بِرَبْرِيبِهِ كَلَفْتَا ...
فَقَوَتْ الرُّوحُ أَرْوَاحَ الْمُعَانِي ...	وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَا ...
فَوَاطِبُهُ وَخَذَ بِالْجِدِّ فِيهِ ...	فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ أَخَذْتَا ...
وَإِنْ أُوتِيَتْ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ ...	وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا ...
فَلَا تَأْمَنْ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ ...	بِتَوْبِيخٍ: عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْتَا؟ ...
فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا ...	وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ: لَقَدْ رَأَسْتَا ...

فوائد وثمرات طلب العلم

شفاء لأمراض القلب وتطهيراً للنفوس

مرض القلوب والحسد، العجب والكبر، الهوى و سوء الظن والحقد والغضب. كل هذه الأمور، لو لم أقف على أسبابها وكيفية علاجها لن أستطيع التخلص منها، وأمراض القلوب أصعب من أمراض الأبدان كما يقول الإمام بن القيم "لأنَّ غايةَ مرضِ البدن أن يُفْضِيَ بصاحبه إلى الموت، وأمَّا مرضُ القلبِ فيُفْضِي بصاحبه إلى الشقاء الأبدِيّ، ولا شفاءَ لهذا المرضِ إلا بالعلم. ولهذا سَمَّى اللهُ تعالى كتابَه شفاءً لأمراضِ الصدور"^{٤٠} انتهى.

تخليد الذكر والأجر بعد الموت

الإمام ابن الجوزي يقول: "فإذا علم الإنسان -وإن بالغ في الجد- بأن الموت يقطعه عن العمل، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته فإن كان له شيء من الدنيا، وقف وقفاً، وغرس غرساً، وأجرى نهراً، ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتاباً من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد"^{٤١} انتهى، تصنيف العلم أو العالم هذا الولد المخلد الذي يبقى أبد الأبدان ودهر الدهرين.

ابو هلال العسكري في كتابه الحث على طلب العلم يقول "فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزا لا تتلمه الليالي والأيام ولا تتحيفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانا بغير أجر، وجندا بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه، تأتلك المنافع عفواً، وتلق ما يعتمد منها صفواً، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل، ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك، واستبق لنفسك الذكر به بعد وفاتك"^{٤٢} . انتهى

تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة

ابو حامد الغزالي رحمه الله وضع موازنة جميلة جداً، يا أحبّاب عندما وقفت على هذا الكلام وجدت أنه لا يحسن أن أتصرف فيه بلفظي، وسيدنا ابن عباس كان يقول "في ثلاث خصال ما وقفت على مراد آيات من كتاب الله إلا وددت لو أن الجميع يعلم مثلما أعلم"- فأنا مثلما تذوقت لذة النص أتيتك بالنص كما هو على قائله- "واعلم أن

٤٠ مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة - طبعة عطاءات العلم (٣٠٦/١)

٤١ صيد الخاطر (ص٣٤)

٤٢ الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (٤٣)

الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره"^{٤٣}. انتهى

مثال المطلوب لغيره: الدراهم والدنانير أنا كي أستطيع العيش شراء، تعاملات، الخ... فلا بد أن تكون معي النقود، وهذه تطلب لغيرها فقط، ولولا أن الله ﷻ يسر قضاء الحاجات بالدراهم كانت مثلها مثل التراب، مثل الحصباء تماماً.

مثال المطلوب لذاته: السعادة في الآخرة فهي تطلب لذاتها لا لغيرها، أنك تريد أن تصبح سعيداً في الآخرة و تعيش لذة النظر إلى وجه الله ﷻ.

مثال المطلوب لذاته ولغيره معا: سلامة البدن الرجل مطلوبة للمشي، سلامة البدن عن الألم مطلوب للمشي بها، والتوصل إلى المآرب والحاجات يستوجب أن أكون بصحة جيدة (زيارة فلان، صلاة، طلب العلم، وغيرها...) فهذا يطلب لغيره و لذاته كذلك. فإذا بهذا الاعتبار (يطلب لغيره فقط و يطلب لذاته فقط يطلب لغيره و لذاته معا) إذا نظرت إلى العلم رأيت لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته وأيضاً لغيره لأنه وسيلة و لذاته لاحتوائه على لذة دنيوية.

فلو قلنا أننا نطلبه لغيره فهذا صائب، ولكنه أيضاً يطلب لذاته أي أنك تتمتع به فقط ستجد لذة للعلم لا تدانيها لذة، ومن ذاق عرف. حسنا هذا في طلبه لذاته لكن مع ذلك يطلب لغيره، فإننا نرجوا التوصل به إلى الدار الآخرة وسعادتها، أتقرب به إلى الله ﷻ، الله ﷻ لا يتوصل إليه ولا يتقرب الإنسان إليه إلا بطريق العلم والعمل، فلا يتوصل إلى العمل الصحيح إلا بالعلم.

العلم بكيفية العمل هي التي تجعل العمل صحيحاً، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم، فهو أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته وهنا عدنا إلى ثمرات العلم وفوائده كأن تشفى من أمراض الصدور، أن تحقق السعادة وأن تخلد الأجر والذكر، شرف الشيء بمعرفة شرف ثمرته وثمرات العلم القرب من رب العالمين والإلتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى و هذا في الآخرة أما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك و لزوم الاحترام في الطباع، أن تصبح إنساناً محترماً وقوراً عزيزاً ولذلك سيدنا بن عباس قال: "ذلت طالبا وعزرت مطلوباً"^{٤٤} انتهى.

٤٣ إحياء علوم الدين ص ١٢
٤٤ معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية (ص ١١)

سيدنا محمد بن الحسن الحنفي صاحب ابي حنيفة كان إذا سهر الليالي وانحلت له المشكلات وما أبهم من المسائل يقول: "أين أبناء الملوك من هذه اللذات"^{٤٥} انتهى . ذكره أيضا الإمام برهان الإسلام الزرنوجي في تعليم المتعلم والشاعر عمر الرافعي يقول:

إذا خاض في بحر التفكر خاطري ... وَغاصَ عَلَى مَعْنَى دَقِيقِ لَطَائِبِ
حظيت بأنواع السعادة عاثرأ ... عَلَى دُرَّةٍ مِنْ مُعْضَلَاتِ الْمَطَائِبِ
حَقَرْتِ مَلُوكَ الْأَرْضِ فِي نَيْلِ مَا حَوُوا ... مِنْ الْعَرَضِ الْأَدْنَى بِرَفْعَةِ جَانِبِي
وَلَوْ نَاقَسُونِي فِي الْمَعَالِي غَلِبْتَهُمْ ... وَقَلَّتِ الْعُلَى بِالْكَتَابِ لَا بِالْكَتَائِبِ

الكتب: جمع كتب ، الكتائب: جمع كتيبة (الجيش)

الإمام الشاطبي يؤيد هذا و يقول: "في العلم بالأشياء لذة لا توازيها لذة"^{٤٦} انتهى. ابن تيمية رحمه الله يقول: "لذة العلم أعظم اللذات"^{٤٧} انتهى. أيضا من ثمرات العلم الرد على الشبهات وموجات التشكيك لابد كي نواجه الإنسان المشكك أو ملحد أو منصر أو غيره...

لابد من قوة الدليل والحجة والبرهان في دفع الشبهات و هذا لن يكون إلا بالعلم لذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله يقول: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ولا أفاد كلامه العلم واليقين"^{٤٨} انتهى.

الإنشغال بما ينفع: لو لم يكن للعلم ثمرة وفائدة إلا هذا لكفى.

يقول الإمام ابن القيم: "من أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته وفراغه فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره ولا بد"^{٤٩} انتهى.

أيضا وهذا آخر شيء. إخراج النفس من ظلمات الجهل، الإمام ابن القيم له كلمة يقول: "الجهل أصل كل شر وظلمة"^{٥٠} انتهى. أيضا نضيف ومفسدة الجهل سبب لتكذيب الرسل بما جاؤا، سبب للشرك، سبب للبدع لقطع الأرحام لإرتكاب الحرام، أي شر وبلية وظلمة في العالم سببها الجهل، و الجاهل لا يسلم من الشبه تتمكن منه و لا يحسن العبادة (ارجع فصل فإنك لم تُصل)^{٥١} ، يضر نفسه من حيث يعتقد أنه ينفعها. وكم مرید للخير لا يبلغه.

٤٥ الحطة في ذكر الصحاح الستة (ص ١٧)

٤٦ الموافقات (ص ٨٦)

٤٧ مجموع الفتاوى (ص ١٦٢)

٤٨ آراء القرطبي والمازري الاعتقادية (ص ١٨٦)

٤٩ الوقت أنفاس لا تعود (ص ٥١)

٥٠ أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان (ص ٥)

٥١ شعيب الأرنؤوط (ت ١٤٣٨)، تخريج مشكل الآثار ٢٢٤٥ • صحيح

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسه^{٥٢}

يعني الأعداء لا يستطيعون أن يضرُوا الجاهل مثلما يضر نفسه والله ﷻ وصف الجهل بالعمى، فقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ
أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]

عن ضرار بن عمرو عن محمد بن سيرين قال "إِنَّ قَوْمًا تَزَكُّوا طَلَبَ الْعِلْمِ وَمُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَخَذُوا فِي الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ حَتَّى يَبْسَ جُدُّ أَحَدِهِمْ عَلَى عَظْمِهِ، ثُمَّ خَالَفُوا السُّنَّةَ فَهَلَكُوا وَسَفَكُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ،
مَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا عَلَى جَهْلٍ إِلَّا كَانَ يَفْسُدُ أَكْثَرَ مِمَّا يَصْلِحُ"^{٥٣} انتهى. فكانوا لا يعصون الله ﷻ بشرب خمر أو زنا
وما مثله بل كانوا يصلون، ولكن على جهل، خالفوا السنة فهلكوا. فوالله الذي لا إله غيره: ما عمل عاملٌ قط على
جهلٍ إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وهكذا أكون انتهيتُ، وأرجو التعليق من الحضور الكرام. وإن شاء الله ﷻ المرات القادمة سنتطرق إلى الصفات
التي يتحلى بها طالب العلم مثل إخلاص النية، الصبر، التواضع، وعلو الهمة، والنماذج لها من حياة السلف
الكرام، وما ينبغي على العالم من طريقة التلقي وغيره. كل هذه الأمور ستكون في مفردات هذه المادة.

٥٢ من أبيات لصالح بن عبد القدوس في "المعدن" (٢/ ٤٣٦)
٥٣ تلبس إبليس (ص ٢٨٧)

فضل مجالس العلم

قبل البداية في المحاضرة أبدأ بكلمة تدل على فضل مجالس العلم، قالها الفقيه ابو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣هـ ﷺ رحمة واسعة يقول في باب فضل العلم: "يقال من انتهى إلى العالم وجلس معه ولا يقدر على أن يحفظ العلم (أي لم يستفد شيئاً) له سبع كرامات:

١. ينال فضل المتعلمين.
٢. ما دام جالساً عنده - أي العالم - كان محبوساً عن الذنوب والخطايا.
٣. إذا خرج من منزله تنزل عليه الرحمة.
٤. إذا جلس عنده فتنزل عليهم الرحمة فتصيبه ببركتهم.
٥. مادام مستمعا تكتب له الحسنة.
٦. تحف عليهم الملائكة بأجنتها رضاءً وهو فيهم.
٧. كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفارة للذنوب ورفعا للدرجات وزيادة في الحسنات".

وقد يقول قائل: هذا في المسير إلى طلب العلم ونحن الآن في بيوتنا فالجواب إن مجلس العلم هو مجلس العلم، ونحسب أن الله ﷻ - ومن أسمائه الكريم - يفضل على هذا المجلس بتنزل الرحمة وتغشاه السكينة وأن تحفنا الملائكة رضاءً بما نصنع.

هل يتوقف الأمر عند هذه المحاسن؟

لم يقف الحد عند هذا الفضل قال " ثم يكرمه الله بست كرامات أخرى:

يكرمه بحب شهود مجلس العلماء: عندما يجلس الإنسان ويرى جمال العلم يبدأ بالتطلع إلى هذا ونفسه تهفوا إلى الإكثار من هذه المجالس.

كل من يقتدي بهم فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، - كأن تدعوا زميلك أو قصصت له أنك تستفيد فقلدك، فهذا في ميزان حسناتك، كل من يقتدي بك في طلب العلم أو فيما تنفعه مما طلبته من العلم لك مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

لو غُفِرَ لواحد منهم يشفع له: قال رسول الله ﷺ (إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَرُوا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفُوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ

وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُؤْمِدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنْتُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ لَوْ أَنْتُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَسْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ^٤ ولذلك كان سيدنا الحسن البصري يقول "استكثروا من صحبة الصالحين" لأنه في الآخرة يندم الكفار فيقولون ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، فدل على أن الصديق الصالح يشفع لصديقه، فلو عُفِرَ لواحد من أهل المجلس يشفع في غيره.

١. أنه يبرد قلبه من مجلس الفساق.

عندما يرى الإنسان نور العلم وجماله وبهائه وطاعته، تأبى نفسه الميل إلى مجالس الفسق، ولسان حاله:

إن قام جمع على لهو ومفسد	فنحن جننا لنرقى سلم الرتب
أو قام جمع على شر وأغنية تركته	فرياض الذكر أجدر بي

يُبرِدَ هذا العلم قلبه يعني يجعل قلبه لا يميل لمجالس الفساق.

١. يدخل في طريق المتعلمين والصالحين.

٢. يقيم أمر الله ﷻ.

أنا أريد أن أتقرب من الله ﷻ إذا لابد أن أتعلم كيف أتقرب؟ كيف أصلي؟ كيف أصوم؟ كيف أزكي؟ كيف أخلص مع الله؟ ومقامات الإيمان، مقامات الإحسان إلى آخره، كل هذا يحتاج إلى علم لأن الله قال في كتابه الكريم: ﴿كُونُوا رِبَائِيَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال: "يعني العلماء والفقهاء"، وكل كلمة مما قالها الإمام لها أحاديث صحاح تدل عليها لكنه جمعها بهذا الشكل، ويقول "هذا لمن لم يحفظ شيئا": يعني خرج من المجلس كأنه لم يدخله.

"أما الذي يحفظ فله أضعاف مضاعفة": يعني أن الذي يحفظ العلم لا تُعد كراماته.

٥٤ «صحيح البخاري» (٨ / ٨٧ ط السلطانية): رَوَاهُ شُعْبَةُ عَنْ الْأَعْمَشِ وَلَمْ يُرْفَعْهُ. وَرَوَاهُ سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الإمام أبو ليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي من علماء القرن الرابع الهجري ذكر هذا في كتابه "تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين".

أردت أن ابدأ المجلس بهذا لكي يرى الإنسان الفضل الذي هو فيه ولكي لا يحتقر طلبه للعلم، ولكي يصبر على المصاعب التي يواجهها ولكي لا تفتر عزمته عن الطلب.

كنا قد تكلمنا كلمة بسيطة في مسألة فضل العلم من خلال القرآن والسنة وكلام السلف ومن خلال كلام العلماء ومن خلال الشعر العربي، وتكلمنا عن فوائد وثمرات العلم.

أصول آداب طلب العلم:

نأتي اليوم لآداب الطلب لطالب العلم نفسه فهناك أصول في الطلب، ونبدأ بالأصل الأصيل لا يصح بغيره.

النية أو تجريد النية والإخلاص لله ﷻ:

يأتي سؤال، هذه النية نتعلمها في الصلاة، إنها ركن في الزكاة، في الحج، فما علاقتها بطلب العلم؟ إن طلب العلم لا أقول عبادة بل هو من أعظم العبادات، وأي عبادة لا بد أن تسبقها نية. إخلاص النية في طلب العلم من الأصول والأسس التي يقوم عليها طلب العلم.

إجماع السلف والخلف على أهمية النية في طلب العلم، وروى ابن عبد البر - بسند حسن - عن سفيان الثوري قال: "ما من عملٍ أفضل من طلب العلم إذا صحَّت فيه النية"^{٥٥} انتهى.

أفضل عمل يعمله الإنسان لا بد أن يكون طلب العلم، لكن بشرط أن تكون النية فيه صحيحة، وأخرج أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) بسنده إلى علي بن الحسن بن شقيق قال: سمعت عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) يقول "أول العلم النية، ثم الإستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر"^{٥٦} انتهى. ولذلك أي أفة داخلية على العلم تدخل من عدم مراعاة هذا الترتيب الذي راعاه أو الذي راعاه السلف الصالح رضوان الله عليهم، أي

٥٥ جامع العلم وفضله (١١٩)
٥٦ جامع بيان العلم وفضله (١١٨/١)

آفة من الآفات. أنا طلبت العلم لحب الظهور وللمجادلة أو للمناظرة، أنا ربما لم أستمع العلم قرأت فقط "ومن كان شيخه كتابه غلب خطأه صوابه".

لم أفهم ما أقول على حد ما قال الشيخ الغزالي "إنها لجريمة قتل عمدٍ أن ننتمي إلى الإسلام ثم لا نحسن فهماً، ولا نحسن عرضاً ولا العمل به ولا الدفاع عنه" هموم داعية مجد الغزالي - ص ٧٧، هذه جريمة قتل عمد، أن إنسان ينتمي إلى الإسلام ولا يحسن الفهم، ولا يحفظ، أيضاً الحفظ جزء من مسألة البلاغ.

العمل وهو ثمرة هذا العلم. تجد إنقسام في مسألة العلم والعمل وهذه سيأتي التنبيه عليها، فمثلاً نفر عنده العلم لكن لا يوجد ثمرة لعلمه، فهذا علمه يكون مقطوع الخير.

إذن أول أدب تجريد النية من الشوائب وإخلاص القصد لله ﷻ، لا بد أن أعني ما يُراد مني في هذه المحاضرة، ولا ينبغي أن أخرج حتى أتقنه هو: علاقة النية بطلب العلم.

تعريف النية

ما النية؟ ما محل النية متى تكون النية؟ ما أهمية النية؟ ما الحاجة إلى تجديد النية وتكثيرها؟ ما علامات الإخلاص؟ أو كيف أصل إليه؟

١. النية لغة: أول شيء النية من نوى الشيء ينويه نية بمعنى قصده، والنية الوجه الذي يذهب فيه والبعد، ونوى الشيء نية ونواه وانتواه بمعنى قصده وأعتقده. هذا هو المطلوب. أن يقصد الشيء وأن يعتقد.
٢. النية اصطلاحاً: اصطلاحاً قصد المكلف الشيء المأمور به، وقيل قصد الشيء مقترناً بالفعل، فإن تراخى سُمي "عزماً".

فوائد النية

ما فائدة النية؟ النية لها فوائد كثيرة جداً.

تمييز العبادة عن العادة، أنا من الممكن أن أصوم نفلًا، وممكن أصوم من أجل تخفيف الوزن، وممكن أصوم لعمل أشعة ليقوم الطبيب بعمل فحص وكذا. هذا صيام وهذا صيام. ما الذي فرق بين صيام العادة، أصوم حمية عندي مشاكل في المعدة ولا بد أن أصوم. هذا صيام وهذا صيام؛ لكن صيام العادة يختلف عن صيام العبادة، ما الفارق بين هذا وذاك؟، مسألة النية.

محل النية القلب، وأن يتلفظ الإنسان بها لم يرد ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة رضوان الله عليهم إلا في مسألة الحج والعمرة، والشافعية يرون جواز ذلك، فيجيزون التلفظ بها للحاجة ودليلهم القياس على الحج والعمرة، لكي لا نقول ليس لديهم دليل، بل لهم دليل القياس يقولون إذا كان جاز قول لبيك اللهم بعمرة، لبيك اللهم بحج، إذاً يجوز أن نقول نويت أن أصلي، نويت أن أزكي.. وهكذا، لكن العلماء قالوا قيام الإنسان إلى الشيء هذا بمثابة النية، أنا سأقوم للسحور فهذا بمثابة النية للصيام لأن مقر النية ومحلها هو القلب، ولذلك الأخلص أيضاً محله القلب، سر بين العبد وربّه فلا يطلع عليه ملك ليكتبه ولا يعلمه العبد، مسألة النية من أعمال القلوب.

متى تكون النية؟ لا بد منها في بداية العمل فهي تسبق العمل ولا يجوز أن أصلي ثم أقول أنا صليت الظهر، لا يستقيم، يجب وأنا قائم للصلاة أعدد أن هذه صلاة الظهر، وأن هذه السنة القلبية قبل الظهر.

باب النية باب كبير يحتاج إلى طول تأمل، لماذا؟ لأن عليه مدار الصحة والفساد، والثواب والعقاب، إذا غفل الطالب عن هذا الباب وجد عمله سراب، للأسف الشديد الإنسان الذي يدخل العلم حمية وحماسة، ولا يتفقد مسألة النية فهذه مصيبة، يعمل عملاً مثل الجبال ثم يجده هباءً منثوراً.

تجد الإمام البخاري رحمته الله يُصَدِّرُ صحيحه باب بدء الوحي بقوله كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ فيضع حديث **(إنما الأعمال بالنيات)**^{٥٧}. فما علاقة بدأ الوحي بهذا الحديث ابن ماجة يعلق ويقول "وقد صدر الكتاب بترجمة بدء الوحي وبالحديث الدال على مقصوده المشتمل على أن العمل دائر مع النية فكأنه يقول قصدت جمع وحي السنة المتلقى عن خير البرية على وجه سيظهر حسن عملي فيه من قصدي وإنما لكل امرئ ما نوى فاكتفى بالتلويح عن التصريح"^{٥٨} انتهى، يعني الإمام لم يصرح أنه هو قصد نية حسنة في الجمع وإنما قال إنما الأعمال بالنيات يعني مرجع الأمر إلى الله ﷻ، وأول حديث لمن يطالع صحيح البخاري يجد **(إنما الأعمال بالنيات)** يضعه أين؟ باب كيف كان بدء الوحي. والإمام مسلم في كتاب الإمامة "باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال"^{٥٩} انتهى. والإمام النووي يقول "أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته قال الشافعي وآخرون هو ثلث الإسلام، وقال الشافعي يدخل في سبعين باباً من الفقه"، وقال آخرون هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره "ينبغي لمن صنف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النية"^{٦٠}

٥٧ صحيح البخاري (٣/١)

٥٨ فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/١)

٥٩ صحيح مسلم ط التركية (٤٨/٦)

٦٠ شرح النووي على مسلم (٥٣/١٣)

أي واحد يكتب كتاباً - هذا كلام سيدنا عبد الرحمن بن مهدي- لابد أن يضع هذا الحديث لئيبه الطالب أن يصح نيته في الطلب، والخطابي نقل هذا عن الأئمة مطلقاً وقد فعل ذلك البخاري وغيره فابتدأوا به قبل كل شيء والبخاري ذكره في سبعة مواضع من كتابه، وتقدير الكلام أن الأعمال تحسب بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية، يعني الذي يطلب العلم بغير نية هذا طلبه لنفسه وليس لله فيه شيء، وصحة العمل تتوقف على النية والثواب يكون على صحة النية ولذلك نحن نقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، هل هناك تكرار والنبى ﷺ عودة جامع الكلام؟ قطعاً لا.

إنما الأعمال بالنيات: أي الأعمال تصح بها، ولكل امرئ ما نوى: ثواب الناوي على نيته، يعني الجملة الأولى تتعلق بصحة عمل وفساده والنقطة الثانية أو الجملة الثانية تتعلق بالثواب والجزاء، يعني يُجْزَى على قدر إن خيراً فخير وإن شراً فشر: فصحة ما يقع من المكلف قولاً أو فعلاً وترتيب الثواب عليه، لا يكون إلا حسب ما ينوي.

الإمام ابن رجب أطل النفس في شرح الحديث وغيره كثير، هناك من أفرد كتباً لهذا الحديث لأن هذا الحديث يخبرك أن عمدة الدين عندنا أربع كلمات من قول خير البرية:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ ... أَرْزَعُ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ النَّبِيِّ
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَأَزْهَدْ وَدَعْ مَا ... لَيْسَ يَغْنِيكَ وَأَعْمَلَنَّ بِنِيَّتِهِ^{٦١}

يقولك الدين كله في أربعة أحاديث هذا الحديث من العلماء من أقوال السلف أنه ربع الإسلام، منهم من قال أنه ثلث الإسلام، وصلوا يعني هذا الحديث محل إتفاق، وقد اختلفوا في الأحاديث الأخرى المكملة للإسلام منهم من قال (اتقي الشبهات، ازهد في الدنيا، دع ما ليس يعينك، دع ما لا يربيك إلا ما يربيك، اعلمن بنية، إنما الأعمال بالنيات، ومنهم من وضع حديث من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد، ما كان أحد هذه الأحاديث فالشاهد أن هذا الحديث تخيل عندما تتقن فهم هذا الحديث كأنك أتقنت ربع الإسلام أو ثلث الإسلام، وابن رجب يقول "الأعمال صحيحة أو معتبرة ومقبولة بالنيات"^{٦٢} انتهى. هذا فيما يتعلق بالأعمال الشرعية التي تفتقر إلى النية قال لك ما لكن ما لا يفتقر إلى النية، لا يحتاج إلى النية مثل العادات الأكل الشرب اللبس هذا لا يحتاج إلى نية.

ويرى بعض العلماء أن هذه الأعمال لا يخصص منها شيء، يعني ينفع أن أحول العادة إلى عبادة بنييتي، الطعام، التقوي على العبادة، النوم، الذهاب للعمل، أي شيء حتى لو كان من باب المباحات أستطيع من خلال النية إننا

٦١ جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٠)
٦٢ جامع العلوم والحكم لابن رجب (٦٤/١)

أحواله من عادة إلى عبادة، وإنما لكل امرئ ما نوى، هو كلام الإمام ابن رجب يأتي من إخبار عن حكم الشارع أن حظ العامل من عمله نيته إن كانت سالحة إذا عمل صالح وله أجره، والفاصلة يبقى عمله فاسد وعليه وزر.

هنا يأتي السؤال يا مولانا أنا والله طلبت العلم خالصاً لوجه الله ﷻ ولكن أنا قصدي من العلم الوظيفة، قصدي من العلم نشره، قصدي من العلم رفع الجهل، قصدي من العلم جمع المال، أي ذلك أستطيع أن أقول عليه أنه نية سالحة أو نية فاسدة.

سيدنا عبد الله ابن عمر يقول "إذا أجمع أحدكم على الغزو، فعوضه الله رزقا، فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم إن أعطي درهما غزا، وإن منع درهما مكث، فلا خير في ذلك" ^{٦٣} انتهى، أنت ما الذي يحرك المحرك الأساسي الباعث والدافع لطلب العلم، هل هو جمع المال فهذه النية فاسدة هل هو مباحة العلماء هل هو مسألة المناظرة والجدل، هل لتخير المجالس والمناصب، الأصل أن العلم يطلب لوجه الله ﷻ، والله ﷻ لا يقبل شريكا إطلاقاً في أي عمل من الأعمال التي يراد بها وجه الله ﷻ، والنية معبر عنها بألفاظ عديدة في القرآن الكريم يريدون وجهه ابتغاء وجه ربه الأعلى معبر عنها بلفظ الإرادة والبيغية، الإمام الأوزاعي قال "إذا كانت نية الغازي على الغزو، فلا أرى بأساً. وهكذا يقال فيمن أخذ شيئاً في الحج ليحج به: إما عن نفسه، أو عن غيره، وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الجمال وحج الأجير وحج التاجر: هو تمام لا ينقص من أجورهم شيء، وهو محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب" ^{٦٤} انتهى، يبقى لا بد أن يكون الأصل الأصيل في طلب العلم الأصل لله ﷻ دون أن يكون مكسب.

طيب أنا طلبت العلم لوجه الله ﷻ ثم أنا متفرغ لمسألة أنني ادعوا بهذا العلم وأخذت مالا، أصل القصد ماذا ما الذي بدأت به نيتي إن كان الله ﷻ، ثم جاء المال ثم وضعت في منصب معين ثم كذا، الأشياء إذا جاءت تبعا فلا يضر في ذلك لكن النية من البداية لا بد أن تخلصها.

طيب الله يا مولانا أنا كنت أمشي في طريق العلم، وأصل العمل لله ولكن طرأ عليه نية رياء، أنا كنت أطلب العلم لو قلت بعدين ما المانع أنني بجوار هذا الطلب أنني أمسك منصب أو أنني أتحصل على مال أو أتحصل على وظيفة أو ما شابه ذلك، ابن رجب يقول "فإن كان خاطراً ودفعه - والله فكرة جاءتني طيب ما المانع أنني آخذ هكذا وبعدها قلت لا أنا أرجع كما كنت مجرد خاطر لم يستقر في القلب- فلا يضره بغير خلاف" ^{٦٥} انتهى. مسألة كالعدم يعني مجرد وسوسة.

٦٣ جامع العلوم والحكم لابن رجب (٨٢/١)
٦٤ جامع العلوم والحكم لابن رجب (٨٢/١)
٦٥ جامع العلوم والحكم لابن رجب (٨٤-٨٣/١)

إذا استرسلت مع هذا الخاطر هل يحبط العمل أم لا يضر ويجاز على أصل النية؟ اختلاف بين السلف الإمام احمد وابن جرير والطبري قال العمل لا يبطل، لماذا لا يبطل؟ قال لك لأنه نيته الأولى كانت لله أهم حاجة النية الأولى، والإمام ابن جرير قال هذا الاختلاف في العمل يرتبط آخره بأوله نحن نعرف أن الأعمال منفصلة هناك أعمال منفصلة وهناك أعمال مرتبطة، العمل الذي يرتبط أوله بآخره أنا دخلت الصلاة لا ينفع أخلص إلا في الأخير.

وأثناء الصلاة قلت والله إذا الدكتور عبدو ينظر إلي أحسنها قليلا، قال لك والله مسألة طرء النية هنا أو الرياء على مسألة النية، لا النية هي ركن من أركان الصلاة، أنا ابتدأت بها الصلاة ولا تنفك يعني لا تنفصل عن الصلاة حتى الإنتهاء منها، الكلام هذا يا أحباب أنتم ستحتاجونه يعني في كل حياتكم لأنه هو هذا مدار الأجر عليه، ونحن نعرف أنك أنت بالنية فقط تبلغ يعني أماكن لا يبلغها لك عملك.

كنا توقعنا عند مسألة العمل المتصل والعمل المنفصل، قلنا إن العمل إذا كان متصلاً وطرء عليه رياء لا يغير منه لأن النية في بداية العمل، أما إذا كان منفصلاً مثل مسألة الإنفاق، مسألة الذكر، مسألة نشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديده، فهذه المسألة لا بد أن يأخذ طالب العلم في الاعتبار أنه قد يبدأ في طلب العلم أو في نشر العلم بنية جيدة وحسنة ثم تأتي عليه الواردات أو الخواطر مسألة الرياء وغيره.

سليمان بن داود الهاشمي يقول وهو يحدث "ربما أُحِدِّثُ بحديث واحد ولي نية، فإذا أتيت على بعضه تغيّرت نيتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات"^{٦٦} انتهى.

مثلاً قال سيدنا الحسن البصري "لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه: ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضى قدماً لا يعاتب نفسه"^{٦٧} انتهى، فدائماً المؤمن يتفقد نيته في مسألة الطلب وغيره.

لكن أنا بدأت النية حسنة وانتهيت حسنة ثم وجدت محمداً من الناس قلنا تلك عاجل بشرى المؤمن.

الإمام النووي في بستان العارفين يقول "علم أنه ينبغي لمن أراد شيئاً من الطاعات، وإن قلَّ أن يُحضر النية وهو: أن يقصد بعمله رضا الله ﷻ، وتكون نيته حال العمل، ويدخل في هذا جميع العبادات من الصلاة والصوم، والوضوء، والتيمم، والاعتكاف، والحج، والزكاة، والصدقة، وقضاء الحوائج، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وابتداء السلام، وردده، وتشميت العاطس، وإنكار المنكر".

٦٦ سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (١٠/٢٢٥)
٦٧ محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٤)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٩٦)

أشياء لا تخطر على بالنا أنها تحتاج إلى نية لذلك أحد السلف يقال له هيا بنا إلى جنازة قال إنتظر حتى أجدد النيات، أنا أقول هكذا نحن نُضيع لعدم فقهننا بالنية نُضيع أشياء كثيرة وأعمال كثيرة نعملها لأننا نعملها من قبيل الواجبات الإجتماعية، والله فلان جائني وأنا مريض فأنا أزوره طيب لو أنني زرته بنية أن زيارة المريض من حق المسلم على المسلم وأن النبي دعا إليها وحث عليها وإلتماس الأجر وغير ذلك فهذا عمل يوضع في صحيفة حسناتي، إتباع الجنازة والله إذا بيت فلان جاؤا لنا فنحن نذهب لهم وكذا مسألة العزاء والمواساة وما أشبه ذلك، مسألة الفرح والله فلان جاء فأنا ذاهب له، فأنت إذا أخذتها من باب المشاركة الوجدانية وإدخال السرور على مسلم، مسألة يا أحباب محتاجة فعلاً إعادة نظر، حضور مجالس العلم الأذكار زيارة الأخيار رؤية الصحبة الزيارة، ربنا ﷺ في الحديث القدسي يقول أين المتزاورين في أين المتجالسين في أين المتحابين في اليوم أظلم بظل يوم لا ظل إلا ظلي

لماذا لا يعني النفقة على الأهل تخيل أن نأخذها من قبيل الإلتزام الأدبي: أنا أب أنفق على أولادي وأذهب إلى الشغل وأتعب وكذا لو احتسبت هذا، المرأة التي تقف في المطبخ كثيرا أوقاتا طويلة تستطيع أن تحتسب هذا من قبيل إطعام الطعام ويحسب لها الأجر إن شاء الله، إكرام الضيف، ذوي الأرحام وصلة الرحم كل هذه الأمور احنا لا نضعها في اعتبارنا

يقول: "ومذاكرة العلم والمناظرة فيه وتكراره وتدرسه وتعليمه ومطالعه وكتابته وتصنيفه والفتاوي"^{٦٨} انتهى، عدد الإمام النووي سبحانه الله العظيم. يعني إحنا نأخذ هو طلب العلم فقط لا، فيه تكرار العلم والصبر عليه يحتاج لنية إنك تحتسب في نية تدريس العلم تعليمه مطالعة الكتب الكتابات، وأنا أصنف، وأنا أخص الدرس وكذا وكذا ما أشبهها من هذه الأعمال حتى ينبغي له إذا أكل أو شرب أو نام يقصد بذلك التقوي على طاعة الله أو راحة البدن للتنشيط على الطاعة، حتى إذا أراد جماع زوجته يقصد إيصالها حقها وتحصيل ولد صالح يعبد الله تعالى وعفاف نفسه وصيانتها من التطلع الى حرام والفكر فيه، فمن حُرْم النية في هذه الأعمال فقد حُرْم خيرا عظيما كثيرا ومن وفق لها -نسأل الله أن يوفقنا جميعا- فقد أعطي فضلا جسيما ونسأل الله التوفيق لذلك وسائر وجوه الخير.

مسألة والله يعني لولا أن مفردات المادة كثيرة كنا توقفنا أمامها كثيرا. بدر الدين ابن جماعة يقول: "يجب أن يقصد المعلم بتعليم طلبته وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم وإحياء الشرع ودوام ظهور الحق وخمول الباطل، واغتنام ثوابهم وثواب من ينتهي إليه علمه"^{٦٩} انتهى، يعني أنتم توصلون لآخر وهكذا.

٦٨ بستان العارفين للنووي (ص ٢٩)
٦٩ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (ص ٤٧)

أنا إذا قصدت هذه النوايا تجرنا إلى سؤال: هل أستطيع ما يسميه العلماء تشريك النية؟ أن أشرك النية الواحدة وأعدد النوايا في طلب العلم؟ (نعم)

ما الضابط يا معلم اللي أستطيع ان نقول به ينفع اعمل نية ثانية أو لا؟ الضابط يا احباب انه إذا كان الشيء من قبيل الواجب أو الفرض لا يقبل معه نفل. بمعنى انا بصلي ماينفعش اقول انا باصلي الظهر والسنة القبلية معه لا يقبل، انا باصوم رمضان وباصوم كفارة أو نذر لأن هذا واجب وهذا واجب أو باصوم رمضان وباصوم يوم الإثنين. العلماء يسمون هذا واجب مضيق لا يقبل معه غيره

انا باصلي السنة القبلية وبعدين قلت أنوي بها تحية المسجد وأنوي بها طاعة وأنوي بها قضاء حاجة يجوز هذا؛ مسألة تشريك النية تجوز في أشياء ولا تجوز في أشياء.

اطلب العلم لرفع العلم ان نرفع الجهل عن نفسي هذه النية والإمام ابن حامد تكلم في مسألة تعديد النية في هذا، نشر العلم، إحياء الشرع، هذه ليست نية واحدة كل واحدة فيها نية، دوام ظهور الحق، احنا شايفين زحم من الباطن كثير جدا أنتم تزاحمون في الخير لتكثيره هذه نية، إغتنام الثواب مش بس إغتنام الثواب لهذه الجلسة بل من يبلغ عني أيضا أرجو ثوابه، بركة دعائهم والترحم علي، أن أدخل في سلسلة العلم أكون في سلسلة السند بين رسول الله ﷺ وبين طلاب العلم، عدّادي في جملة مبلغى الوحي وأحكامه أكون من الدعاة إلى ذلك، النبي ﷺ قال (إن الله تعالى وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير) انا أريد أن أكون في ضمن هذا. هذا أمر مشروع يعني هذا أمر يعتبر من النوايا التي جعلها الشرع مباحة ولا تختلف أبدا مع نية إرادة وجه الله عز وجل في الطلب، ابتغاء وجه الله، أكون من حملة الوحي الشريف، أكون من سلسلة السند الشريف، أرجو به الثوابت، كلها أمور تتعلق بالآخرة، بخلاف الوظيفة، المنصب، محبة الثناء، والمحمدة عند الناس إلى آخره. لا بد أن نفرق بينهما فبينهما شعرة كما يقال، فمسألة تشريك النية إذا كان في أمور الآخرة أو الأمور التي جاء الشرع بإباحتها، هذا أمر جائز ولا شيء فيه.

لكن لا تقول هذه لله وللرحم، فإنها للرحم وليس لله فيها شيء، والرحم إنسان تقصد به أن تجامل في هذا الشيء، لكن لو قلت هذه لله لأن الله أمر بها يقبلها الله عز وجل، والله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه معه غيره، تركته وشركه أو تركته للذي أشرك.

أهمية النية

صلاح العمل ونيل الثواب عليه يكون بالنية، ولذلك ابن المبارك رُب عمل صغير تعظمه النية، وعمل كبير تصغره النية، لا بد أن نفقه مثل هذه الأمور عمل كبير الجهاد -وسياتي هذا الحديث معنا- نشر العلم، التصديق

والجود، أعمال عظيمة جداً، لكن النية الحقيرة تصغر هذا العمل وتضيعه وتدمره. وعمل صغير مثل أن تزور فلانا لإدخال السرور عليه أو عيادته إذا مرض (ابن آدم مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي.) عمل ربما يبدو صغيراً لكن بهذه النية صار هذا العمل كبيراً. ومن عاقه عائق، فحال بينه وبين بلوغ المراد، يؤجر على النية. عمل صغير ولم تعمله وأُجرت.

أيضاً تمييز العبادات من العادات والعبادات بعضها من بعض، مثل الإمساك عن الأكل والشرب، ليس من أمسك حميةً أو لعدم القدرة أو شبعاً، كمن ترك طعامه وشرابه شهوته لله. فالنية هي التي تميز. حتى الصيام يحتاج إلى تمييز النية، هل هو صيام فرض أم نفل أم نذر أم كفارة. أم تطوع؟ المفردة الواحدة من العبادات تحتاج إلى أن تتميز. هل هو سنة قبلية أم بعدية أم فرض؟ هل الحج عن نفسي أم عن غيرك؟ وهنا تظهر أهمية النية.

أقوال العلماء في أهمية إخلاص النية في طلب العلم

الإمام النووي يقول "اعلم أن ما ذكرناه من الفضل في طلب انما هو في من طلبه مريداً به وجه الله تعالى لا لغرض من الدنيا ومن أراده لغرض دنيوي كمال أو رياسة أو منصب أو وجاهة أو شهرة أو استمالة الناس إليه أو قهر المناظرين أو نحو ذلك فهو مذموم، قال الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨] انتهى.

الإمام الشوكاني يقول: "أقول ما على طالب العلم أن يحسن النية ويصلح طويته ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده وبعث بها رسله وأنزل بها كتبه ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه كمن يريد به الظفر بشيء من المال أو يصل به إلى نوع من الشرف أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا أو جاه يحصله به فإن العلم طيب لا يقبل غيره ولا يحتمل الشركة والروائح الخبيثة إذا لم تغلب على الروائح الطيبة فأقل الأحوال أن تساويها"^{٧٠}، بل حتى هذه الإرادات إذا لم تغلب الإرادة الأصلية فأقل القليل أن تساويها في آخر الأمر، وبخوص هذا التساوي لا يبقى للطيب رائحة، أي أن النية الحسنة ستفقد رائحتها، "والماء الصافي العذب الذي يستلذه شربه يُكدره الشيء اليسير من الماء المالح فضلاً عن غير المائي من القاذورات، بل تنقص لذته بوجود القذاة فيه ووقوع الذباب عليه"، الماء الصافي العذب يغيره أقل شيء، "هذا بافتراض أن تشريك العلم مع غيره في حكم المحسوسات وهيئات ذلك"، وإلا فإنه لا وجه للمقارنة، "فمن أراد أن يجمع في طلبه العلم بين قصد

٧٠ المجموع شرح المذهب (٢٣/١)

٧١ أدب الطلب ومنتهاى الأدب (٢٨)

الدنيا وقصد الآخرة أراد الشطط، وغلط أقيح الغلط؛ فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة" انتهى، كما ذكرنا في البداية.

قال الإمام الغزالي: "الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء - أي مُساوٍ، ومع العصيان سواء" أي كأنك تعصي الله "والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال الله في كل عمل كان بإرادة غير الله مَشُوبًا مغمورًا: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال الإمام ابن القيم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملؤ جرابه رملاً يُثْقَلُه ولا ينفعه" لو أن إنسانًا سافر، هل يحمل في حقيبته ما يحتاج إليه من طعام وثياب ويضع فيها ما ينتفع به؟ أم يملؤها بأشياء ثقيلة تتعبه في طريق سفره وتزيد من المصروفات ثم لا ينتفع بها؟ "يُثْقَلُه ولا ينفعه"، إنه لأمر عجيب.

قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] قال الفضيل بن عياض: "أَخْلَصَه وَأَصَوَّبَه"، إذا كان العمل خالصًا لله لكن لم يكن صوابًا - لم يُقْبَلْ، أي إذا لم يكن على السنة، وإذا كان طلب العلم صوابًا على السنة كما طلبه السلف، لكن لم يكن لله، بل من أجل أن يُقال - لم يُقْبَلْ، فلا بد من أن يكون خالصًا صوابًا. قال الإمام النووي: "رُوينا عن السيد الجليل ذي النون ؑ أنه قال: ثلاث من علامات الإخلاص".

أي ما الذي يبين لي هل أنا مخلص أم لا؟ لهذا علامات:

- "استواء المدح والذم من العامة" فالسرور بكلام الناس عند المدح والشعور بالضيق عند الذم علامة على عدم الإخلاص، ولو قصدتُ الله ﷻ فأخطأتُ الطريق فما المشكلة؟ أليس الله ﷻ هو الذي يعلم النية؟ أوليس إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر؟
- "نسيان رؤية العمل" في العمل نفسه، أي أن لا يرى العبد عند عمله أنه يعمل شيئًا، وقد قال أحد السلف: "الإخلاص فُقْدُ الإخلاص" أي أن أرى أنني لم أفعل شيئًا.
- "واقترضاء ثواب العمل في الآخرة" بأن يكون كل ما أريده هو الأجر من الله ﷻ، وكذلك قال أبو عثمان المغربي: "الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق"، فلا نقيم للناس وزنًا. الناس لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضررًا فضلًا عن أن ينفعوني أو يضروني، فلأجل ذلك أُسْقِطُهُم من الاعتبار. لا بد لنا من أن نُجَبِّلَ موضع نظر الرب إلينا، لكن لا نُغْفَلُ أن الناس هؤلاء لا يملكون لأنفسهم شيئًا فضلًا عن غيرهم.

- ومن علامات الإخلاص أيضاً: "أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن" قال الفضيل: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك"، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وما أحسن قول سهل بن عبد الله الدستوري "ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب"، المسألة فعلاً شاقة على النفس ولذلك يقول لك "الإخلاص سهل ممتنع". مسألة الإخلاص أن أراقب الله ﷻ ويعني أسقط نظر الخلق لي مسألة ليست صعبة، لكن ذات النفس نفسها تحدثك بأنها تريد أن تُشبع هواها، فأشقى شيء أنت تطلبه من نفسك مسألة الإخلاص ليس لها فيه نصيب لن يظهر عز النفس وحب المحممة عند الناس.

يوسف بن حسين الرازي يقول: "أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر" انظروا كيف!، فالنفس تُسوّغ لك الشيء بطرق أخرى تتلون لك تنظر ما تهواه، أو ما تريد، يعني إذا كُشِفَت حقيقة النفس، فالنفس تبدأ تُسوّل لك تغيير لك طريقة حب المحممة والرياء وغير ذلك على لون آخر.

ولذلك كان من دعاء مُطرف بن عبد الله "اللهم إني أستغفرك مما تُبئت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أفي لك به، وأستغفرك مما زعمتُ أنني أردتُ به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت"، فالمسألة تبدو شاقة على النفس.

ويتساءل أحدُهم "يا مولانا نحن دخلنا ولا يوجد في الحساب مسألة النية ولا الكلام الذي تم ذكره اطلع من باب العلم واترك العلم؟"

لا فنقول من طلب العلم بغير نية أو بنية فاسدة، "رأيت رفاقي يطلبون العلم فطلبت كان هناك إعلان عن دورة علمية فالتحقت بدون نية مسبقة ودخلت من الباب لأجد علم مقارنة الأديان وأنا أحب أن أتباهى بعلمي وأتفاخر وأفحم النصارى قوم جهلاء وليس عندهم علم حتى بكتابهم ولا يفكرون، يعني أجد حظوة بين الناس".

الإمام بن عبد البر بوب باباً جميلاً، مراعاة للنفس البشرية قال: "باب الخبر عن العلم أنه يقود إلى الله تعالى على كل حال" أنا أسمى هذه بشارة، وأورد قول الحسن ﷺ قال: "كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة". فرضاً إن كنت قد طلبت العلم لغير الله، وأردتُ به ما قلنا من المسألة، وهذه مسألة بالطبع غليظة ومغلظة- كما سيأتي معنا في الأحاديث- فهل المخرج أن تترك العلم أم تتمسك بالعلم لتُصلح النية!؟.

فكيف تصلح النية؟ (عن طريق العلم) لما تقرأ في سير السلف الصالح وكيف أنهم أرادوا بعلمهم وجه الله ﷻ ومع ذلك رفع الله ﷻ مكانتهم وأغناهم من فضله إذا مسألة الغنى والوجاهه وما إلي ذلك ستأتي حتماً.

ولذلك العلماء كانوا يقولون "الخلاص في الإخلاص" إذا أردت الخلاص فعليك بالإخلاص. إذا أخلصت لله عَزَّ وَجَلَّ سيرزقك من حيث لا تحتسب، فهذه الأمور أصلاً لا تضعها في الحسبان، أمور تافهة عبد الرزاق يروي عن معمر يقول: "كان يقال من طلب العلم لغير الله يأبى عليه العلم حتى يُسيره إلي الله" العلم نفسه يقوده، لما ترى البذل وقوة البذل، وكثرته مع صعوبته تبخل أن يكون هذا لشئ من أمور الدنيا.

فمن حبيب بن ابي ثابت قال: "طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد"^{٧٣} انتهى، وسيدنا سفيان الثوري أيضاً قال مثل ما قال الحسن البصري "كنا نطلب العلم للدنيا فجزنا إلى الآخرة"^{٧٤} انتهى، وسيدنا الحسن يقول: "لقد طلب هذا العلم أقوامٌ وما أرادوا به الله وما عنده فما يزال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده"، وأبي حامد الغزالي صَدَّرَ هذا يقول أنه عندما ذهب إلى الأزهر قديماً كان يقصد أنه فقير والأزهر كان يعطي شيء اسمه (جزاية) الطعام أو وجبة، فقال "طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله"^{٧٥} انتهى. فمثلاً سَيِّدُنَا الإمامُ أَحْمَدُ أَنْظَرَ إلى تَوَاضَعِهِ لَمَّا سُئِلَ هل طَلَبْتُ الْعِلْمَ لِلَّهِ؟ قال: "أما الله فعزير ولكن شيء أحببته ففعلته"^{٧٦} انتهى، يعني أنا وجدت نفسي تميل لمسألة العلم .

فهذا يُقَاسُ عليه من قَبِيلِ تَوَاضَعِ الإمام أحمد فمسألة أن يأتي الشيطان ويُتَبَسَّ عليك ويقول لك هذه المسألة صعبة، ولا تطلب العلم فإنه ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبعين ألف مرة؟ إذا فالمسألة ليست هكذا وإنما أنا أحاول أن أتعلم كيف أجدد النية وكيف أخلص النية لله عز وجل وكيف أحسن القصد مع الله عز وجل وأبدأ أقرأ في سير العلماء الصالحين وأحاول أن أخلص النية لله عز وجل عن طريق القراءة. فعلي سبيل المثال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسعة كان يقول: "وَدِدْتُ لَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ تَعَلَّمُوا مِنِّي ثُمَّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ".

ولذلك من علامات أنك مُخْلِصٌ ولا ترغب في ثناء الناس؟ أن يكون عمك مُخْلِصاً لله وأن يكون القصد لله وحده فالعمل لأجل الناس شِرْكٌ.

التجرد في إتباع الحق وقبول النقد البناء والإذعان لتصحيح الخطأ

فأنا الآن طلبت العلم لله وهناك أحد أُرشدني إلى خطأ وأن أتعلم العلم لله إذاً فلا بد من التوقف عن هذا الخطأ. والعلماء الكبار وأخبار السلف كثيرة في هذا الباب طالما النقد بِنَاءٍ إذاً لأن أكون ذليلاً في الحق خير لي من أن أكون رأساً في الباطل. فأنا لا أريد الظهور ولكن أريد مسألة الوصول للحق فطالما الوصول للحق آخذه ولو كان عند الشيطان، فقد قال النبي ﷺ: (قَالَ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ).

٧٣ جامع بيان العلم وفضله (٧٤٩/١)

٧٤ جامع بيان العلم وفضله (٧٤٧/١)

٧٥ الشفا بتعريف حقوق المصطفى - وحاشية الشمني (٢٨١/٢)

٧٦ روضة المحبين ونزهة المشتاقين (٦٩/١)

فالمسألة لا بد أن أكون متجرد في إتباع الحق ولذلك سُئِلَ أَحَدُ السَّلَفِ مَا بَالُ كَلَامِ السَّلَفِ أَنْفَعُ مِنْ كَلَامِنَا أَجَابَ قَالَ: "لَا تَهُمُ تَكَلَّمُوا لِعِزِّ الْإِسْلَامِ وَنَجَاةِ النَّفُوسِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ وَتَحْنُ نَتَكَلَّمُ لِعِزِّ النَّفُوسِ وَطَلَبِ الدُّنْيَا وَرِضَى الْخَلْقِ"^{٧٧}، لذا الكلام ما خرج من القلب يصل إلى القلب وما خرج من اللسان لا يتجاوز الأذان فعدم التعلق بمسألة حب الظهور والشهرة فلا بد ألا أشغل نفسي بها، قال الربيع "سمعت الشافعي، ودخلت عليه وهو مريض، فذكر ما وضع من كتبه، فقال: لوددت أن الخلق تعلمه، ولم ينسب إلي منه شيء أبدا"^{٧٨} انتهى.

أي أنني أريد أن يتعلم الناس فسواء تعلموا عن طريق الشافعي أو غير الشافعي فلا إشكال في ذلك ولاكن أهم شيء أن الخير ينتشر وعدم تركية النفس وملاحظتها وعدم محاولة إظهار نفسي للآخرين وقول أنا ابن فلان وهكذا.

فمثلاً سيدنا الفضيل يقول: "يَا مُسْكِينُ أَنْتَ مُسِيءٌ وَتَرَى أَنَّكَ مُحْسِنٌ، -فمهما عملت لا بد أن تطعن في نفسك يَا مُسْكِينُ أَنْتَ مُسِيءٌ وَتَرَى إِنَّكَ مُحْسِنٌ- وَأَنْتَ جَاهِلٌ وَتَرَى أَنَّكَ عَالِمٌ وَتَبْخُلُ وَتَرَى أَنَّكَ كَرِيمٌ وَأَحْمَقُ وَتَرَى أَنَّكَ عَاقِلٌ أَجْلُكَ قَصِيرٌ وَأَمْلُكَ طَوِيلٌ"^{٧٩} انتهى، أضاف الإمام الذهبي قَالَ "أَيُّ وَاللَّهِ صَدَقَ وَأَنْتَ ظَالِمٌ وَتَرَى أَنَّكَ مَظْلُومٌ وَءَاكَلَ لِلْحَرَامِ وَتَرَى أَنَّكَ مَتَوَرِّعٌ وَطَالِبُ الْعِلْمِ لِلدُّنْيَا وَتَرَى أَنَّكَ طَلِبْتَهُ لِلَّهِ فَلَوْ أَنَّكَ أَنْتَ تَرَى فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ طَلَبْتَ الْعِلْمَ لِلَّهِ"^{٨٠} انتهى، فهذا معناه أنك لم تطلبه لله لذا دائم علي إتهام نفسك لأنه لا بد أن تتهم نفسك فالنفس هذه لا بد أن يكون الإنسان دائم الإتهام لها.

الإمام الذهبي يقول: "كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا وصاروا أئمة يُقْتَدَى بِهِمْ وَطَلِبُهُ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَوْلاً لَا لِلَّهِ وَحَصَلُوهُ ثُمَّ اسْتَفَاقُوا وَحَاسِبُوا أَنْفُسِهِمْ إِذَا فَكَانَ هُنَاكَ نَاسٌ طَالِبَهُ لِلْعِلْمِ لَآكِنَ لَيْسَ لِلَّهِ وَلَكِنَ لِنَفْسِهِ وَبَدَأَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فَجَزَّهْمُ الْعِلْمَ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي أَتْنَاءِ الطَّرِيقِ". كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: "طَلَبْنَا هَذَا الْعِلْمَ وَمَا لَنَا فِيهِ نِيَّةٌ ثُمَّ رَزَقَ اللَّهُ النَّيَّةَ بَعْدَ"، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ "طَلَبْنَا هَذَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَابَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ" فَهَذَا أَيْضًا حَسَنٌ ثُمَّ نَشْرُوهُ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ أَيُّ أَنَّهُ بَعْدَمَا صَحَّ نِيَّةَ الطَّلَبِ صَحَّ نِيَّةَ النَّشْرِ وَقَوْمٌ طَلَبُوهُ بِنِيَّةٍ فَاسِدَةٍ لِأَجْلِ الدُّنْيَا وَلِلنَّشَاءِ عَلَيْهِمْ فَلَهُمْ مَا نُوهِ. قَالَ ﷺ: (من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالا، فله ما نوى).^{٨١}

وترى هذا الضرب "القسم" لم يستضيء بنور العلم ولا لهم واقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل وإنما العالم من يخشى الله عز وجل. وقوم نالوا العلم وولوا به المناصب فظلموا وتركوا التقيد بالعلم، وكان مقصدهم ركبو الكبائر والفواحش) فتباً لهم فما هؤلاء بعلماء، وبعضهم لا يتقي الله في علمه بل ركب الحيل وأفتى

٧٧ شعب الإيمان - تحقيق زغلول (٢٩٧/٢)

٧٨ آداب الشافعي ومناقبه (٦٨)

٧٩ سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٤٤٠/٨)

٨٠ سير أعلام النبلاء - ط الرسالة (٤٤٠/٨)

٨١ [الراوي: عبادة بن الصامت | المحدث: الألباني | المصدر: تخريج مشكاة المصابيح | الصفحة أو الرقم: ٣٧٧٣ | خلاصة حكم المحدث: حسن لغيره]

بالرخص وروى الشاذ من الأخبار، وبعضهم اجتراً على الله ووضع أحاديث فهتكه الله وذهب علمه وصار زاده إلى النار.

إذاً بعد أن كان العلم باباً إلى الجنة صار باباً إلى النار، وهناك احاديث كثيرة حظرت من طلب الدنيا بالعلم، ومنها حديث الثلاثة الذين تصعر النار بهم يوم القيامة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ فقال: (إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلاناً قارئ فقد قيل ذلك، ويؤتي بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جري فقد قيل ذلك»، ثم ضرب رسول الله صل الله عليه وسلم على ركبتي فقال: "يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة".^{٨٢}

أيضاً عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).^{٨٣}

فمن تعلم العلم بهذه النوايا فكأنما يسلم نفسه تسليماً إلى النار، قال الفضيل بن زياد: سألت ابا عبد الله (الامام احمد) عن النية "قلت: كيف النية قال: يعالج نفسه" انتهى، إذاً فعلاج النفس يكون في عمل العمل لا يرد به الناس. الخطيب البغدادي عقد باباً سماه "باب النية في الطلب الحديث"، يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في قصده ويكون نيته بذلك وجه الله. وقال الثوري: "كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل"، أى أنه يتعلم النية لهذا العمل مثلما يتعامل العمل نفسه.

قال بعض العلماء: أطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تتوى خيراً فأنت بخير، وطريق ذلك الآتي؟

● أن تقرأ في سيرة السلف وكيف أن الله رفع ذكراهم في العالمين

٨٢ [المحدث: الألباني | المصدر: صحيح ابن خزيمة | الصفحة أو الرقم: ٢٤٨٢ | خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح رجاله ثقات] في حديث الامام مسلم رواه ايضا البخاري وغيرهم في كتب السنة باختلاف الفاظه
٨٣ [المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب | الصفحة أو الرقم: ١٠٥ | خلاصة حكم المحدث: صحيح لغيره | التخريج: أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد (٨٤٥٧)]

- تجدد النية
- تراعي النفس وتحسبها
- تذكير النفس أن الخلق لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً
- أن تكون وحيداً لواحد في طريق واحد وأن تعلم أن الله لا يقبل التشريك
- تعلم أن الناس غاية لا تدرك فأنت لن تستطيع أن تدركها
- أن محاولة إرضاء الناس شقاء للنفس
- وأن إلتماس راحة النفس من خلال وحدة الغاية والاتجاه في الحياة.

أحد العلماء يقول: ولا يريح النفس الإنسانية شيء كوحدة وجهتها وغايتها في الحياة فتعلم من أين تبدأ وإلى أين تسير ولا يشقى النفس الإنسانية شيء كتعدد وجهاتها وغاياتها في الحياة" انتهى، فمرة ترضى زيدا فيغضب عمراً وأخرى ترضى عمراً فيغضب زيدا. فالمسألة أن تجعل الهمهما واحداً وهو رضي الله عز وجل، وأجعل العمل علي مايرضيه وهو طريقه، إذاً غايتك هي رضي الله والعمل علي مايرضيه، هاهنا النفس تعرف من أين تبدأ وإلى أين تسير طريق واحد. أما اذا أردت رضي الناس لن يجمع الناس عليك، فالناس لم يجمعوا على خالقهم ورازقهم.

قال رجل للحسن البصري رضي الله عنه " إن أناساً يجلسون إليك ليجدوا بذلك إلى الوقعة سبيلاً، أناسٌ يجلسون في المجلس ليأثروا السقطات"، لذا قال "إنَّ الناسَ لم يَرْضُوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم!"، فأناسٌ لم يَرْضُوا عن الله ﷻ الذي يرزقهم فهل يَرْضُونَ عن مخلوق! فلم يشغل نفسه أن هؤلاء يتتبعوا سقطات هذا العالم. أيضاً أحد العلماء لما ستموه قال "ومن من الأنبياء لم يُشتم! فليتأسى بهم أتباعهم في الصبر والتجاوز، قالوا الإله ذو ولد، قالوا الرسول قد كهننا، لم يسلم الله والرسول معاً من لسان الورا فكيف أنا".

يعني إذا كان الله ﷻ ونبيه لم يسلموا من البشر، فهؤلاء ينبغي أن تُسقطهم من اعتبارك ولا تجعل لهم قيمة، في مسألة الناس أقل ما يُقال فيها، حب الناس والتعلق بهم هذا من الإفلاس، الإنسان يستأنس بالله ﷻ وما عند الله لا يضيع لأن الله يُحاسبنا على مَنَاقيل الذرِّ من الخير ومن الشر، فالإنسان لا يتعلق بالناس، أعتذر إن كنت أطلتُ وأعتذر على الانقطاع.

الأصول التي يحتاجها طالب العلم

آداب طالب العلم في نفسه (السمات الشخصية)

العمل بالعلم

يقرن ربنا سبحانه وتعالى دائماً بين الإيمان والعمل فيقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]، لم يُذكر الإيمان منفرداً فيما أعلم قط، والإيمان -مجرد الإيمان- هو تصديق جازم، ومع هذا لم يأت منفرداً عن العمل لأن قيمته في العمل به، فإذا قلنا الإيمان بالله، مثل أنا أو من بوجود الله، أنا أو من بالملائكة، بالرسول، بالكتب، فما الذي يبني على هذا العلم الذي أمنت به؟ إذاً لا بد أن يقترن هذا الإيمان وهذا الاعتقاد الجازم بالعمل.

الأمر الثاني هو سؤال الله للعالم عن علمه: ونحن ذكرنا في تائية الألبيري وهو يوصي ابنه فيقول: "فلا تأمن سؤال الله عنه بتوبيخ: عَلِمْتَ فما عَلِمْتَ؟" انتهى، فهذا أساس؛ أن يُسأل الإنسان عن علمه. عن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدمًا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يسألَ عن عُمرِهِ فيمَ أفناه؟ وعن علمِهِ فيمَ فعلَ فيه؟ وعن مالِهِ من أينَ اكتسبَهُ؟ وفيمَ أنفقَهُ؟ وعن جسمِهِ فيمَ أبلاه؟)^{٨٤}.

إذاً أحد الأسئلة التي توجه للإنسان يوم القيامة عن العمل بالعلم، أيضاً من خلال مقولات السلف يتضح أن العلم في مفهوم السلف لا يُطلق إلا على العمل به، وقد قلنا سابقاً أن السلف كانوا يعدّون الذي يحفظ العلم ولا يعمل به مجرد وعاء ناقل للعلم لا أكثر، فلا يطلق عليه عالم. سيدنا عليّ -من جملة أقوال السلف- يقول: "يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اِعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ فَوَاقِقَ عَمَلُهُ عِلْمُهُ، سَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يُخَالِفُ عِلْمُهُمْ عَمَلُهُمْ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حَلَقًا حَلَقًا فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ إِذَا جَلَسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدْعُهُ، أَوْلَيْكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"^{٨٥} انتهى، بمعنى أنه لو أنني إنسان عالم بحق، فما الذي يغضبني في أن يتجه طالب العلم إليّ أو إلى غيري! السبب هو المنافسة في الدنيا وحب الدنيا، والأصل في العلم أنه يخلص الإنسان من الأمور الدنيوية.

الخطيب البغدادي قام بعمل كتاب رائع جداً ينبغي أن يُراجَع اسمه "اقتضاء العلم العمل"، وذكر جملة من الفصول في هذا الكتاب منها التخليط على من ترك العمل بالعلم وعدل إلى ضده، ودم طلب العلم للمباهاة به وللممارسة فيه، ولمن قرأ القرآن للصيت والذكر ولم يقرأه للعمل به، فيكون مجرد قارئ رزقه الله صوتاً ندياً، فيركز اهتمامه -بدل الاعتناء بالعمل بالقرآن- بتحسين الصوت أمام الناس فقط. ودم التفقه لغير العبادة، فذاك يريد

٨٤ الراوي: أبو برزة الأسلمي نضلة بن عبید | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترغيب الصفحة أو الرقم: | 126 خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧)، وأبو يعلى (٧٤٣٤) باختلاف يسير.
٨٥ «مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب»: (٨٥)

أن يتفقه لكي يتباهى على الناس أو يتفاخر بهذه المسائل لا لكي يحسن من عبادته. أيضاً من ضمن الفصول التي عقدها كراهية طلب الحديث للمفاخرة وعقد المجالس واتخاذ الأتباع والأصحاب، وهذا سائد كثيراً في طلب الإجازات، فكثير من الناس يهتم بمسألة الرواية، لا الدراية والرعاية؛ فالعلم عندنا له ثلاثة أركان:

١. الرواية وهي التحمل: من الممكن أن نقل كلاماً لا افهم معناه، وأكون مجرد ناقل أو راوٍ فقط.

٢. الدراية وهي الفهم: الدراية أن افهم الكلام الذي نقله.

٣. الرعاية وهي العمل: العمل بهذا العلم المنقول والمفهوم.

احفظوها جيداً! لذلك الخطيب البغدادي صدر هذا الكتاب بقوله: "ثم اني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة -العلم بمثابة الشجرة، وهذه الشجرة إن لم تثمر لن يكون لها فائدة- وليس يُعدُّ عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً" انتهى. وقيل: "العلم والد والعمل مولود" انتهى، و"العلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما" انتهى، أي لا العلم يصلح وحده بعيداً عن العمل، ولا العمل يصلح بغير علم. ولذلك هناك كلمة للشيخ الغزالي يقول فيها: "علم بغير عمل جنون، وعمل بغير علم كيف يكون؟ - أي العمل إذا لم يُبنى على العلم كيف يكون؟ يكون عملاً فاسداً- وما من شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقه، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته" انتهى. سيدنا أبو الدرداء يقول: "إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً" انتهى. ويوسف بن الحسين يقول: "في الدنيا طغيانان: طغيان العلم وطغيان المال، والذي ينجيك من طغيان العلم العبادة، والذي ينجيك من طغيان المال الزهد فيه" انتهى. وقال أبو قلابة: "إذا أحدث الله لك علماً فاحذر له عبادة، ولا يكن همك ما تحدث به الناس" انتهى، بمعنى أن لا يكون هم الإنسان عند طلبه العلم هو الرواية فقط، أي أن يأخذ العلم وينقله، وأنت ماذا انتفعت! فيكون كشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها، وكالإبرة تخطئ للناس وهي عارية. سيدنا الحسن يقول: "همة العلماء الرعاية - أي هم العالم أنه عندما يأخذ العلم يعمل به- وهمة السفهاء الرواية" انتهى، ففي نظر الإمام الحسن أن الذي يهتم بمجرد النقول، والاختلافات، والأقوال، والحفظ فقط دون النظر إلى روح العلم وثمرته هو بمثابة سفيه. سيدنا علي يقول: "هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل" انتهى. وفضيل ابن عياض يقول: "لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به" انتهى، سبحان الله! معه علم لكنه يكون جاهلاً فإذا عمل به كان عالماً، سيدنا الإمام الشافعي يقول: "ليس العلم ما حُفظ، العلم ما نفع، ومن ذلك دوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع لله والخضوع" انتهى، فهذه كلها أمارات على العلم، ولا بد للعلم أن يظهر على سمت الإنسان، فإن لم تظهر هذه السمات على العالم فكأنه لم ينتفع بعلمه. ولذلك سيدنا مالك بن دينار يقول: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه

زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزَلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَا (الحجر الأملس) انتهى، والقطر هو الغيث أو المطر النازل من السماء، موعظة هذا العالم الذي لم يعمل بعلمه، لن تكون ذات أثر عند الناس ولذلك قالوا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتمها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمري أنت جانها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال قائل:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عازٌّ عليك إذا فعلت عظيم

وابن السماك رحمه الله يقول: "كم من مذكرٍ بالله ناسٍ لله -نسأل الله ألا يجعلنا منهم-، وكم من مخوفٍ بالله جريءٍ على الله، وكم من مقرّبٍ إلى الله بعيدٍ من الله، وكم من داعٍ إلى الله فارٌّ من الله، وكم من تالٍ كتاب الله منسلخٍ عن آيات الله" انتهى، وسيدنا إبراهيم بن أدهم يقول: "لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن، ولحنّا في أعمالنا فلم نعرب" انتهى، والخطيب البغدادي نقل أيضاً نص يقول:

اعْمَلْ بِعِلْمِكَ نَعْنَمَ أَيُّهَا الرَّجُلُ لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ الْعَمَلُ
وَالْعِلْمُ زِينٌ وَتَقْوَى اللَّهِ زِينَتُهُ وَالْمُتَّقُونَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِمْ شُغْلٌ
وَحُجَّةُ اللَّهِ يَا ذَا الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ لَا الْمُكْرُ يَنْفَعُ فِيهَا لَا وَلَا الْحَيْلُ
تَعْلِمُ الْعِلْمَ وَاعْمَلْ مَا اسْتَطَعْتَ بِهِ لَا يُلْهِبَنَّكَ عَنْهُ اللَّهْوُ وَالْجَدَلُ

فلا يكن همك أن تجادل بهذا العلم أو تلهو عنه، والخطيب البغدادي أيضاً يقول: "العلم يراد للعمل كما العمل يراد للنجاة، إذا كان العامل قاصراً عن العلم، كان العلم كلاً على العالم (حمل عليه)، ونعوذ بالله من علم عاد كلاً، وأورث ذلاً، وصار في رقبته صاحبه غلاً" انتهى، وقال بعض الحكماء: "العلم خادم العمل والعمل غاية العلم فلولو العمل لم يطلب العلم. ولولا العلم لم يطلب عمل ولأن أدع الحق جهلاً به أحب إلي من أن أدعه زهداً فيه" انتهى.

مظاهر العمل بالعلم

كيف أعرف أنني ملتزم؟ الخطيب البغدادي وضع كتاباً كاملاً عن هذا الموضوع وهو "اقتضاء العلم العمل"، وأشار إليه أيضاً في كتابه "آداب الراوي"، وأشار إليه ابن جماعة في كتاب "آداب العالم والمتعلم" و"تذكرة السامع"، كما أشار إليه أبو حامد الغزالي في كتاب "العلم"، وكل من كتب في طلب العلم أشار إلى هذا الموضوع، أو إلى جملة من هذه الأقوال وغيرها الكثير، مما يدفع الإنسان ولا بد إلى أن يضع أمامه أهدافاً إذا

دخل هذا المجال، وأول هذه الأهداف أن يعمل هو نفسه بهذا العلم، ثم يبلغ هذا العلم، فيكون هكذا قد نفع نفسه ونفع الناس.

هناك مظاهر نعلم من خلالها أننا نعمل بهذا العلم:

- الاعتناء بالجانب التعبدي فرضاً ونفلاً: حيث يستحيل أن يكون هناك أحد مشتغل بالعلم الشرعي ولا يصلي، أو لا يعطي الصيام حقه، أو لا يهتم بمسألة الفرائض ولا بمسألة النوافل، هذه طبيعاً فيما يحمل من العلم حتى لا يقال له: لو كان خيراً لسبقونا إليه، وهذا الجانب مما ينبغي أن ينتبه إليه طالب العلم، وهو أن يعيد العلاقة بينه وبين الله، لماذا؟ لأنه في طلب العلم يحتاج إلى العناية والعون والتوفيق من الله عز وجل. فمثلاً لو كنت في مناظرة، فمن الممكن أن تكون معي الحجة ولكنها تعزب عني (تُحصِر)، أي معي الحجة ولا أستطيع التعبير عنها، لذا يقول القائل: "أعذني رب من حصر وعي ونفس أعالجها علاج"^{٨٦} انتهى، فمن الذي يوفقنا في مثل هذا الموقف؟ الله ﷻ، ولذلك يقول قائل:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ إِجْتِهَادُهُ^{٨٧}

أي إذا لم يُعِنك الله على ما أنت فيه، فاجتهادك وذكاءك هذا من الممكن أن يتبخر في لمحة للبصر.

- المحافظة على تلاوة القرآن والأذكار المطلقة والمقيدة: مهما كانت علاقتك بأي فرع من العلوم، لا بد أن تحافظ على شيء من تلاوة القرآن والأذكار المطلقة والمقيدة وهذا أقل شيء يفعله طالب العلم. وهنا يُذكر أن الإمام ابن تيمية -رحمة الله عليه- كان عندما يستشكل مسألة يستغفر الله عز وجل أكثر من ألف مرة حتى تُحل، فأنت إذا لم تكن على هذا؛ أي على طلب العون من الله عز وجل، ولم تدع الله عز وجل: "يا معلم إبراهيم علمني، يا مفهم سليمان فهمني" فكيف يكون لك ذلك؟ إذاً لا بد أن يكون لك علاقة بالله وذخر ورصيد روحي لإشباع الروح؛ لأن هذا غذاء من أغذية الروح .

- بذل العلم وخدمة الخلق: سأضرب مثلاً يجمع بين هذين الأمرين بسيدنا عبد الله بن المبارك، الذي كان يقال له: "إذا صليت معنا، لم تجلس معنا؟ قال: اذهب مع الصحابة، والتابعين، قلنا له: ومن أين الصحابة، والتابعون؟ قال: اذهب انظر في علمي؛ فأدرك آثارهم وأعمالهم، ما أصنع معكم؛ أنتم تغتابون الناس" انتهى، أي أنه غير متفرغ للجلوس معهم، وهو عندما يقرأ حديث رسول الله كأنه يجلس مع رسول الله، وعندما يقرأ عن الصحابة في سيرهم كأنه يجلس مع الصحابة رضوان الله عليهم. ومع ذلك جاءه ذات مرة شخص عليه دين، وقد جاء يطلب سبعمائة درهم، فكتب له سيدنا عبد الله بن المبارك سبعة آلاف دينار، فراجع خازن المال سيدنا عبد الله قائلًا له: "أن المال سينفد"، فقال له عبدالله: "أمضي ما سبق به

^{٨٦} القائل هو النمر بن تولب: النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر "الرباب" ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهاياً لماله. يشبه شعره بشعر حاتم الطائي. أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم.

^{٨٧} علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

القلم^{٨٨}، أي بما أنني كتبت كلمة فلن ارجع بها. فهذا يدل على أن سيدنا عبد الله بن المبارك مع حرصه على طلب العلم وعدم الجلوس مع الناس، إلا أنه كان حريصاً أيضاً على خدمة الخلق، وأيضاً نموذج الليث بن سعد وقد كان فقيهاً من الفقهاء، وله مذهب من المذاهب، ولكن مذهب مندثر. وقد قيل: "الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به". الليث بن سعد كان رجلاً غنياً جداً، وكان بينه وبين الإمام مالك مراسلات، وقد أثنى الإمام مالك على كرم الليث بن سعد، جاءت له امرأة تطلب منه عسلاً، وقد كان لديه مزرعة نحل، فطلبت كوباً من العسل، فأعطاهَا مَرَطاً (المَرَط ما يوزاي مائة وعشرون كيلو)، فقالوا: يا إمام؛ إنما سألتك كوباً، فتعطيها مرطاً؟! قال: سألتنا على قدرها وأعطيناها على قدر عطاء الله لنا^{٨٩} انتهى.

فأنا أرى أن طالب العلم لا ينفك يبذل العلم، ومع ذلك يحاول أن يخدم الخلق، والخلق كلهم عباد الله، من يُحسن إليهم يدركه من رحماته، ومن أفعال الخير أن تلقى أخاك بما يسره ولو من البسمات، وتعينه في كل ما يحتاجه حتى ولو بمجرد الكلمات، أي يمكن أن تُعين الإنسان بكلمة.

● البعد عن الذنوب والمعاصي: حسناً، قد يقول شخص: هذا أمر قد يحدث فيه انتكاسات! ويقال له: هذه طبيعة، ما سُمي الإنسان إلا لنسيانه، ولا القلب إلا لأنه يتقلب.

الإمام ابن الجوزي يحكي عن نفسه فيقول: "لولا خطايا لا يخلو منها البشر، لقد كنت أخاف على نفسي من العجب. غير أنه عز وجل صانني، وعلمني، وأطلعني من أسرار العلم معرفته، وإيثار الخلوة به، حتى أنه لو حضر معي معروف وبشر لرأيتها زحمة، ثم عاد فغمسني في التقصير والتفريط حتى رأيت أقل الناس خيراً مني. وتارة يوقظني لقيام الليل ولذة مناجاته، وتارة يحرمني ذلك مع سلامة بدني، ولولا بشارة العلم بأن هذا نوع تهذيب وتأديب لخرجت إما إلى العجب عند العمل، وإما إلى اليأس عند البطالة"^{٩٠} انتهى، أي أنه كان له علاقة مع الله في ميازين القرب ثم ألقاه الله عز وجل في المعاصي، أي رأى انتكاسة، لكن الإمام ابن الجوزي يقول: العلم يجعلني لم أياس في هذه اللحظة. إذا أنت ابتعدت عن الله عز وجل فكيف ستعود إليه بغير علم إذا؟ قال: ولا ساعة الإقبال وقعت في العجب. إذا العلم نفعه في الحالتين؛ طهره من العجب حالة الإقبال على الطاعة، وأيضاً منعه من اليأس عند الإنزلاق إلى المعصية، لأنه يعلم أن المعصية قد تكون من قبيل التأديب؛ أن الله عز وجل يؤدبك بها، فالإمام ابن عطاء الله يقول: "ربما قضى عليك بالذنوب فكان سبباً للوصول، وربما فتح لك باب الطاعات ولم يفتح لك باب القبول" انتهى، أي ربما يكون الإنسان طائعا لكن من داخله عنده كبر، ويرى نفسه رباً على الخلق،

^{٨٨} عن علي بن خشرم، قال: "حدثني سلمة بن سليمان، قال: جاء رجلٌ إلى ابن المبارك؛ فسأله أن يقضي ديناً عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلمَّا ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم، وإذا عبدالله قد كتب له أن يُعطيته سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إنَّ الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبدالله: إن كانت الغلات قد فنيت؛ فإنَّ العمر أيضاً قد فني، فأجزَّ له ما سبق به قلبي."

^{٨٩} القائل هو الإمام الشافعي رحمه الله.

^{٩٠} صيد الخاطر

ويحتقر الناس، لذا ابن رجب يقول: "رُبَّ نائم خير من قائم" انتهى، فإذا كان قيامك هذا يجعلك تنظر للناس نظرة دونية، وأنتك الطائع الوحيد، وأنتك تأخذ الجنة عن استحقاق، فهذه ليست طاعة فربما لا يتقبل الله منك لوجود مثل هذه الأشياء في نفسك

الإمام ابن القيم يقول: "الذنب يظل مُطارداً للإنسان، ويضعه نُصب عينه، فكلما تذكره أحدث له إنابةً واستغفاراً وتوبةً" انتهى، فهذا يأخذ بيدك إلى الله ﷻ، ولذلك سيدنا ابن عطاء الله السكندري أيضاً له مقولة يقول: "رُبَّ معصيةٍ أورثت ذلاً وانكساراً، خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزاً واستكباراً" انتهى، الشاهد من كل ذلك هو أن الوقوع في الذنب والمعصية، لا يجب أن يجعل الإنسان يقول: أنا هكذا أعارض العلم؛ لذا سأترك العلم!، فما الذي يجعلك تبتعد عن الذنب والمعصية إلا العلم، فالمسألة تحتاج إلى موازنة. قال رجل للحسن البصري رضي الله عنه: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا، قال: "وهل رأيت فقيهاً بعينيك، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، [زاد الدارمي والأجري والخلعي: الراغب في الآخرة]، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه" انتهى، هذا هو الفقيه الحقيقي، وليس العالم والحُجة والأثري والسلفي، وليس له من العبادة نصيب ويُعجب بنفسه، لا، العالم غير ذلك، بل هو:

يَرَى نَفْسَهُ بِالِدَمِّ أَوْلَى لَأَنَّهَا ... عَلَى الْمَجْدِ لَمْ تَلْعُقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْأَلَا^{٩١}

الإعتناء بتزكية النفس في طلب العلم

أريد أن أقول أن كل الكوارث الموجودة عند بعض طلبة العلم سببها عدم الاعتناء بتزكية النفس في طلب العلم. والتزكية يا أحباب تطهير وتنمية. (تطهير: إخراج) و(التنمية: زيادة). والله سبحانه وتعالى بعد أطول قَسَم في القرآن الكريم يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، أي عندنا تخلية وتحلية؛ التحلية من القبيح، والتحلية بالصحيح، وهناك جملة من المذمومات ينبغي على الإنسان أن يتطهر منها، فلا يليق بطالب العلم أن يكون:

- كاذباً، وربما يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكذب على الله، ويكذب على العلماء ويتجنى عليهم.
- كثير الغضب.
- عنده كبر، يتكبر على طلب العلم، فالعلم يضيع بين الحياء والكبر، والمقصود أنه طالما تكبرت لن تتعلم.
- عنده عُجب: تعلم مسألة فصار مَضْرِب المثل عند نفسه.

^{٩١} من متن الشاطبية

- الحسد خصوصاً بين الأقران، ولذلك الإمام الذهبي (و من العلماء من هم خبراء في النفوس) يقول: "كَلَامُ الْأَقْرَانِ إِذَا تَبَرَّهْنَ لَنَا أَنَّهُ بِهَوَىِّ وَعَصِيَّةٍ، لَا يُنْتَقَتُ إِلَيْهِ، بَلْ يُطَوَى، وَلَا يُرَوَى"^{٩٢} انتهى، لأن دافعه قد يكون الحسد، فأنا حين أقول كلمة سيئة في حق قريني المعاصر لي، ربما يكون باعثها عدم الإنصاف لأنني أراه كثير الأتباع وله جهود مميزة وكذا، ولذلك فالعلماء وضعوا قاعدة وهي: كلام الأقران يُطوى ولا يُروى (أي كلام فلان في فلان إذا كان معاصراً له لا يروى)، فالعلماء يتغايبون كتغاير التيوس في الزربية (يتناطحون كالأكباش)، ولو شئنا لسردنا في ذلك الكثير، ولقد حدث مثل ذلك بين كبار العلماء مثل ما حدث بين السخاوي والسيوطي، وبين بدر الدين العيني وابن حجر وغيرهم الكثير^{٩٣}.
- سوء الظن، الحقد، الهوى، البخل، الحرص، القسوة، والغفلة كل هذه الأمور ينبغي لطالب العلم البعد عنها وأن يظهر نفسه منها، والإمام الذهبي له كتاب رائع اسمه "زُغَلُ الْعِلْمِ" (والزغل معناه الغش أي أن الكتاب يتحدث عن العلم المغشوش) تكلم فيه عن:
- أنواع العلوم وما يحدث فيها: مثل علم الحديث، فتكلم عن الناس الذين يعتقدون بالروايات فقط والإجازات والسماع، وهم في الأصل جهلة لا يفقهون شيئاً في هذا العلم.
- القراء الذين يراعون حلوة الصوت دون مراعاة الأحكام، وإعجاب الناس دون مراعاة الله عز وجل.
- التعصب المذهبي (المالكية، الشافعية، الحنابلة، الحنفية)، وقيل: "إِعلم أن في كل طائفة من علماء هذه الأمة ما يُذم ويُعاب فتجنبه" انتهى، لذلك فأنت ينبغي عليك تجنب ما يُذم وما يُعاب في أي شيء حتى في العالم. وقد تساءل بعضهم: قد يكون هناك عالم عنده قسوة مثلاً فهل نأخذ منه العلم؟ والإجابة نعم، فليس هذا مبرراً لكي لا تأخذ منه العلم، فخذ ما ينفعك ودع ما يضررك، فالعالم ليس بالضرورة القدوة في كل شيء.

باختصار: لا أحد حجة عن الإسلام فالمصادر الأصلية النقية، وفعل السلف الموافق لها هو الميزان الذي نزن عليه الناس، فالخلاصة ما يُذم ويُعاب تجنبه، وخذ ما صفا ودع ما كُدر، فالعلم آفته الإعجاب والغضب، والمال آفته التبذير والنهب.

^{٩٢} و قال أيضاً: "كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، لا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، وما ينجر منه إلا من عصم الله، وما علمت أن عصراً من العصور سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كرايس".
^{٩٣} أذكر هذه النصيحة التي ذكرها السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة الحارث المحاسبي: ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر إلى كلام بعضهم في بعض، إلا إذا برهان واضح، ثم إن قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك وإلا فأضرب صفحا عما جرى بينهم، فإنك لم تخلق لهذا، فاشتغل بما يعينك ودع مالا يعينك ولا يزال طالب العلم نبيلاً حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضى لبعضهم على بعض، فأياك أن تصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري أو بين مالك وابن أبي ذئب. أ.هـ.

كيف نتخلص من الصفات المذمومة؟

أولاً: لا بد من معرفة السبب المؤدى إلى الكبر فاقراً في كتب تهذيب السلوك مثل:

- "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي.
- "أدب الدنيا والدين" للإمام الماوردي.
- "أدب النفوس" للإمام أبو الحارث المحاسبي.
- "مداواة النفوس" لابن حزم.

ثانياً: ابحث في نفسك عن أسباب الكبر فإذا كان بسبب:

- العمل: فهو هبة من الله عز وجل، وهو قادر على أن يسلبك القدرة على العمل.
- العلم: فهو هبة من الله، وينبغي عليك أن تُحدث (تقدم الشكر والحمد) شكر لله على هذا العلم.
- العشيرة والعقيلة (الأهل والعائلة): وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي أن من أهم أسباب الكبر العشيرة والعقيلة، ووضع لهذه الأسباب علاجاً في كتابه.
- المال، الولد...إلخ.

فابحث في نفسك عن هذه الآفات وابدأ في التخلص منها عن طريق معرفة الأسباب وإزالتها.

ثالثاً: ترويض النفس وتعويدها على مكارم الأخلاق:

ولكن هل يتم التغيير بين يوم وليلة؟ بمعنى إنه إذا كنت إنساناً غضوباً (سريع الغضب) فهل سأصبح بين يوم وليلة إنساناً حليماً؟

الإجابة بالطبع لا، عليك بالترويض والمران لاكتساب المحمود، فالنبي محمد ﷺ علمنا: (إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتعلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه)^{٩٤}، وكلمة تحم وتعلم وتصبر على وزن "تفعل"، إي فيها إحداث مشقة على النفس البشرية، فالأمر ليس من مرة واحدة، (فاصبر) وبإذن الله ستستقيم. وأعتقد أن الإمام

^{٩٤} صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٦١) حكم الحديث: حسنه الألباني

الغزالي يقول: "من تعود الخير، صار الخير له عادة" انتهى، وعلماء التربية أيضاً يقولون: العادة أسلوب من أساليب التربية، والمقصود بأن تتعود مثلاً:

- أنا إنسان حريص وبخيل: أبدأ أتعود على الكرم.
- إنسان كذاب: أبدأ أتعود على الصدق.
- إنسان غضوب: أبدأ أتصبر وأتلم.

فائدة: مقولة إن الطبع يغلب التطبع، علماء السلوك والإمام أبو حامد ردوا عليها، وقالوا أنه إذا كانت هذه المقولة صحيحة فلن يستطيع الإنسان أن يُقوم سلوكه ويُغيّر من عاداته، وإذا لبطلت الوصايا والمواعظ وما تحدث الفقهاء والعلماء، ولبطلت رسالات المرسلين، فاذا كان الإنسان قد طُبع على الكفر فلماذا ندعوه للإيمان؟ أو إذا كان قد طُبع على الكذب فلماذا ندعوه للصدق! وبالتالي تبطل كل الرسالات، والإمام أبو حامد ضرب مثلاً رائعاً فقال: "ألم تر أن الكلب تحول من الشراهة إلى التآذب والإمساك، والفرس تحول من الجموح إلى السلاسة والانقياد" انتهى، كل هذا بالترويض على الأخلاق والسلوك لهذا الحيوان الأعجمي، فإنك إن أدبته وروضته تأدب وتعلم، فكيف مع الإنسان الذي وهبه الله عقلاً؟.

رابعاً: أن تنظر للعاقبة:

فلا يصح أن يؤخذ عني أنني مثلاً غضبت في مناظرة، وارتفع صوتي، أو أهنت فلاناً لأن هذه مسألة دين، وكما قال الدكتور رؤوف شلبي فإني لا أسيء إلى نفسي بقدر ما أسيء إلى معتقدي وديني، فيقال حينها إن دينه يشرعن له البذاءة والفحش. لذلك ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، و"أحسن" على وزن أفعل صيغة التفضيل، "إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ": اعتقد البعض أن المقصود هو أن نجادل الذين ظلموا ولكن ليس بالتي هي أحسن، لكن العلماء قالوا أن المقصود منها أن لا تجادلهم مطلقاً؛ لأنهم ظلمة وعندهم كِبَرٌ، والمناظرة لن تأتي بثمار، فالمفروض أصلاً ألا تتم مناظرتهم، لا أن تناظرهم بالسوء، لماذا؟ لأنك في كل الأحوال صاحب حق، والحق قوي في نفسه، فحتى لو كابر في هذا الحق، وسقته له بلطيف العبارة وقوي الحجة ونصاعة البرهان عندك، وهو لم يستجب، وانتهت المناظرة أو المحاججة على هذا، فأنت في هذه الحالة تكون قد تركت عنده حقاً يطارده ويصارعه في الداخل، ويصارع الباطل الذي عنده، هذا أمر، والأمر الثاني أن الناس رأوا أن الحق قوي في ذاته ولا يحتاج إلى هذا العبث (الذي نراه أحياناً أثناء الجدل والمناظرة).

فالحقيقة أنه لا يُنصر الحق إلا بالحق، انظروا إلى أئمة الهدى كالإمام أحمد، له دعاء غاية في الروعة والجمال يقول فيه، اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق

هؤلاء فعلاً هم الذين كانوا يريدون الهدى للناس، فنحن دعاء ولسنا قضاة وحكام على الناس، ولذلك الإمام ابن حزم في فقه النصيحة له كلمة غاية في الروعة يقول فيها: "لو أنك نصحت على شرط القبول فأنت طالب ملك لا طالب نصيحة"^{٩٥} انتهى، كأن تقول للناس صلوا فلا يستجيبوا فتصرّ عليهم، فأنت بهذا تريد أن تكون ملكاً أو أميراً يقول للناس افعلوا والناس تسمع الكلام وتطيع فقط، من قال أن هذه نصيحة؟ النصيحة هي أن تبين للناس أوجه الخير (و تسمى الخلوص أي التصفية)، فأخلص لك الأمر من شوائبه وأقول لك هذا هو الخير، ثم أنت حر في أن تأخذه أو تدعه، وألا أقوم بتنصيب نفسي ملك وأمير على الناس، وأمر الناس وأنهاهم، فهذا يكون طالب ملك وليس مقدم نصيحة.

إذ إن هذه المسألة تحتاج إلى كبير نظر، مسألة التخلص من مذموم الأخلاق، لا سيما فيما يتعلق بمسألة العلوم، والتعود على الخير، فإذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع، فعندما لا أستطيع أن أضبط نفسي في المناظرة فالأولى ألا أنظر، توجد أكثر من ألف وسيلة للدعوة إلى الله عز وجل، منها الدرس والخطبة والمحاضرة والمقال والرسالة والقدوة والسلوك وغيرها أشياء كثيرة جداً، أما الإصرار على نصر الإسلام عن طريق المناظرة والتمسك بها وأنت لا تجيدها ولا تجيد أخلاقها ولا العلم بها ولا آفاتنا، فهذا مرض نفسي. هذه المسألة والله تحتاج إلى مراجعة كبيرة جداً، وأكرر إذا لم تستطع شيئاً فجاوزه إلى ما تستطيع، انصر الإسلام من باب آخر، وأوجه النصرة فيه كثيرة.

خامساً: الاقتداء بالسابقين من خلال معايشة تراجمهم:

وهذا باب عظيم جداً فهم قد كانوا بشرا، ونحن نقفدي بهم. وهذا مثال أحضرته لكم: شتم رجلٌ أبا ذر رضي الله عنه فقال: "يا هذا لا تُغرق في شتمنا ودع للصالح موضعاً، فإننا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه" انتهى، ذكّره بالله عز وجل، فلو تهجم عليك أحد وأنت لا تستسيغ هذا، فلا تدعه يجرك إلى ميدانه، لأنه بهذا يكون قد أثر عليك، فلا بد أن تكون أنت القائد، أنت الذي تؤثر ولا تتأثر، فتجره أنت إلى أخلاقك، وهذا يفعل فعل السحر، فمهما اختلف معك، وربما لا يستجيب لك، لكن ربما أمام قوم ورائك يعترف فعلاً أنك إسلام يمشي على الأرض، النبي صلى الله عليه وسلم كان قرأناً يمشي على الأرض، كان يحسن للكبير والصغير، الرجل

^{٩٥} قال ابن حزم: "لا تنصح على شرط القبول منك، فإن تعديت هذه الوجوه، فأنت ظالم لا ناصح، وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة، وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده".

والمرأة، المسلم وغير المسلم، حتى وإن كان يكرهه، لما دخل عليه اليهودي وهش في وجهه وبش وعنده السيدة عائشة تسأله، قال: يا عائشة مُدَاراة الناس صدقة، متى عهدتني فاحشاً؟^{٩٦}!

وهناك كلمة سمعتها من أحد العلماء أن أحد السلف كان ماشياً فرُمي عليه رماد، فنفض الرماد وقال: "من كان جزاؤه النار وصولح على الرماد فما ضره" انتهى، أي استطاع أن يتقبل الموقف بصدر رحب.

سيدنا سلمان قال له أحدهم: يا كلب، فقال له: "لئن دخلت النار فالكلب خير مني، ولئن دخلت الجنة لا يضرني ما قلت" انتهى، التسامي عن الصغائر في هذه النفوس كان عظيماً، وقد كانت نفوس بشرية وهم القدوة من الرجال، فعلينا أن نفتدي بهم ونحاول أن نضبط أنفسنا.

سادساً: الدعاء:

كان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يفتتح (يعني من ضمن دعاء الاستفتاح في الصلاة) بقوله: (اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)^{٩٧}، لأن الله ﷻ لما امتن علينا ببعثه رسول الله ﷺ قال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُزْجِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فبعد التلاوة مباشرة كانت التزكية، فالنبي صلى الله عليه وسلم فعلا كان أسوة في الحلم والصبر والجود والعتاء والدعوة وفي أي مجال من المجالات لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة.

التواضع في طلب العلم وتعليمه

هذا من الأصول، فالعلم لا يأخذه متكبر، سيدنا عمر يقول: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم"، وسيدنا علي يقول: "إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والأمور الواجبة، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهيمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه مجاورة العلماء، وماله الادب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادة، ودليله الهدى، ورفيقه صحبة الأخيار" انتهى.

^{٩٦} "يا عائشة! متى عهدتني فحاشاً؟ إن شَرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تَرَكة الناس اتقاء شره". الراوي: عائشة أم المؤمنين | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: 7931 خلاصة حكم المحدث: صحيح | التخريج: أخرجه البخاري (٦٠٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٩١)
^{٩٧} صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم: ٧٧.

والخطيب البغدادي يقول: "والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبا، وأشد الخلق تواضعا، وأعظمهم نزاهة وتدينا، وأقلهم طيشاً وغضباً؛ لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين ومآثر الماضين، فيأخذ بأجلها وأحسنها، ويصدف عن أردلها وأدونها (أي يمتنع عن أردلها وأقلها وأخسها)" انتهى، فكيف لا يكون هؤلاء لك قدوة، وأنت تقرع مسامعك الأخبار المشتملة على محاسن أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف، بل حتى لو قرأت ما له علاقة بالمناظرات، فسترى في مناظرات السابقين أن الإفحام كان ينم عن درجة كبيرة من حسن الخلق، ويتم بالعلم وبالحجة بطريقة لا تضاهي.

كل المناظرات الموجودة في التراث ويتم دراستها دراسة تحليلية، فربما لن تجد في كثير منها سباب ولا شتائم وإنما تجد إلزام بطريق الحجة، الإمام الشافعي لما عوتب على تواضعه للعلماء قال:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

فهنا الإهانة في طلب العلم ليست إهانة. ليس هذا معناه أن تقبل الإهانة، ولكن يأتي أحدهم فيقول مشتكياً: أن شيخي قاس جداً ويتعامل معي بحدة ويفرض أشياء. ولكن لا يجب أن تترك خير ما عنده لسوء خلقه، فهو وإن كان سيء الخلق لكن لديه العلم، وسيأتي تفصيل هذا في باب الصبر، فلا بد أن تصبر على هذا المعلم مهما قسا ومهما جفا، وليكن لك في الإمام الشافعي أسوة في هذا:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها

فهم من يضعوني على طريق الكرامة.

سيدنا ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن مع جلالته ومرتبته كان يأخذ بركاب ناقة سيدنا زيد بن ثابت الأنصاري ويقول: "هكذا أمرنا أن نعمل بعلمائنا وكبرائنا" انتهى، الإمام أحمد بن حنبل يقول لخلف الأحمر: "لا أقعد إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه" انتهى، الشيخ الغزالي يقول: "لا يُنال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع" انتهى، والإمام الشافعي يقول: "كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيباً له لنلا يسمع وقعها" انتهى.

وقال الربيع بن سليمان: "والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي؛ هيبة له" انتهى، وقال حمدان الأصفهاني: "كنت عند شريك، فأثاء بعض أولاد الخليفة المهدي، فاستند (ابن الخليفة) إلى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت (شريك) إليه وأقبل علينا، ثم عاد، فعاد شريك لمثل ذلك، فقال: أتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال: لا، ولكن العلم أجلّ عند الله من أن أضيعه (ويروى العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه) فجثا على ركبتيه، فقال

شريك: هكذا يطلب العلم" انتهى، ابن جماعة يقول: "وَيَبْغِي أَلَّا يُخَاطَبَ شَيْخَهُ بِتَاءِ الْخَطَابِ وَكَافِهِ، وَلَا يُنَادِيهِ مِنْ بَعْدِ، بَلْ يَقُولُ: يَا شَيْخِي وَيَا أَسْتَاذِي" انتهى، وقال الخطيب: "يقول: أَيُّهَا الْعَالِمُ، وَأَيُّهَا الْحَافِظُ، وَتَحَوَّ ذَلِكَ، وَمَا تَقُولُونَ فِي كَذَا، وَمَا رَأَيْكُمْ فِي كَذَا، يَقُولُ شَبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يُسَمِّيهِ فِي غَيْبَتِهِ أَيْضًا بِاسْمِهِ، إِلَّا مَقْرُونًا بِمَا يُشْعِرُ بِتَعْظِيمِهِ، كَقَوْلِهِ؛ قَالَ الشَّيْخُ، أَوْ الْأَسْتَاذُ كَذَا، وَقَالَ شَيْخُنَا، أَوْ قَالَ عَالِمُنَا أَوْ أَسْتَاذُنَا كَذَا... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ" انتهى، (إذا كان يستعمل هذه الألقاب)، هذه الأمور تجعل هناك بركة في العلم، لأنها تدرّب الإنسان حقًا على أن يخفض جناحه، فأنت إذا لم تتواضع لمن تأخذ منه العلم - مهما كانت مكانة الذي تأخذ عنه العلم قليلة- فمتى ستتواضع أصلاً للخلق؟ والتواضع هذا خلق مطلوب أصلاً من كل مسلم، ومن باب أولى أن يكون من صفات طالب العلم.

فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، ويقول عز وجل: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

واعلم أنك مادمت تتكبر على طلب العلم فلن تصل إلى مبتغاك، ولن تصير إلى ما تريد.

العزة

وقد عرفها بعض من العلماء بأنها: صفة مانعة للإنسان من أن يُغلب (في الحق طبعاً).

نقول مثلاً: عزتك تمنعك من المعصية، وأن العزة تمنعك من قول الباطل. أي عندما تغلبك نفسك على المعصية (أي تدفعك للمعصية)، تمنعك العزة منها. فالعزة سمة من سمات المؤمن إلا أنها بطالب العلم ألسق. يقول الله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ابن جماعة يقول: "على طالب العلم أن يصون العلم كما صانه علماء السلف، ويقوم له بما جعله الله له من العزة والشرف، فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا، من غير ضرورة أو حاجة أو إلى من يتعمله منه منهم، وإن عظم شأنه وكبر قدره" انتهى، فكانوا يرون ذلك، وأن العلم لا يذهب به إلى المتعلم، فالإمام الزهري كان يقول: "هوان بالعلم أن يحمله العالم إلى بيت المتعلم" انتهى، وأحاديث السلف في هذا الصدد كثير.

وبالطبع أن لا أدلّ العلم إلى غير أهله هذا شرط بل قيد. فسيأتي معنا أن من آداب العالم أن يبيت العلم لمريد العلم، ولكن مثلاً إذا كنت تلقي درساً على جماعة من الناس وهم لا يسمعون لك، فعليك أن تتوقف عن الكلام تماماً. وقد نُسب للإمام مالك أنه كان يقول: "لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير"^{٩٨} انتهى، فأنت الآن عندما تعطي العلم

^{٩٨} هذا القول منسوب إلى عيسى عليه السلام في الكتاب المقدس: "لَا تُعْطُوا الْمُقَدَّسَاتِ لِلْكَلابِ، وَلَا تُطْرَحُوا جَوَاهِرَكُمْ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ، لِكَيْ لَا تُدْسَسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَنْقَلِبَ عَلَيْكُمْ قَمْرًا فَكْمٌ". (متى: ٧، ٦). وقد ورد منسوباً إليه عليه السلام في كتب التراث الإسلامي وقد ورد أيضاً عن الأعمش ولم أقف عليه منسوباً إلى الإمام مالك.

للجاهل الذي لا يدرك قيمة ما يأخذ، تكون بهذا تدمر العلم وتضيعه، وكذلك طالب العلم الراغب لو منعتة من طلب العلم فأنت بهذا ظالم. والإمام الشافعي كان يقول:

سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الْجَهْلِ طَاقِي ... وَلَا أَنْتُرُ الدُّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الْغَنَمِ
لَيْنٌ سَهْلَ اللَّهِ الْعَزِيزُ بِلُطْفِهِ ... وَصَادَفْتُ أَهْلًا لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكْمِ
بَقِيَتْ مُفِيدًا وَاسْتَفَدْتُ وَدَادَهُمْ ... وَالْأَفْمَكُ نُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمٌ
وَمَنْ مَنَحَ الْجَهَالَ عِلْمًا أَضَاعَهُ ... وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمَ

أيضا القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني يقول:

وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهَجَّتِي ... لِأُخْدِمَ مَنْ لَاقَيْتُ، لَكِنْ لِأُخْدِمَا
أَشَقَى بِهِ غَرْسًا، وَأَجْنِيهِ ذَلَّةٌ؟! ... إِذَا، فَاتَّبِعْ الْجَهْلَ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمًا

كيفية أكون عالماً وأذل نفسي لأرباب الأموال وبالخضوع للناس وطلب واداهم وقربهم؟ ولماذا؟ بل أستغني بالله عز وجل، فأنت معك شيء ثمين لا بد أن تعرف قدره؛ ولو أن أهل العلم صانوه صانهم، ولو عظموه في النفوس لعظمًا، فلماذا استهان الناس بالعلم؟ لأن أهل العلم لم يعظموا العلم ولم يعطوه قدره.

وقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة في شرف العلم وأخلاق العلماء، قصيدة جميلة وفيها معاني قيمة فعلاً تتحدث عن العزة التي ينبغي أن تكون عند طالب العلم.

ويكمل ابن جماعة بعد أن أورد قول الزهري وأبيات الجرجاني قائلاً: "فإن دعت حاجة إلى ذلك أو ضرورة أو اقتضته مصلحة دينية راجحة على مفسدة بذله، وحسنت فيه نية صالحة فلا بأس به إن شاء الله تعالى" انتهى، أي إذا كان هناك طلاب علم مثلاً ودعوا العالم لمكان فلا بأس عندها.

أيضا ابن خلدون في مقدمته يقول: "وهم أيضاً لشرف بضائعهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم، فلا يخضعون لأهل الجاه، لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على أعمال الفكر، ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك" انتهى، لذلك قيل عن الحسن البصري: احتاج الناس لدينه واستغنى هو عن دنياهم.^{٩٩} وقد قيل:

لَا تَخْضَعَنَّ لِخَلْقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ ١٠٠

^{٩٩} قيل: ورد أعرابي البصرة، فقال: من سيد هذا المصر؟ فقالوا: الحسن بن أبي الحسن، قال: فيم ساد أهله؟ قالوا: استغنى عما في أيديهم من دنياهم، واحتاجوا إلى ما عنده من أمر دينهم، فقال الأعرابي: لله ذرّه، هكذا فليكن السيد حقاً.
^{١٠٠} القائل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فلا يُهان أو يُذَلَّ طالب العلم إلا من قِبَل العالم، ونحن قد ذكرنا الفرق وقلنا أن التواضع يكون للعالم (الذي يعلمك)، وذكرنا العزة التي ينبغي أن تكون للعالم بقدر العلم الذي يحمله، ونذكر هنا موقف الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري العالم اللغوي ومؤسس علم العروض، وقد كان من الزهاد، وكان والي فارس والأهواز سليمان بن حبيب وقيل سليمان الهاشمي قد بعث إليه ليحضر لأخذ راتبه في رواية، وفي رواية بعث له بفاكهة وظرف، فقيل الخليل الفاكهة ورد الظرف، وأخرج خبزاً يابساً عنده ثم قال لرسول الأمير: قل لسليمان طالما عندي هذه فلا أحتاج إلى سليمان أو إلى غيره، فقال: أبلغها عنك؟ قال الخليل:

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّي عَنهُ فِي سَعَةٍ ... وَفِي غِنَى غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ ذَا مَالٍ
سَخَى بِنَفْسِي أَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا ... يَمُوتُ هَزْلاً وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
الرِّزْقُ عَن قَدَرٍ لَا الضَّعْفُ يَنْقُصُهُ ... وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُّحْتَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَلِكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

فهو يريد أن يقول أن لا أحد يموت من الجوع، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن روح القدس نفث في روعي إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها)^{١١}، فعلام تذلل وتخضع! هذه المسألة تحتاج إلى مراجعة لما نراه من ذل العلماء؛ فهو شيء لا يرضي الله عز وجل.

الصبر في طلب العلم

والصبر في طلب العلم من أنواع الصبر على الطاعة، فهناك صبر على المأمور (الأمر)، وصبر على المقذور (القدر)، وصبر عن المنهي عنه. وطلب العلم أنت مأمور به؛ ولهذا فهو نوع من أنواع الصبر على الطاعة، وهو من أجل الطاعات التي يتقرب الإنسان بها إلى الله عز وجل، فالعلم يحتاج إلى صبر، ومن لم يصبر لم يظفر منه بشيء.

قال بعض الفضلاء: متى تبلغ من العلم مبلغاً يرضي وأنت تؤثر النوم على الدرس، والأكل على القراءة. وقال الشاعر:

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُحَاوِلُهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا قَارًا بِالظَّفْرِ

^{١١} الراوي: عبدالله بن مسعود وأبو أمامة وحذيفة بن اليمان | المحدث: الألباني | المصدر: فقه السيرة | الصفحة أو الرقم: ٩١ | خلاصة حكم المحدث: صحيح جاء من طرق يقوي بعضها بعضاً

وهناك كتاب ممتع في هذا الباب اسمه (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله رحمة واسعة، قسمه إلى خمسة فصول، وذكر فيه أخبار العلماء في التعب والنصب والرحلة وقطع المسافات في طلب العلم، وبدأ فيه بالصحابة، ويتبين أن الصبر يجب أن يكون من عدة نواحي:

- **من ناحية الزمان:** مثل سيدنا جابر الذي رحل شهراً كاملاً في حديث، وأنت تأخذ كمية كبيرة جداً من المعلومات في المحاضرات، ثم تأتي وتقول لم نستقد أي شيء، فتكون كمن دخل إلى غنم فخرج بأذن رأس الكلب (أي أخذ أقل الأشياء قيمة).

الإمام الشعبي يقول: "لو رحلت من أقصى الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدل على هدى، أو ترد عني ردى، ما كان سفري ضائعاً" انتهى، وأنت تأخذ علم بساعة أو بساعتين ثم تقول: والله لم نستقد شيء، هذا ظلم؛ لأن همك ليس هم العمل، فلو كان همك أن تأخذ العلم لتعمل به لعلمت أن العلم الذي أخذته في الساعة والساعتين يحتاج إلى سنين لتعمل به، ولذلك أقول العلم بركة وليس كثرة. فالإمام الزهري يقول: "أخذنا العلم بالمسألة والمسألين" انتهى.

- **من ناحية المكان:** فكثير من العلماء يرحل. هناك من العلماء من طاف الدنيا، أحد العلماء ظل ٤٥ عاماً في رحلة في طلب العلم، يجوب البلاد. وأنت يسرّ لك ربنا العلم وأنت في بيتك، ولكن لا يوجد بركة، لماذا؟ لأننا لم نتأدب بآداب العلم. ولن تُثمر، ولن يكون لك أثر، إلا إذا فعلاً أخذت العلم بحقه ونشرته بحقه.

- **من ناحية الشيوخ (التنوع في الشيوخ):** فبعض الأشخاص يكتفي بشيخ واحد، ويعتبره إمام الأولين وإمام الآخرين؛ هذا ظلم بين، والله يكون عندنا آلاف العلماء ولا يذكر إلا ثلاثة وأربعة، كأنه لم يأتي قبلهم ولم يأتي بعدهم. هناك من العلماء من أخذ عن ألف وسبعمائة شيخ. نوع، لأن العالم هذا أحياناً قد يكون عنده أخطاء جسيمة، ويصدق عن غيره حسداً، وربما يكون هذا العالم غير مُنصف، وربما يكون مُدليساً فيما يقول أو يكذب، وهذا موجود بكثرة، فبعض الشيوخ لسان حاله يقول لا علم إلا ما عندنا فقط. العلماء الكبار كانوا يقولون إذهب إلى فلان فإنه يخالفنا الرأي، لعلك تجد الحق عنده. لو لم يوجد لديك هذا التجرد في طلب الحق، إذاً علمك ليس بعلم. الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كان قد يُفتي بفتوى فيسأل: أهذا هو الحق الذي لا شك فيه؟، فيقول: لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه. لم يقل نحن مرجحين وفقه الدليل وكذا وكذا. فلعل آخر فقه من النص ما لا تفقهه أنت، فلا تقل: رد النص. فهو لم يرد النص، بل لعله فقه من النص ما لم تفقهه أنت، طالما أن المسألة ليست من المجمع عليه.

- **من ناحية الكتب (التنوع في الكتب):** شخص يقرأ كتاب ويصبح بذلك إمام به!، لماذا؟ اقرأ، فالقراءة من الصبر في الطلب، فلا يكفي أن تقرأ كتاب أو كتابين ولا تنوع.

- القراءة عن الصبر على شدائد العلم وتحصيله.
- هجر النوم والراحة والدعة وسائر اللذات.
- الصبر على الفقر وشظف العيش ومرارته، وبيع الملبوس والمفروش، الشيخ أبو غدة في كتابه عقد باباً كبيراً ذكر فيه طرفاً من هذا؛ فمن العلماء من اضطر أن يبيع ما يلبس، ومنهم من اضطر لبيع سقف بيته، أو اضطر أن يبيع أثاث بيته الذي يسكنه، من أجل طلب العلم؟ نعم، من أجل طلب العلم! وهناك من اضطر لبيع كتبه مرة أخرى (وأنت الأمور ميسرة لك، فالكتب أصبحت Pdf)، وطلبهم للعلم مستمر، في الجوع والعطش، بالأيام والساعات (الناس اليوم غير قادرة على أن تصبر دقائق معدودة)، في العري الدائم ونفاذ المال والنفقات بالغبية، فإذا نفذ مال أحدهم في الغيبة لم تكن الأمور ميسرة له كالיום (البنوك تبعث، وحوالات بريدية؛ ويسترن يونيون وفودافون كاش واتصالات كاش، لم يكن هذا الكلام موجوداً)، فلو قرأت عنهم تجد والله العظيم عجباً. وأنا أقترح أن تقرأوا مثل هذه الكتب التي ذكرتها، لاسيما مثل هذا الكتاب وكتاب آخر سيأتي الكلام عنه في علو الهمة، وأن تتأملوا النصوص وتقرأوها مرة واثنين وثلاث، ليس لتصبح مثلهم ولكن حتى تحمد الله على ما أنت فيه على الأقل.
- الصبر على الإنفاق في طلب العلم: طلب العلم يحتاج لنفقة، فأنت مثلاً تحتاج إلى شراء باقة نت، أو كتاب، وربما قصرت في العمل وترتب على ذلك خصم من راتبك أو كذا، فهذا من ضمن الإنفاق في طلب العلم، أيضاً إذا اضطررت أن تشتري دفتر تكتب فيه، فالعلم صيد والكتابة قيده، فقيد صيودك بالحبال الواثقة، لذلك أنا لا أعترف بطالب علم يجلس في طلب العلم وليس معه ما يدون فيها بعض النقاط، أو أسماء الكتب التي يحتاج للرجوع إليها، أو بعض المقولات التي لم تطرق سمعه من قبل، أو الأشياء التي ربما فتح الله عليه بها وأنا لا أعلمها، يعني ربما فتح ربنا ﷻ عليك ببعض الأفكار التي لا أعلمها، فدون هذه الفكرة التي جاءتك، فقد تكون بداية لكتاب، أو مطوية، أو مقال، أي أشياء تنفع بها غيرك. إذاً فعليك بالصبر على الإنفاق في طلب العلم، وعلى التعب في التحصيل والتقيد والسفر إذا احتجت إلى السفر.
- الصبر على المعلم وقسوته: سيدنا ابن العباس ﷺ قال: "ذَلَّلْتُ طَالِبًا لَطَبَّ الْعِلْمَ، فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا" انتهى، فقد كان يذهب ويجلس أمام بيت الراوي وتأتي الرياح عليه بالرمال، حتى يخرج له الراوي الذي معه الحديث، سيدنا ابن عباس صبر، أما الآن فلو تأخر الشيخ خمس دقائق، لبدأت الشكوى: الشيخ لم يدخل! أو اليوم في إلغاء! وقد يتأفف الطالب إذا قُطع البث، فمتى تصل؟ أنا أقول أن الفرق يكمن في النية؛ فلو كنت مخلصاً للنية لله ﷻ فلن تهتم سواء حضر الشيخ أم لم يحضر؛ لأن الأجر قد احتسب، ألم نقل أن نية المرء خير من عمله، نعم أحيانا قد يعوقك القدر عن بلوغ المراد، والعائق هذا خارجي فمن سيحاسبك عليه؟ (لا أحد) فالله ﷻ إذا سلب ما وهب، سقط ما وجب، وأنا استغرب والله العظيم من نفور الطلبة من

العلم بسبب أشياء صغيرة جداً، فمثلاً إذا وجد صعوبة يصد عن العلم وربما يترك الدورة بالمرّة، هذه أمور تحتاج إلى مراجعة. فالإمام الشافعي يقول:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَن تَفْصِيلِهَا بِبَيَانٍ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَتَلَعٌ ... وَصُحْبَةٌ أُسْتَاذٍ وَطَوْلُ زَمَانٍ

طول الزمان في طلب العلم، فإنما السيل اجتماع النقط، وأنت تريد بين يوم وليلة، وفي سنة أو سنتين أن تصير عالماً؟ لن يحدث ولم يحدث لمن قبلك، بل أنت تحتاج طول الزمان، الذكاء، الحرص على الطلب ومجالس العلم، الاجتهاد، ما تتبلغ به؛ أي عمل مجاور لطلب العلم تتكسب منه حتى لا تضيع الأسرة، ولا تضيع نفسك، وتنفق على العلم، أيضاً لا بد أن يكون لك ارتباط بالعلماء دائماً، وهذا سنأتي عليه في مسألة الشيخ المعلم.

ابن القيم يقول: "إن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لقي النصب من سفره (فهو قد قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]) في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم، ولما سمع به لم يقر له قرار حتى لقيه وطلب منه متابعته وتعليمه" انتهى، في ثلاث مسائل يسافر سفر فيه نصب، فيه تعب، ولم يبق جالساً متكناً على كرسي (مرتاحاً).

وقال رجل لابقرط: "كيف جمعت هذا العلم الكثير، قال: إني أنفدت من الزيت مثلما شربت من الماء" انتهى، فما علاقة الزيت والماء؟ أنه قديماً لم يكن هناك هذه المصابيح الكهربائية المتوفرة اليوم، بل كان هناك السراج الذي يقاد بالزيت، فيقول: بقدر الماء الذي شربته، كنت أضع الزيت بالسراج لأبقيه متوقداً، وهذا دلالة على السهر الكثير، أنفذ زيتاً كثيراً في السراج التي كان يسرجها من أجل أن يطلب العلم، ويقول الشاعر^{١٠٢}:

وما طالب الحاجات في كل وجهة ... من الناس إلا من أجد وشمرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا

فلا ربح بلا مشقة (و دون تعني قليل)، وإلى هذا يشير أبو تمام^{١٠٣} بقوله:

دَرَيْمِي أَنْلَ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى ... فَصَعِبُ الْعُلَى فِي الصَّعْبِ وَالسَّهْلُ فِي السَّهْلِ
تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً ... وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وسيدنا يحيى بن أبي كثير يقول: "لا يستطيع العلم براحة الجسد" انتهى، ابن جماعة يقول: "و عليه أن يصبر على جفوة تصدُر من شيخه، أو سوء خُلق، ولا يصدُّه ذلك عن مُلازمته، وحسن عقيدته -أي: وحسن عقيدته فيه-

^{١٠٢} من قصيدة لربيعة بن ثابت الرقي من شعراء العصر العباسي، و تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى النابغة الجعدي و هو صحابي، أما البيت الأول فينسب لعروة بن الورد من شعراء الجاهلية.

^{١٠٣} و يقال أن هذه الأبيات للمتنبّي.

ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار، والتوبة ممّا وقع، والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب فيه عليه؛ فإن ذلك أبقى لَمودّة شيخه، واحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وأخرته" انتهى.

وعن بعض السلف: "من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة" انتهى، ول بعضهم

إِنَّ الْمُعْلِمَ وَالطَّيِّبَ كُلِّمَا ... لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
اصْبِرْ لِدَاثِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيْبَهُ ... وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعْلِمًا

وقال معاوية بن عمران: "مثل الذي يغضب على العالم، مثل الذي يغضب على أساطين الجامع" انتهى، وأساطين جمع اسطوان وهو العمود، إذا غضبت عليه لا يؤثر فيه، فأنت الخاسر.

وقال الشافعي رحمه الله: "قيل لسفيان بن عيينة، إن قومًا يأتونك من أفطار الأرض، تغضب عليهم!! يوشك أن يذهبوا أو يتركوك، فقال للقائل: هم حمقى إذن مثلك، إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقهم" انتهى، أي هو عنده علم، فخذ ما ينفعك ودع ما يضرك. فإذا رأيت من شيخك قسوة فاصبر على ذلك، لاسيما إذا كان ليس له بديل في هذا الباب. طبعاً هذا ليس مسوِّغاً لأن يكون الشيخ كذلك، فلا بد أن يكون الشيخ رقيقاً، رحيماً، كل صفات النبوة فيه لأنه معلم، لكنها طباع، (مرض) ابتلاه الله به.

وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: "خمسة يجب على الإنسان مداراتهم وعد منهم العالم ليقتبس من علمه" انتهى، كما قال الزرنوجي: "التملق في كل شيء مذموم إلا في طلب العلم" انتهى، فإذا كنت تتملق للعالم لتأخذ ما عنده من العلم فلا يضرك هذا التملق وليس مذموماً.

وقال ابن جماعة: "وإذا حضر مكان الشيخ فلم يجده جالساً، انتظره؛ كي لا يفوت على نفسه درسه؛ فإن كل درس يفوت لا عوض له، ولا يطرق عليه ليخرج إليه، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ، أو ينصرف ثم يعود، والصبر خير له" انتهى، وهذا درس للذين يضجرون من تأخر الشيخ عليهم. أما (والصبر خيراً لهم) فهو كلام يجب على الإنسان أن يضعه في غرفة نومه (ليتذكره دائماً). فقد روي أن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ، فيقال له: ألا نوقظك لك؟ فيقول: لا، وربما طال مقامه، وقرعته الشمس، وكذلك كان السلف يفعلون.

الهمة

تعريف الهمة

الهمة: مأخوذة من الهم، وهو ما هم به الإنسان من أمر ليفعل، والهمة باعث على الفعل وتوصف بعلو وسفول، يعني يُقال همة كما نقول نحن، يعني كلمة علو الهمة قيد، وإلا فالهمة هناك همة ساقطة أو منحطة، فالهمة توصف بعلو وسفول أو نزول، همة ساقطة ولذلك أحد السلف يقول "إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ"^{١٠٤} انتهى. القاذورات وعلو الهمة استصغار ما من دون النهاية من معالي الأمور، أن الإنسان طالما لم يصل لمعالي الأمور العليا، يستصغر في سبيل هذا الطلب كل شيء.

وقيل الهمُّ هو: عقد القلب على فعل شيء قبل أن يُفعل، إنسان ينوي أن يُفعل هذا الشيء قبل أن يُفعل، سواء كان ذلك من خير أو شر.

ومما قيل أيضا في الهمة: "توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره، هذه تعريفات الهمة أو توصيف معنى كلمة الهمة"^{١٠٥} انتهى

التأصيل الشرعي لكلمة الهمة

مما يدل على طلب علو الهمة، آيات كثيرة منها الدعوة للمسارعة والمسابقة والمنافسة والعمل في أمور الخير، قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، وقوله ﴿لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، وفي قوله ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]

قاعدة هامة:

توجد قاعدة تنص على: "**الأمر بالشيء نهي عن ضده**" أي إذا قيل لك كن عالي الهمة تعني لا تكن ضعيف الهمة "**والنهي عن شيء أمرٌ بضده**" أي إذا قيل لك لا تكذب يعني كن صادقاً.

"الأمر بالشيء نهي عن ضده، والنهي عن شيء أمرٌ بضده"^{١٠٥}. انتهى، أي إذا قال الله لنا سارعوا، فاستبقوا، سابقوا، فأسرعوا إلى ذكر الله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، معناه أنه ينهاك عن أضرار ذلك.

^{١٠٤} - [كتاب الجواب الكتفي لمن سال عن الدواء الشافي - ابن القيم الجوزية]
1 التمهيد في أصول الفقه - محفوظ بن الحسن الحنبلي

إذا مثل هذه الأشياء ينبغي أن تنتبه إليها، في المقابل مثلما رغب الله في المسابقة في الخير، والمنافسة، وعلو الهمة، ذم ساقطوا الهمة، وصورهم في أشع صورة، وذكر هذا في الآيات: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وأيضا في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، وكان الله الذي أعطاه رسالة فترك هذه الرسالة وانحاط عن المقصود له.

ولذا يقول قائل:

قد هيئتوك لأمر لو فطنت له فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل
وأنت في غفلة عما خلقت له وأنت في ثقة من وثبة الأجل
فزك نفسك مما قد يدنسها واختر لها ما ترى من خالص العمل
أأنت في سكرة أم أنت منتهاً أم غرك الأمن أم ألهيت بالأمل^{١٠٦}

إذا فإن الله ﷻ في المقابل لكي ينفرك من أن تكون همتك دنيئة قليلة تتعلق بأمور الدنيا، ذلك على أن هذا شيء مذموم في الشرع وفي المقابل أن الشرع حث على غيره، قال رسول الله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَأَشْرَاقَهَا، وَيَكْرَهُ سَفْسَاقَهَا)

والنبي ﷺ أيضاً حثنا على المبادرة حيث قال ﷺ (بادروا بالأعمال) ^{١٠٧} فحثنا ﷺ على أن نطلب الشيء العالي والغالي قال ﷺ (إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ) ^{١٠٨}

دائماً كما تقول الحكمة "صوب نظرك نحو النجم حتى تصيب المئذنة"

عندما ينظر الإنسان للشيء الأعلى، ربما تأتي الصوارف والعوائق فلا يدركه، ولكن يدرك الأقل منه، لكن إذا كانت همته في الأصل قليلة، لا بد أنه لن يحصل على شيء في النهاية.

أيضاً من التأسيس الشرعي لمسألة علو الهمة : اتصاف السلف بعلو الهمة والأنفة من الوصف بغيرها.

في الحقيقة، أريد ان أذكر قصة عن السلف رضوان الله عليهم: قال الحطيئة وهو شاعر إلى الزبير بن بدر رضي الله عنه:

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُعَيْجِها وَأَفْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي ^{١٠٩}

2 ابیات من لامية العمم - الطغراني.
^{١٠٧} وأخرجه مسلم (٢٩٤٧) (١٢٨) - صحيح
^{١٠٨} سنن أبي داود - (٦٠٨ / ٢) - صحيح
^{١٠٩} كتاب تاريخ المدينة - عمر ابن شبه البصري - (٥٢٤ / ٢)

هل هذا الكلام به إشكال؟ يقول: دع المكارم لا ترحل لبغيتها، واقعد وإلتفت إلى أمور الدنيا، تخيل سيدنا الزبرقان هاج وماج وأرغم وأزبد وشكى الأمر إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه، سيدنا عمر إستدعى حسان بن ثابت، شاعر النبي ﷺ، قال له: ما معنى هذا الكلام؟ وسيدنا عمر لا يجهل معنى كلمة الحطيئة، وإنما يريد أن يحكم حكماً يكون من باب (وأمرهم شورى بينهم)، وليس حكماً تعسفياً من باب إسناد التخصص وإحترامه، فسيدنا عمر الرجل العربي بالسليقة وكان عالم بالقرآن، يتنزل القرآن موافقاً لسيدنا عمر رضي الله عنه، فسأل سيدنا حسان وليس ذلك عن جهل بمرمى الكلام، أجاب سيدنا حسان: هذا ليس بهجاء بل أفحش من الهجاء (أي أصعب شيء في الهجاء) بل دنث صبه الحطيئة على الزبرقان حتى لا تقوم له كرامة

فما كان من سيدنا عمر إلا القضاء بحبس الحطيئة، فبدأ الحطيئة يستعطف سيدنا عمر رضي الله عنه قائلاً:

ماذا تقول لأفراخ بندي مَرِحٍ زغبِ الحواصِلِ لا ماء ولا شجرُ
ألقيت كاسهم في قعر مظلمةٍ فاغفرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ

إلى أن عفى عنه سيدنا عمر بعد أن أخذ عليه تعهد أنه لا يعود إلى أعراض المسلمين.

لم يقل الحطيئة إلى الزبرقان إلا اترك طلب معالي الأمور، (دع المكارم لا ترحل لبغيتها) لا تتحمل المشاق في تحصيل المكارم التي تشرف بها النفوس، فإن كلفت نفسك هذا السبيل فقد كلفتها عنتاً وهذا ليس من طبيعتها، الأليق بك أن تركز إلى الطعام والشراب، وهذا هدف أي شخص منا، والمعنى كأنه يريد أن يقول أن مثلك الأعلى إنك تعيش لحياتك فقط تستغرقها في شهوة الطعام واللباس.

قال أحد العلماء: إن القصة لا ينبغي أن تمر عفو الخاطر، الحطيئة كان شاعر خبير بالحياة وأن الحياة عنده لها معنيان غاية خسيصة يعيش عليها الدنيا، وأخرى شريفة يحيا لها الفضلاء الأولون يروون سعادتهم في لذة المطعم والملبس وكيف يعيش.

يقول دكتور محمد: أي أنه يريد أن يركب سيارة فارهة يلبس ثياب جيدة يأكل طعام لذيذ كل همه في الحياة لا يفكر إلا في آخر خطوط الموضة حياته لا تدور حول هذا، والآخر له زاد من الفضيلة والخير والحق وهذا ما كانت تقوم عليه الحياة في العهد العمري الزاهر.

الأمر الثاني: أن الرأي العام في ذلك العهد عهد الصحابة كان شديد الحساسية بالفارق بين الغابتين ، فأحدهم يسمو بهمته أن تنكمش وتنضم في مطالب المعدة فقط وترف البدن بل إنه يفزع ويحزن أن يوصف بهذا، لأنها تعد وصمة عار عنده قاصمة وإلى هذه النقطة سد الحطيئة رميته – لماذا؟

لأنه يعلم أنه يهجو الزبرقان بقول:

دع المكارم لا ترحل لبُغيها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فعرف أن الزبرقان يحزنه لأنه ذلك حساسية مرهفة، لا يريد أن يكون من أصحاب الغايات الأخيرة، هذا هو منطق الفطرة السليمة والعقول الواعية، أنها تزن الناس باهتماماتهم فنحن كمثال، لو سألنا: ما اهتماماتك؟ ونحن قرابة مائتين أو أكثر أو أقل، لو كل واحد سألناه عن أمنيته فما أعلى شيء تهفو إليه القلوب؟ الإجابة ستكون غير ذلك لأننا لا نفرق بين الغاية والوسيلة.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]

قال المفسرين: "أنه في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قالوا في الحياة الدنيا يشاركون فيها غيرهم" انتهى.

قال الدكتور محمد:- يعني هي ليست ميزان أنت تلبس بشكل جيد وكذلك الكافر والملحد وهكذا السيارة والسكن وغيرها... إلخ، هذه الأشياء ليست ميزاناً عند الله عز وجل، لكن لا يوجد مانع أن الإنسان يتمتع بالطيب لكنها لا تكون غاية وإنما وسيلة، يعني أنا امتلك المال لأطلب به الآخرة.

(حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ : «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلْنَا أُحَدُّ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنْ عِنْدِي مِثْلُ أُحَدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْضُدُهُ لِذَيْنِ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللَّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمَنْ خَلْفَهُ، ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمْ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمَنْ خَلْفَهُ»^{١١٠}

فلا يوجد مانع أن يتمنى إنسان هذا لكن وسيلة للآخرة.

الشاهد أن سيدنا الزبرقان ابن بدر كان من الصنف الذي يرى أن هذا الإهتمام بمثل هذه الأمور اهتمام يغضبه، وهو إنسان مرهف الحساسية لك أن تتخيل لو أن كل إنسان منا كان من هذا الصنف فمن للدين ينشره، ومن للحق ينصره! ومن للأخلاق يعليها ومن للعقائد يحرسها ويحميها، لو أن كل الناس يفكرون في ذواتهم ويتمحورون حول أنفسهم، لا يتطلعون لمعالي الأمور وحراسة الدين والدفاع عن العقيدة والأخلاق ونشر الفضيلة بين الناس

^{١١٠} صحيح البخاري - كتاب الرقاق - (٩٤/٨) رقم ٦٤٤٤ - متفق عليه

لك أن تتخيل مجتمع يكون كل أفراده لا يفكرون إلا في أمر دنيوي، فالسلف الصالح كانوا يأنفون أن يوصف أحدهم بهذا الوصف.

يقول الإمام ابن الجوزي: "واعلم أي قد تصفحت التابعين ومن بعدهم فما رأيت أحد أحظي بالكمال من أربعة أنفس سعيد بن المسيب والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم، وقد كانوا رجالاً وإنما كانت له همم ضعفت عندنا وقد كان في السلف خلق كثير"^{١١١}. انتهى.

ويفهم من ذلك أن هذه سمة عامة عند السلف الصالح رضوان الله عليهم، "فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم في كتاب صفة الصفة للإمام ابن الجوزي وإن شئت تأمل أخبار سعيد والحسن وسفيان وأحمد فقد جمعت لكل واحد منهم كتاباً" انتهى

يقول لك: لو أردت أن تمتع ناظريك بحياة السلف الصالح والله على وكيف أنه السمة العامة كانت عندهم علو الهمة فيجب أن تطالع هذا الكتاب، فالعلماء حثوا الناس على علو الهمة لاسيما طبعاً طلبية العلم.

أقوال العلماء في علو الهمة

يقول ابن الجوزي: "كل نفيس يكثر التعب في تحصيله"^{١١٢}. انتهى.

تأملت عجباً وهو إن كل شيء نفيس خطير يطول طريقة، فالمعالي كذلك لا بد أن تتعب فيها، و يكثر فيها التعب في تحصيلها، فأن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يُحصل إلا بالتعب، و السهر، والتكرار، و هجر اللذات، وترك الراحة.

طرفة:

قال بعض الفقهاء: "بقيت سنين أشتهي الهريسة ولا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس"^{١١٣}. انتهى، (بائع الهريسة كأنه متعمد لا يأتي إلا وقت الدرس) فلم يحدث مرة أن ترك الدرس من أجل شراء الهريسة، بالرغم من أنه بشر يميل إلى الطيبات من الرزق، لكن عنده أولويات و موازنة أيهم يفضل؟ أيهم يطلب؟

^{١١١} كتاب صيد الخاطر – ابن الجوزي (٥١١)

^{١١٢} كتاب صيد الخاطر – ابن الجوزي – ص ٢٨١

^{١١٣} كتاب صيد الخاطر – ابن الجوزي – ص ٢٨١

فكان يفضل الدرس لأنه مُعظم عنده، فهو يعلم قدر ما يطلب، ومن عَلِمَ قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، هذا هو الفارق، فأنت حين لا تعلم ما تطلب ربما تساوي به الأشياء الدنيئة، أو الأشياء القليلة، ولكنك حين تعلم قدر ما تطلب سيهون عليك ما تبذل وتعدوا هذه المتاعب شيء لا يذكر.

وأيضاً من كلام ابن الجوزي يقول: "لو أمكنت عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فأنهم كانوا رجالاً فأنت رجل، وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها"^{١١٤} انتهى، (أي لا تستقل نفسك) فالإمام هنا يتسامى بك، ويشجعك، ويعزز من قدرك، فإنهم رجال وأنت رجل، واعلم إنك في ميدان سباق والأوقات تُلتهم، فلا تخلد إلى الكسل، فما فات ما فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم، وإن الهمة لتغلي غلي الماء في القدر.

ابن القيم رحمه الله يقول: "المصالح، والخيرات، واللذات، والكمالات كلها، لا تُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليها إلا على جسرٍ من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يُدرك بالنعيم وإن من أثر الراحة فاتته الراحة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له"^{١١٥} انتهى.

هناك كلمة لابن عطاء الله تقول: "كل بداية محرقة لا بد لها من نهاية مشرقة، فكلما تعب الإنسان يفرح بفرح بالنتيجة في النهاية" انتهى، إن بحسب ركوب الأهوال وتحمل المشقة تكون الفرحة بل إن إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم هو من صبر ساعة، والله المستعان ولا قوة إلا بالله، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى، كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل.

والمتنبى يقول: "إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام"^{١١٦} انتهى.

فطالما أنت نفسك كبيرة وتتطلع إلى المعالي، لا بد من أن جسمك يتعب، ولا يرتاح، ولا نوم، ودائم المشقة ويتكلف الكثير في سبيل ما يطلب ولا ريب عند كل عاقل أن كمال الراحة بحسب التعب، وكمال النعيم بحسب تحمل المشاق في طريقه، وإنما تخلص الراحة واللذة والنعيم في دار السلام فأما في هذه الدار فكلما ولما

كلام يوزن بماء الذهب ويكتب بماء العيون وقل فيه ما شئت

فيقول: إن الدنيا طبعت على كدر، وطبيعة هذه الدار التعب والمشقة ولا تصفو لأحد

^{١١٤} كتاب صيد الخاطر - ابن الجوزي - ص ١٧٥

^{١١٥} مفتاح دار السعادة - ابن القيم - (١٥/٢)

^{١١٦} التربية الإسلامية وتطورها في البلاد العربية - محمد منير موسى - ص ٢١٩

الراحة الحقيقية يا أحباب تكون في دار السلام (الأخرة) أما هذه الدار (الدنيا) فكلا ولما، لن تصل إلى الراحة.

الإمام **محب الدين النويري** في كتاب (شرح طيبة النشر في القراءات العشر) يحثنا على الهمة العالية فيقول في آداب طالب العلم: "وأن يكون همته عالية لا يرضى باليسير مع إمكان الكثير". انتهى (أي طالما أقدر على أخذ قدر كبير من العلم فلا أكتفى باليسير منه، طالما أستطيع حفظ الكثير فلا أكتفى باليسير منه)، وأن لا يسوف باشتغالٍ فيأخر تحصيل العلم.

أمامك فرصة اقتنصها لطلب العلم وإن قلت وأمن حصولها بعد ساعة، حتى مع علمه أنه بعد ساعة سيستطيع أن يراجع المحاضرة مثلاً لأنها مسجلة قال لا، لأن في التأخير أفات، لأنه في الوقت التالي حصل مسألة غيرها من العلم.

الإمام **الشوكاني** رحمته الله يقول: "وينبغي لمن كان صادق الرغبة قوي الفهم ثاقب النظر عزيز النفس شهد الطبع عالي الهمة سامي الغريزة أن لا يرضى لنفسه بالدون ولا يقنع بما دون الغاية ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد وأرفع ما يستفاد فإن النفوس الأبية والهمم العلية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة، حتى قال قائلهم:

إذا غامرت في شرف مدوم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وقال آخر مشيراً إلى هذا المعنى:

إذا لم تكن ملكاً مطاعاً فكُن عبداً خالقه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاتركها جميعاً
هما شيئان من ملك ونسك ينيلان الفتى شرفاً رفيعاً

وقال آخر:

فإما مكانا يضرب النجم دونه سرادقه أو باكيًا لحمام^{١١٧}

الأمير **شمس المعالي قابوس** يقول: "اقتناء المناقب باحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل بالسعي في الخطب الجليل" انتهى.

^{١١٧} أدب الطلب ومنتهاى الأدب - الإمام محمد بن علي الشوكاني - (١٢٧)

إقتناء المناقب والفضائل يعني أنت لن يكون لك فضل إلا بإحتمال المتاعب، ولن يكون لك ذكر جميل إلا بالسعي في الخطب الجليل، "فانفضوا النوم وهبوا للعلی ، فالعلی وقف علی من لم ینم"^{١١٨}. انتهى.

فالصلاة خير من النوم، والتجدد خير من التبلىد، والمنية خير من الدنيا، ومن عز بز، فثب وثبة فيها المنايا أي الموت أو المنى يعني ما تطلبه فكل محب للحياة ذليل، فترى عالی الهمة ينطلق بثقة وقوة وإقدام نحو الغاية التي حددها علی بصيرة و علم، يقتحم الأهوال ويستهيى بالصعاب، والله در القائل:

إذا ما علا المرء رام العلاء ويقنع بالدون من كان دون^{١١٩}

وقال آخر: "كن رجلا رجله في الثرى - أي التراب - وهامة همته في الثرى"^{١٢٠}. انتهى، يعني أنت رجلك في التراب ولكن هامة همتك في الثريا.

و أحمد شوقي يقول:

شباب فنع لا خير فهم وبورك في الشباب الطامحيننا

الإمام ابن هشام النحوي صاحب كتاب (مغني اللبيب وقطر الندى وبل الصدى) ينصح طلبة العلم بالصبر على مشاق العلم والتحصيل يقول: "إذ هو شرط في نيل المراد العزيز الغالي، لا بد أنك تعرف ما تطلب، أنك تطلب عزيزاً وغالياً، فيقول:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلى يسيراً يعيش دهرًا طويلاً أخاذل^{١٢١}

يعني أنت إذا لم تذل نفسك وتعبها وتأتي عليها في زمن يسير، ستظل طول العمر إنسان ذليل وتحتاج إلى الآخرين، لأنك بلا علم، فعلى المسافر أن يقطع السفر ويصل إلى البلد الذي يسافر إليه بلزوم الجادة وسير الليل فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله متى يصل إلى مقصده؟

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل^{١٢٢}

^{١١٨} دروس للشيخ علي القرني - علي القرني - (١١/٢٥)

^{١١٩} جمهرة اللغة - ابو بكر بن الحسن الأزدي - (٦٨٦/٢)

^{١٢٠} تاريخ بغداد ت بشار - ابو بكر البغدادي - (٢٣٥/١٣)

^{١٢١} علو الهمة - مجد بن إسماعيل المقدم - (١٤٣)

^{١٢٢} الترغيب والترهيب ت عمارة - الامام المنذري - (٥٢٨/٢)

فعليك يا طالب العلم أن تُجد في التحصيل، فإن الأمر كما قال بن الجنيد: "ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله فإن لم يناله كله نال بعضه"^{١٢٣}. انتهى.

فعلى طالب العلم أن يحرص على علو الهمة في طلب العلم.

ولابن هشام كلام غالي وعزيز ونفيس جداً: هل الإنسان إذا كان يريد أن يسافر نام في مكانه ثم استيقظ فوجد نفسه وصل إلى هذا المكان؟

كذلك طالب العلم من دون أن يطلب العلم على الشيوخ، ويقراً ويشتري الكتب ويصبر على الطلب، وعلى متاعب الطلب، وعلى العوارض التي تعارض الطلب لن يصل.

الشيخ الخضر حسين التونسي شيخ الأزهر الأسبق يقول: "كبير الهمة دوماً في عناء، وهو أبداً في نصب لا ينقضي، وتعب لا يفرغ، لأن من علت همته وكبرت طلب العلوم كلها، ولن تقتصر همته على بعضها، وطلب من كل علم نهايته، وهذا لا يحتمله البدن" انتهى، ثم يرى أن المراد من العلم العمل، وهو يتكلم هنا عن عذاب عالي الهمة، وبنفس الوقت تجد أن هذا عذاب له لذة، وله هذا الطعم الحسن.

يقول: "ثم يرى أن المراد العمل، فيجتهد في قيام الليل، وصيام النهار، والجمع بين ذلك وبين العلم، ثم يرى ترك الدنيا، ويحتاج إلى ما لا بد منه، فهو محتاج أيضاً من المال والنفقة إلى ما لا بد منه لقوام عيشه، ويحب الإيثار، أي: أن من أخلاق عالي الهمة الإيثار، فحتى لو كان معه مال فسيؤثر غيره، ولا يقدر على البخل، ويتقاضاه الكرم البذل، فصفة الكرم تدعوه إلى البذل، وتمنعه عزة النفس من الكسب من وجوه التبذل، فإن هو جرى على طبعه من الكرم احتاج وافقر، وتأثر بدنه وعائلته، وإن أمسك فطبعه يأبى ذلك، ولكن تعب عالي الهمة راحة في المعنى، وراحة قصيرة الهمة تعب وشين إن كان ثمة فهم"^{١٢٤}. انتهى.

ومصادقه في قول عبد الله ابن معاوية ابن عبد الله ابن جعفر: "أرى نفسي تتوق إلى أمور، ويقصر دون مبلغين حالي، فنفسي لا تطاوعني ببخل ومالي لا يبلغني فعالي"^{١٢٥}

قِيلَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خُنَيْمٍ: "لَوْ أَرَحْتَ نَفْسَكَ؟ قَالَ: "رَاحَتَهَا أُرِيدُ"^{١٢٦} فهو أصلاً يتعب نفسه من أجل أن يريحها ولذلك قيل: "بقدر ما تتعنى، تنال ما تتمنى"^{١٢٧} يعني بقدر ما تبذل من العناء والتعب والصبر وتحمل المشاق تنال المطلوب.

^{١٢٣} الجماع لأخلاق الراوي وآداب السامع - أبو بكر البغدادي - (١٧٩/٢)

^{١٢٤} سلسلة علو الهمة - محمد بن إسماعيل المقدم - (١٣/١)

^{١٢٥} تاريخ دمشق - ابن عساكر - (٢١٩/٣٣)

وما سبق هو أقوال العلماء وغيرها كثير، وإن كان لِيُحَرِّكَ الصَّخْرَ وَيُنْطِقَ الْجَمَادَ، إلا أنه يبقى كلاماً نظرياً.

نماذج من علو الهمة في الطلب

الأنبياء ﷺ

نموذج موسى ﷺ وهو أعلى درجات العلم أي الوحي ومع ذلك يرحل في طلب ثلاث مسائل، وهذا التعليق جديد جميل عن ابن حجر حين ترجم البخاري في خبر رحلة موسى عليه السلام قوله "باب ما ذكر في ذهاب موسى ﷺ في البحر إلى الخضر" حيث يقول الإمام ابن حجر: "هَذَا الْبَابُ مَعْقُودٌ لِلتَّرْغِيبِ فِي اخْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِأَنَّ مَا يُغْتَبَطُ بِهِ تُحْتَمَلُ الْمَشَقَّةُ فِيهِ وَلِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَمْنَعَهُ بُلُوغُهُ مِنَ السِّيَادَةِ الْمَحَلِّ الْأَعْلَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَرُكُوبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لِأَجْلِهِ"^{١٢٨}. انتهى.

فسيدنا موسى النبي بلغ المحل الأعلى في طلب العلم، حيث خصه الله من دون الأنبياء بالتكليم ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ [النساء: ١٦٤] ومع ذلك حين علم أن للخضر معه من علم ما ليس معه هو، لم يمنعه وصول هذه الغاية التي هو عليها، أن يركب البر والبحر لأجله.

الصحابه

معاذ بن جبل

موقف سيدنا معاذ بن جبل ﷺ حين حضرته الوفاة يقول: "اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء، ولا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لصيام الهواجر، وقيام الليل، ومجالسة العلماء"^{١٢٩}

^{١٢٦} أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت. ٣٢٣ هـ)، كتاب المجالسة وجواهر العلم، (المجلد ٤ / ص ٤٨)

^{١٢٧} محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، كتاب علو الهمة - الباب الثاني خصائص كبير الهمة - (ص ٢٧)

^{١٢٨} فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر - (١٦٨/١)

^{١٢٩} إحياء علوم الدين - الغزالي - (٤٨١/٤)

سيدنا معاذ ابن جبل أسلم وعنده ثمانية عشر سنة، واختلف في سنة وفاته قيل ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين أما الراجح في ثمانى وعشرون عام، ولقب فيها بأعلم الأمة بالحلال والحرام.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ قَيْدٍ بِه- وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ) ^{١٣٠}، ومع هذا كان قول أن الرغبة في حرصه على الحياة ما كانت قط لتعمير وتشبيد، على عكس التعمير الذي ينشده دعاة الحضارة والمدنية، إذ أن هاذين المفهومين في الإسلام ليسا مركزيين، وإنما هما وسيلة لغاية، فتعمير الدنيا يكون بالدين، وإلا فالأنبياء بعثوا أصلاً لأقوام كانوا يتربعون عرش الحضارة وبلغوا ذروتها ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ﴾ [الفجر: ٨]، ولكن هذه الحضارات عندما لم تقم على الأخلاق، حملت جرثومة الزوال فيها، فسيدنا معاذ بن جبل كان يحب البقاء في الدنيا لصيام الهواجر، وقيام الليل، ومجالسة العلماء.

أبو هريرة

أبو هريرة هو أكثر الرواة عن رسول الله ﷺ الذي كان يحدث عن نفسه فيقول: (إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقُولُونَ: مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ؟! وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانُوا يَشْغَلُهُمْ صَنْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنَ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ، أَعِي جِئْنَ يَنْسُونَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ: إِنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ تَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعُ إِلَيْهِ تَوْبَهُ؛ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ. فَبَسَطْتُ نَمْرَةً عَلَيَّ، حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ) ^{١٣١}

وفي رواية يقول: (والله ولولا آيتان في كتاب الله ما حدتكم شيئا أبدا)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ﴾ ^{١٣٢} إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]

١٣٠ صحيح البخاري ط السلطانية - (٣٦/٥) - إسناده صحيح

١٣١ الراوي: أبو هريرة | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم: 2047 | خلاصة حكم المحدث [صحيح]

وغيرهم من الصحابة كثير، منهم سيدنا أبو ذر كان يحدث بمسألة وهو على فراش الموت، وغيرهم من المقرئين والمحدثين والفقهاء والمفسرين من أصحاب الرسول ﷺ، ما بلغوا هذا إلا بحرصهم على طلب العلم وعلو همتهم فيه.

العلماء

يقول الإمام ابن الجوزي: "واعلم أني قد تصفحت التابعين ومن بعدهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع سعيد والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل" انتهى^{١٣٢}

أحمد بن حنبل

أحمد بن حنبل يحكي عن نفسه في طلب العلم "كنت ربما أردت البكور في الحديث"^{١٣٣} انتهى، يعني في طلب الحديث، لأن النبي ﷺ قال: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)^{١٣٤}

يقول: "فتأخذ أمني بئيا حتى يصبح الناس"^{١٣٥} انتهى، أي تمنعه أمه إلى أن يصبح الناس ويصير الطريق آمنا، وقال: "لو كان عندي خمسون درهما لخرجت إلى جرير بن عبد الحميد"^{١٣٦} انتهى، يعني إذا وُجد معه مال سيذهب للشيخ، أي أن المال مجرد وسيلة ليذهب به إلى الشيخ.

سفيان الثوري

هو من التابعين الأربعة الذين حظوا بالكمال على حد قول ابن الجوزي يقول: "لمَّا أردتُ أن أطلبَ العلمَ قلتُ: يا رب، إنه لا بد لي من معيشة"^{١٣٧} انتهى، أي أحتاج إلى المال "ورأيتُ العلمَ يدرس-أي يُنسى ويُهجر- فقلتُ: أفرِّغ نفسي لطلبه وسألتُ ربي الكفاية" انتهى، وعزم على طلب العلم فتكفلت والدته بالإنفاق عليه، وقالت: أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، أخذ يتلقى العلم عن شيوخ متعددين، ويحمل العلم والخبر، وكان سفيان الثوري كثير الإهتمام بطلب العلم، وذكر أبو نعيم أن سفيان الثوري كان إذا لقيَ شيخًا سأله: "هل سمعتَ من العلم شيئاً؟ فإن قال: لا، قال: لا جزاك الله عن الإسلام خير"^{١٣٨} انتهى، لم تسمع من العلم شيئاً وأنت في هذا السن! قضيتَ عمرَكَ بدون

^{١٣٢} صيد الخاطر - ابن الجوزي - (٥١١)

^{١٣٣} مناقب الإمام أحمد - ابن الجوزي - (٣١)

^{١٣٤} سنن ابن ماجه ت عبد الباقي - (٧٢٥/٢) - صحيح .

^{١٣٥} مناقب الإمام أحمد - ابن الجوزي - (٣١)

^{١٣٦} نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي - (٧/ ٢٩٨٨)

^{١٣٧} حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط السعادة - أبو نعيم الأصبهاني - (٦/ ٣٧٠)

^{١٣٨} سلسلة علو الهمة - مجد بن إسماعيل المقدم - (١٤/١١)

فائدة! وكان يقول: "ليس عملٌ بعد الفرائض أفضل من طلب العلم"^{١٣٩} انتهى، وكان يقول: "لا نزال نتعلم العلم ما وجدنا مَنْ يُعلِّمنا"^{١٤٠} انتهى، أي لا ننتقل أبداً عن طلب العلم.

ثعلب النحوي

ثعلب النحوي يقول: "ما فقدتُ إبراهيمَ الحربي من مجلس لغَةٍ ولا نحوٍ، خمسين سنة"^{١٤١}، يواظب على حضور حضور الدرس خمسين سنة، ولثعلب النحوي قصة طريفة أنه كان إذا دُعِيَ إلى وليمة يطلب من صاحب الوليمة أن يفسح له مقدار ما يضع فيه كتاباً، يعني يصطحب معه الكتاب في الوليمة حتى يقرأ فيه، وقيل أصيب بالصمم، وكان يقرأ ماشياً وصدمته دابة من ورائه أو وقع في حفرة ومات على إثرها.

أبو حاتم

ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة أبي حاتم الرازي محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٧٧هـ أحد المحدثين الكبار أن أبا حاتم قال: "قال لي أبو زرعة يعني الرازي ما رأيت أحرص على طلب الحديث منك فقلت له: أن عبد الرحمن ابني لحريص، فقال: "من أشبه أبا فما ظلم"، قال الرمام وهو أحمد بن علي، أحد رجال إسناد الخبر – فسأل عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له وسؤالاته لأبيه فقال: ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه"^{١٤٢}.

كان يغتنم اقترابه من أبيه في البيت، فكان يأكل أبوه ويقرأ عليه، ويمشي ويقرأ عليه، يدخل الخلاء ويقرأ عليه، ومسألة القراءة عليه في الخلاء فعلها الإمام ابن تيمية وغيره من العلماء كان يطلب من ابنه أن يرفع صوته، حتى وقت قضاء الحاجة لا يجوز القراءة في الخلاء، يريد أن يسمع العلم، لا يريد أن يضيع وقته، وستأتي نماذج غاية في الجمال على حد قول القائل:

وَحَدَّثَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فَزِدْتَنِي جُنُوناً فَزِدْنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ
هَوَاهَا هَوَى لَمْ يَعْلَمِ الْقَلْبُ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ^{١٤٣}

من الأعاجيب التي نسمعها محفزة ومشجعة، المهم يقول كان يقرأ عليه، ويغتنم الفرصة إلى أقصى حد ممكن، فكانت الثمرة المحافظة على الزمن والحرص على طلب العلم أن أثمر نتاجاً علمياً كبيراً، كتاب الجرح والتعديل

^{١٣٩} حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط السعادة – أبو نعيم الأصبهاني – (٦/ ٣٦٣)

^{١٤٠} حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط السعادة – أبو نعيم الأصبهاني – (٦/ ٣٦٣)

^{١٤١} تاريخ بغداد ت بشار – أبو بكر البغدادي – (٥٢٢/٦)

^{١٤٢} العلل لأبن أبي حاتم – ابن أبي حاتم – (١٦٢/١)

^{١٤٣} أنوار الربيع في أنواع البديع – ابن معصوم – ص ٢٧٢

في تسعة مجلدات، وهو من الكتب النفيسة الحافلة الرائدة في هذا العلم، وكتاب التفسير في عدة مجلدات، وكتاب المسند في ألف جزء، وكتاب الجرح والتعديل، وهو من الكتب المعتمدة في علم الحديث.

الإمام الذهبي يقول في سير أعلام النبلاء: قال علي بن أحمد عن الخوارزمي قال: قال ابن أبي حاتم: "كنا بمصر سبعة أشهر لا نأكل فيها مرققة، نهارنا ندور على الشيوخ وبالليل ننسخ ونُقابل، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأيتُ سمكةً أعجبتنا، فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ، فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت أن تُتثن، فأكلناها نيئة لم نتفرغ نشويها، ثم قال: لا يُستطاع العلم بِرَاحَةِ الجسدِ"^{١٤٤}

ثلاثة أيام، لم يكن هناك ثلاثجات في تلك الأيام وكادت أن تتثن، فأكلناها نيئة ولم نتفرغ نشويها! الله، الله!

أعد ذكر نعمان أعد إن ذكره من الطيب ما كررته يتضوع^{١٤٥}

ثم قال: لا يُستطاع العلم براحة الجسد.

الخليل بن أحمد

الخليل بن أحمد - العالم اللغوي - يقول: "أثقل الساعات علي ساعة أكل فيها، لأنه يهجر فيها العلم، أصعب ساعة و هو لا يقصد ساعة بمعنى الساعة، الساعة تطلق على بعض الوقت"^{١٤٦}

عثمان الباقلاني

كان دائم الذكر لله، قال: "إنني وقت الإفطار أحس بروحي وكأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر". يا سلام! فكان يجلس يكتب الحديث وتأتي أخته تلقمه إلى فمه، ليس عنده وقت يتناول الطعام بيديه!^{١٤٧}

ابن الجوزي

الإمام ابن الجوزي رحمه الله يحكي عن نفسه فيقول: "ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل."^{١٤٨} انتهى، أي أن هذه المتاعب تصير لذة.

^{١٤٤} العلل لأبن أبي حاتم ت الحميد - ابن أبي حاتم - (١٦٢/١)

^{١٤٥} مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن طدار الحديث - ابن الجوزي - ص ٤٢٩

^{١٤٦} سلسلة علو الهمة - مجد بن إسماعيل المقدم - (١٧/١١)

^{١٤٧} سلسلة علو الهمة - مجد بن إسماعيل المقدم - (١٧/١١)

^{١٤٨} صيد الخاطر - ابن الجوزي - (١)

أبو حامد رحمه الله يقول: "اللذة الذوقية لا توصف، لا يمكن نقلها في عبارات، وإنما لا بد للإنسان أن يجربها" انتهى، الإنسان الذي يذوق حلاوة العلم يجد أن كل هذه المتاعب والمشاق تتحول في النهاية إلى لذة يطرب به

ابن الجوزي رحمه الله يقول: "ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا أخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين مهمتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أنني عرفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول ﷺ، وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود، (أي مثل الدليل أي صرت دليلاً خبيراً)، وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يُدرك بالعلم، حتى إنني أذكر في زمان الصبوة ووقت الغلظة (الشباب) والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي من العلم من خوف الله، ولولا خطايا لا يخلو منها البشر لقد كنت أخاف على نفسي من العُجب، غير أنه عز وجل صانني وعلمني وأطلعني من أسرار العلم على معرفته وإيثار الخلوة به حتى إنه لو حضر معي معروف وبشر لرأيتهما زحمة! (لا وقت لديه للناس، فهو لا يطلب إلا العلم، فليس لديه وقت للمسامرة فلو حضر معه معروف وبشر العلماء الصالحين العباد الزهاد لرأهما زحمة) ثم عاد فغمسني في التقصير والتفريط، (الانتكاسات الذي تحدث لأي إنسان والتفريط) حتى رأيت أقل الناس خيراً مني، و تارة يوقظني لقيام الليل ولذة المناجاة، وتارة يحرمني ذلك، مع سلامة بدني (أي ليس لديه مانع من أن يقوم الليل و لكن الله هو الذي أقعده عن القيام) ولولا بشارة العلم أن هذا نوع تهذيب وتأديب لخرجت إما إلى العُجب عند العمل، وإما إلى اليأس عند البطالة (أي أن العلم صانه فعند العمل لا يعجب، وعند البطالة أي عند قلة العمل فلا قيام ليل ولا ذكر وتقصير وما إلى ذلك قد ييأس الإنسان)، لكن رجائي في فضله قد عادل خوفي منه." ^{١٤٩} انتهى.

طبعا الحديث في هذا يطول جداً جداً يا أحببنا ويحتاج إلى أوقات كثيرة جداً، الإمام النووي مثلاً كان يحضر اثنا عشر درساً في اليوم ما بين أصول الفقه والفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن واللغة والنحو والصرف والبلاغة، ظل سنتين يغفو إغفاءة، ما وضع جنبه على الأرض، والإمام الرازي مات له ابن وبالكاك ودعه إلى باب المدرسة وتركه.

الإمام أبو يوسف

الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة لما مات ابنه وكُل من جيرانه من يقوم بدفنه وقال: "خشية أن يفوتني درس لأبي حنيفة لا تزول حسرته أبد الزمن، أي إذا ما قالوا له فيما بعد أن أبي حنيفة قال كذا في المجلس وأنت لم تكن

^{١٤٩} صيد الخاطر – ابن الجوزي – (٢٤٨)

موجوداً، فتظل عنده حسرة^{١٥٠} انتهى، (أي كان عندهم أشياء غريبة يصنعونها من أجل طلب العلم أو من أجل الهمة العالية في طلب العلم).

سبل علو الهمة

القراءة في سير السابقين

هناك أشياء مكررة لا بد منها وهي بمثابة الأصول ومنها القراءة في سير السابقين.

الإمام ابن القيم له كلمة جميلة حيث يقول: "النفس تأنس بالنظير"^{١٥١}، أي عندما أجد أحداً شبيهاً لي وصنع مثل ذلك فهذا يعني أنني لست الوحيد في هذا الباب أو في هذا الجانب، أي إنني لست غريباً، وحتى وإن كنت غريباً فإن العلماء يقولون: "ولا يضرك التفرد فإن طريق العلاء قليل"^{١٥٢}. أي أن طريق العلاء دائماً طالبيه قلة، فلا يضرك حتى لو كان السالكين لطريق العلم قليل، أنت لا يضرك هذا لكن مع ذلك فأنت لك أن تأنس بالنظير من سير السابقين وهم أكثر طبعاً، وسندل على الكتب التي تتحدث عن ذلك، منها مثلاً علو الهمة للشيخ اسماعيل المقدم، وهو مجلد واحد، منها صلاح الأمة في علو الهمة للدكتور سيد العفاري وهو سبع مجلدات، منها كتاب صفة الصفة للإمام ابن الجوزي، منها الكتب التي نذكرها مراراً قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبدالفتاح أبو غدة وغيرهم.

مصاحبة أصحاب الهمم

الصحبة ركن من أركان الطلب، أكرر الصحبة ركن من أركان الطلب، هناك حكمة تقول: من جالس جانس، أي الإنسان عندما يجلس مع إنسان يأخذ من جنس صفاته، ولذلك قيل: من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه، الذي ليس من جنسك أو من جنس ما تعمل أو رغباتك أو أهدافك وغاياتك فهذا لا تجالسه، وإذا استحكمت المرافقة تعذرت المرافقة، أي عندما ألتصق بشخص ما وليكن الشخص هذا كثير الذكّر تعذرت المرافقة، أي يتعذر علي أن أفارقه في هذا، ستجدني كثير الذكر، كثير التلاوة للقرآن، وآخر كثير الحث على مجالس العلم، عندما يجد مجلس علم يبعث لك ويرسل إليك، فطارة تعتذر وتحضر أخرى، لكن ستتعدّر المرافقة، إذا استحكمت المرافقة (كنت رفيقه فعلاً) تعذرت المرافقة، فلا بد أنك ستأخذ منه.

هناك مثال جميل جداً وبه أختتم ثم أسرد العناصر الأخرى.

^{١٥٠} مناقب أبي حنيفة للموفق المهدي - نقلاً عن قيمة الزمن (٢٧)
^{١٥١} إعلام الموقعين عن رب العالمين - ط العلمية - ابن القيم الجوزية - (١٨٣/١)
^{١٥٢} علو الهمة - محمد ابن اسماعيل المقدم - (٤١)

العربي يتصور أن الشمعة عندما أوقدنا فيها النار تبكي (من المعروف أن الشمع عندما تشعل فيه النار ينزل منها سائل مذاب الذي ينتهي به الشمع) فيقول:

مالي أرى الشمع يبكي في مواقده من صحبة النار ام من فرقة العسل^{١٥٣}

فما علاقة العسل بالشمع؟ يقول العلماء في بيتين الشعر: أن النحل لما راعت من كل فاكهة أخرجت لنا الجوهرين الشمع والعسل.

الشمع في الليل ضوء يستضاء به والشهد يبكي بإذن البارئ العلاء^{١٥٤}

فإذا كان الشمع صديق العسل عند النحل، فالرجل يقول: ما لي أرى الشمع يبكي في مواقده من صحبة النار التي جعلته يبكي أم من فرقة العسل؟، فرد عليه أحد الشعراء قال: من لم تجانسه فأحذر أن تجالسه، الذي ليس من جنسك وهدفك وغايتك فاحذر مجالسته.

من لم تجانسه فأحذر أن تجالسه ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل^{١٥٥}

يقصد الذي ضر بالشمع أو جعله يبكي ليس فرقة العسل وليس صحبة النار، وإنما الفتل الذي جعل للنار سبيلاً عليها، فإذا أوقدت الشمع وحده صعب، إنما الذي يجعل سبيلاً للنار عليه صحبة الفتل، فاحذر من صحبة الفتل.

الصحبة في المهمة :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم الله يعلم أنني لم أقل فنندا
إنني لأفتح عيني حين أفتحها على كثيرٍ لكن لا أرى أحداً^{١٥٦}

حضور مجالس العلم والتواصل مع العلماء

قلنا إنك تشعر بلذة الحصول على معلومة جديدة، التواصل مع العلماء، وسؤالهم باجتهاد في المطالعة، والإكثار من القراءة.

^{١٥٣} البيت في الغيث المسجم – (٢/ ٣٤٣)

^{١٥٤} رفع النقاب عن تنقيح الشهاب – أبو عبدالله الحسين الشوشاوي – (١١٧/٦)

^{١٥٥} مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – احمد قيش بن محمد نجيب – (٩٩/٢)

^{١٥٦} الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة – ابن شمس – (٢٩)

ابن الجوزي يقول: "سبيل طالب الكمال في طلب العلم للإطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشدخ خاطره، ويحرك عزمته للجد وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي بها المبتدئ، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم كأنك تراهم"^{١٥٧}

كما قال القائل:

فاتني أن أرى الـديار بطرفي فلعلي أرى الـديار بسمعي^{١٥٨}

يقصد هنا إذا لم آراهم استطيع أن أسمع عنهم.

وإني أخبر عن حالي ما أشبع من مطالعة الكتب
وإذا رأيت كتاباً لم أراه فكأنني وقعت على كنز^{١٥٩}

ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي وكتب شيخنا عبدالوهاب ابن ناصر وكتب محمد بن محمد الخشاب وكانت أحماًلاً وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت إنني طالعت عشرين ألف ألف مجلد كان أكثر وأنا بعد في الطلب، لم يكتفى بكتاب واحد أو كتابين أو خمسة كتب

أيضاً مما يساعد على معرفة الهدف والغاية، ابن القيم يقول: "ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجادوا عليها بالسيوف؛ لكن حُفَّت بحجاب من المكاره تقعد الهمة، فلا يصل إليها إلا صادق العزيمة وحجبا عنها بحجاب من الجهل يختص الله لها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم"^{١٦٠} انتهى.

ابن الجوزي يقول: "من لاح له فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف" انتهى.

ليكن شعارك...

نحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسنة لم يغله المهمل^{١٦١}

^{١٥٧} صيد الخاطر - ابن الجوزي - (٤٤١)

^{١٥٨} - صيد الخاطر - ابن الجوزي - (٤٥٤)

^{١٥٩} صيد الخاطر - ابن الجوزي - (٤٥٤)

^{١٦٠} مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن القيم - (١٠٩/١)

^{١٦١} علو الهمة - محمد بن اسماعيل المقدم - (٣٠)

المرأة و فضل العلم وطلبه وعلو الهمة

التسوية بين المرأة والرجل في العمل الصالح

قضية التسوية بين المرأة والرجل في العمل الصالح جاء بمنطوقها القرآن الكريم: قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، ولدنا قاعدة: أن كل ما طُلب من الرجل المسلم هو مطلوب من المرأة المسلمة ما لم يرد تخصيص بذلك، والعلم من جملة العمل الصالح، وقال الله ﷻ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

وقال ﷺ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَفَائِقُ الرِّجَالِ»^{١٦٢}، وقد كان من فعل النبي ﷺ أنه خصص يوماً لتعليم النساء:

عن أبي سعيد الخدري: (قال النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَيَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: (مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةَ مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا جِجَابًا مِنَ النَّارِ). فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: واثنتين؟ فقال: ((واثنتين))^{١٦٣}

فهذا الحديث يدل على أن درس العلم لم يخل من محاوره و من سؤال بين المرأة وبين رسول الله ﷺ، وبالقاعدة نفسها لا يقال أن هذا خاص برسول الله ﷺ لأنه نبي، لأنه لا يُخَصَّصُ النِّصَّ إِلَّا بِمُخَصَّصٍ، بل ورد عكس ذلك حيث أن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خصص أيضاً للنساء درساً كان يعظهن فيه اقتداءً برسول الله ﷺ.

أقر النبي ﷺ لنساء الصحابة طلب العلم، ولم يمنعهن الحياء من ذلك، بل أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أتت عليهن حيث قال: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهُنَّ فِي الدِّينِ»^{١٦٤}

وقد سألت امرأة النبي ﷺ كيف تغتسل من حيضتها واجتذبتها عائشة رضي الله عنها وأفهمتها.

إن من حقوق الزوجة على زوجها والبنات على أبيها أن يعلمها أمر الدين، إذ أن الله سبحانه يقول في القرآن الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]

قال علي: في تفسيره أي علموهم و أدبوهم

١٦٢ «مسند أحمد» (٤٣/ ٢٦٥ ط الرسالة)
١٦٣ «صحيح البخاري» (١/ ٥٠ ت البيهقي)
١٦٤ «مسند أحمد» (٤٢/ ٧٣ ط الرسالة)

في مدح تعلم المرأة

ثناء النبي على من علم المرأة أو تسبب في تعليمها

النبي ﷺ يقول (ثلاث يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها - أي الأخلاق و الآداب الشرعية- ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران) وهذا للأمة بالنص وللأهل بالقياس.

والنبي ﷺ أكد على اعتناء الإنسان بأهله كما كان يأمر أهله: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)، عن الإمام البخاري في (صحيحه): "باب تعليم الرجل أمته وأهله"، ثم ساق حديثه عن الرسول ﷺ.

وحين نذكر أن الإمام البخاري قال كذا و كذا كعنوان للحديث، فذلك يدلّ على أن الإمام البخاري فقيه في تراجمه (بمعني أنه يُؤخذ من تراجم الإمام البخاري الفقه أي أنه كان فقيهاً) فكان ﷺ يعنون العنوان المناسب كحكم مأخوذ من الحديث، وأيضاً الإمام البخاري قال في نفس الباب: "هل يجعل للنساء يوم على حدا في العلم؟" و ساق حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قالت النساء للنبي ﷺ: "غلبنا عليك الرجال"

ابن حجر يعلق قال: "ووقع في رواية سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة نحو هذه القصة وقال: (موسعكن بيت فلانة) فأتاهن فحدثهن"

وهناك أيضاً الحديث في صلاة العيد حين أنهى النبي ﷺ خطبة العيد أتى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة و قال فيما قال ﷺ: (أرَيْتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)

تجربة شخصية للدكتور محمد بعنوان المرأة بين المسيحية و الإسلام

في سنة ٢٠١٢ شرحت حلقة عن المرأة بين المسيحية والإسلام، فكنت أتناول فيها بعض الشبهات وتناولت حوالي أربع عشرة شبهة فكانت شبهة الحجاب، هل الحجاب فيه تقييد لحرية المرأة؟ و كذا قلت:

أي حجاب يذم؟ الحجاب الذي يستر جسد المرأة ويحافظ عليها ثم يفتح لها أفاق العلم فتصير عالمة ومحدثة و فقيهة و تصير أفضل من الرجال إذا كانت بهذه الدرجة والرجال يتعلمن منها، أم الحجاب الذي يوضع على عقل المرأة، الحجاب الذي وُضع على عقل المرأة الذي ورد في الإنجيل بالعهد الجديد:

"إِتَّصَمْتُ نِسَاؤَكُمْ فِي الْكَنَائِسِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْدُونًا لِهِنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرَدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا، فَلَيْسَ أَلَّنَ رَجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ" [رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس: الإصحاح ١٤: العدد ٣-٣٥] وأيضا: "وَلَكِنْ لَسْتُ أَدْنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونِ فِي سَكْوَتٍ" [رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس: الإصحاح ٢: العدد ١٢]

فهو يحجر على المرأة ويحجب عنها العلم ويجعل العلم حكراً على الرجال، في حين أنه لا يوجد في الإسلام هذا الكلام، إذاً أي الحجابيين يذم؟ الحجاب الذي يغطي الجسد ثم يفتح أفق العقل والعلم و المعرفة للمرأة ليصير النسل نسل فيه خير لأن الأم مُعدة لذلك.

فكيف نطُنُّ بالأبناء خيراً ... إذا نشؤوا بحضن الجاهلات
وهل يرجى لأطفال كمال ... إذا ارتضعوا تُدِي الناقصات

أمثلة من عالِمات الأمة الإسلامية

شهادة الواقع والتاريخ الإسلامي، و أسانيد العلماء في التاريخ الإسلامي تحفل بالنساء اللاتي طلبن العلم وكن فقيهاً عالِمات داعيات على رأسهن عائشة ؓ.

أم المؤمنين عائشة ؓ

- يقول أبو موسى: "ما أشكل علينا أصحاب رسول الله في حديثٍ قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علم" انتهى، بمعنى أن الصحابة الرجال يرجعون إلى عائشة ؓ وهناك كتاب اسمه (استدراكات عائشة على الصحابة ؓ) فعائشة ؓ كانت تستدرك على صحابة رسول الله ﷺ
- سيدنا عطاء بن أبي رباح -و كان مفتي مكة- كان يقول: "كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العام" انتهى
- قال عروة ابن زبير: "ما رأيت أحداً أعلم بعلم نعرفه إلا الموفقون ولا فريضة ولا أعلم بأفقه من عائشة" انتهى.

عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري

أيضا ليست السيدة عائشة فقط وإنما من علماء الحديث العالمة عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاري وكانت في حجر عائشة أي تربت عند عائشة رضي الله عنها، فأخذت عنها العلم الغزير وروى عنها جمع من كبار المحدثين كسليمان ابن يسار، وعروة ابن الزبير، وابن شهاب الزهري وغيرهم.

- قال الزهري- وهو إمام من أئمة المحدثين الكبار:- "قال لي القاسم بن محمد: "أراك تحرص على العلم أفلا أدلك على وعاءه؟- أي هل تريد شيئاً تأخذ منه العلم-، قلت: بلى، قال: عليك على عمرة بنت عبد الرحمن فإنها كانت في حجر عائشة سندها قوي متصل، فأتيتها فوجدتها بحر يُنزف، و علم لا ينتهي"

من هذا الذي يعترف؟ هو الإمام ابن شهاب الزهري إمام المحدثين وشيخ البخاري ويعترف لهذه المرأة بالفضل، ولا ينكر من أجل أنها امرأة، فلا توجد تلك الحساسية التي يفتعلها أعداء الدين ويدلسون.

حفصة بنت سيرين

- إلياس بن معاوية يقول: "ما أدركت أحداً أفضله على حفصة بنت سيرين قرأت القرآن وكان عندها عشر سنين، وعاشت سبعين سنة" انتهى

فلو أنه مجتمع ذكوري ينتصر للرجال سيقول محمد ابن سيرين كان رجلاً مشهوراً بالعلم والإمام الحسن البصري كان كلامه يشبه كلام الصديقين ولكن ليس لدينا هذا الكلام

- قال مهدي ابن ميمون: "مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مُصلاها إلا لقائلة- أي القيلولة- أو لقضاء حاجة، فكانت تظل في مجلسها" انتهى

بنت سعيد بن المسيب

بنت سعيد بن المسيب التي قلنا أنّ عبد الله بن وداعة كان من طلاب أبيها و تزوجها، ولما أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له: "إلى أين؟" قال: "إلى مجلس سعيد"، قالت له: "اجلس أعلمك علم سعيد" انتهى

بنت الإمام مالك

كان الطلاب لما يأتون إلى الإمام مالك ويقرؤون عليه (الموطأ) إذا أخطأ قارئ في حرف، أو زاد، أو نقص، فابنة الإمام مالك تدق الباب وأبوها يقول للقارئ ارجع ارجع فالغلط معك، فهي كانت مصححة لهؤلاء القراء، فيرجع القارئ ويجد الغلط، وكانت لا تنطق بكلمة تطرق الباب فقط.

زوجة الإمام الكسائي

زوجة الإمام الكسائي علاء الدين وهو من أئمة الحنفية الكبار وله كتاب إسمه (بدائع الصنائع)

فاطمة بنت محمد علاء الدين السمرقندي أبوها عالم من علماء الحنفية وله كتاب إسمه (تحفة الطالب)، فالسيدة فاطمة حفظت تحفة أبيها وخطبها من جماعة من ملوك الروم وامتنع والدها والكسائي كان طالب علم فلزم والدها وقرأ عليه التصانيف ومنها كتاب (تحفة الطالب) وشرحها في كتابه (بدائع الصنائع) وعرضه على شيخه الذي هو محمد بن علاء الدين السمرقندي ففرح وزوجه ابنته .

لقد طلبها ملوك وأبى وزوجها طالب العلم، فكتاب (بدائع الصنائع) هذا كان مهراً لفاطمة بنت محمد علاء الدين السمرقندي، وزوجها هذا الكسائي كان عالماً كبيراً ربما يهيم أو يُخطأ في فتوى، فترده إلى الصواب وتعرف وجه الخطأ فيرجع إلى قولها.

أنظروا إلى الأمانة العلمية للنقل، وهو مرجع من المراجع المعتمدة عند الأئمة الحنفية فالذي يدرس المذهب الحنفي يعرف أن هذا الكتاب عمدة من كتب المذهب الحنفي كان يرجع إلى قولها وكانت تفتي وكان زوجها يكرمها وكانت تخرج على الفتوى خطها وخط أبيها السمرقندي فلما تزوجت الكسائي كانت الفتوى تخرج عليها خط الثلاثة - أي كانت تخرج الفتوى مختومة باسمها واسم أبيها فلما تزوجت زادت زوجها معهم-، وهي التي سنت تفسير الفقهاء بالمدرسة الحنبلية كان معها سوارين من الذهب فباعتهما وعلت بهذا ثمن إفطار كل ليلة فاستمر العمل على ذلك كل ليلة، أي تعزم الفقهاء، والتاريخ يذكر هذا بكل شفافية ويذكر فضل السيدة فاطمة بنت محمد علاء الدين السمرقندي.

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح البغدادية شيء عجب والله: عالمة فاضلة كانت تفعل المعروف وتنهي عن المنكر وتتكلم البدع، تفعل ما لا يفعله الرجال، وكانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في أماكن

خاصة بالنساء، لا يخالطن الرجال، وسمعت من شيخ الإسلام وأثنى عليها ووصفها بالفضل والعلم، وكانت تستحضر كثيراً من (المُغني)، وهو كتاب لابن خزيمة من الكتب المعتمدة في الفقه الحنبلي أو أكثره حفظاً والمُغني هذا ١٢ مجلد

وعندها من حسن السؤالات وسرعة الفهم. وختمت نساءً كثرات القرآن، أي إن الكثير من النساء ختمن عليها القرآن، على يد من؟ أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي فتح البغدادي، وابن كثير يقول: "منهن، أي ممن ختمن عليها، أم زوجتي عائشة بنت الصديق زوجة الشيخ جمال الدين المزني، وأقرأت ابنتها زوجة أمة الرحيم زينب- رحمهن الله وأكرمهن برحمته-"

تخيل أن إمام طور شامخ، علم كبير من الأعلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله ويثني على أم زينب فاطمة بنت عباس لما رأى عندها من العلم والفهم، رغم أنه صارت بذكره الرُكبان كما يقولون، الإمام ابن تيمية، ومع ذلك هذا لم يمنعه أن يعترف بالفضل لأهل الفضل، وهذا موجود في التراث الإسلامي كثيراً.

فاطمة بنت محمد التنوخية

فاطمة بنت محمد التنوخية، خاتمة المسندين في دمشق، كانت عالمة بالحديث

نُصار بنت أبي حيان الأندلسي

نُصار بنت أبي حيان الأندلسي حفظت مقدمة في النحو وخرّجت بنفسها جزءاً من الأحاديث بالأسانيد ونظمت شعراً جيداً وكان أبوها يقول لبيت أخاها حيّان مثلها، لبيت الأخ مثل أخته، كانت ناسكة فصيحة خاشعة عابدة.

فلك أن تتخيل لو كان عندنا تفضيل فعلاً في مسألة الذكورة على الأنوثة لقال حيّان مهما عمل سيكون أفضل من أخته نُصار، لكن على العكس قال: كنت أرجو من الله ﷻ أن يصير حيّان مثل نُصار في العلم والفقه.

امرأة تعلم زوجها

هذه النصوص جولة سريعة وغيرها الكثير موجود لو أجرينا فحص في مسألة الأسانيد، فابن الأثير كتب جزء كاملاً في تاريخه اسمه (أخبار النساء)

إذن اتفقنا على أن مبدأ العلم وفضله يتساوى فيه الرجال والنساء بل ربما فاقت فيه المرأة الرجل، بل المرأة أحياناً تعلم زوجها، وعندنا حديث أبي رافع لما أحدث في الصلاة وزوجته قالت له أن النبي ﷺ أخبر أنّ من أحدث يجب

أن يتوضأ فضربها وذهب للنبي ﷺ يشتكيه، فالنبي ﷺ سأله عن سبب ضربه لها، فلما أخبره بما قالت، أشار النبي ﷺ أنها إنما دلته إلا على خير، هذا يدل على أن المرأة قد تكون أفتح من زوجها وتعلم زوجها فضلاً عن أن تعلم أبنائها وأن تكون حاضنةً جيدةً لهم.

صفات طالب العلم المسلم

الصدق والأمانة

الصدق قبل العلم

تعلم الصدق قبل العلم تطلبه ... فصاحب الكذب عن نيل المني حجب

- من كلام الإمام ابن عبدالبر: في جامع بيان الفضل وعلمه، يقول: "إن من بركة العلم أن تُضيف الشيء إلى قائله" انتهى

- شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "من أراد أن ينقل مقالة عن طائفة فالتيسر القائل والناقل وإلا فكل أحد يقدر على الكذب" انتهى

- المُعَلِّم يقول: "إن كل فائدة لم تُسند إلى صاحبها فهي لقيطة"، ليس لها نسب. أي أقول أن مسألة الأمانة تدخل في مسألة السند في الإسلام، فمسألة العزو عن الناقل، والإسناد من الدين، فكل معلومة تأتي بها لا تُسندها إلى قائلها فهي لقيطة كالطفل المنبوذ لا يعرف أبوه من المُنتسبين، والإمام القرطبي قال قريباً من هذا.

الأمانة

عندنا أقوال كثيرة جداً، طبعاً الأمانة هي من صفات المسلم أصلاً، المسلم الأصل فيه أن يكون مُتَّصفاً بالأمانة وهي من صفات الرسل، النبي ﷺ لقب بالصادق الأمين، والعلماء لم يكتفوا بالنتنظير بل مارسوا هذا تطبيقاً عملياً لهذه الصفة وحضوا عليها، فقيل:

وفي التَّحْمَلِ والإبلاغِ فاصطحب ... أمانة العلم ولتستهم الكذب

أمثلة للتطبيق العملي لأمانة النقل عند العلماء

- في بداية (بستان العارفين) للإمام النووي، سبحان الله العظيم هو إمام علم شامة لو أنه قال أني جمعت هذا الجمع لا يستطيع أحد أن ينكر عليه ولا يشك لأنه إمام مُحَدِّث، أرجو أن تستحضروا هذا المعنى

وتقرأوا النص وتتأملوه جيداً معي، الإمام النووي رحمه الله يقول: "ومما ينبغي الاعتناء به بيان الأحاديث التي قيل إنها أصول الإسلام، وأصول الدين أو عليها مدار الإسلام أو مدار الفقه والعلم فنذكرها في هذا الموضوع لأن أحدها حديث الأعمال بالنية ولأنها مهمة فينبغي أن تُقدّم وقد اختلف في عددها اختلافاً كثيراً" انتهى، الإمام النووي في بداية بستان العارفين يتكلم عن مسألة الإخلاص والنية فأتى بحديث النية، وكما تكلمنا سابقاً عن النية وقلنا أن البعض يُعده ربع الدين، ثلث الدين، نصف الدين على خلاف، يقول طالما أننا نريد جمع الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ونذكرها هنا عند حديث إنما الأعمال بالنيات؛ لئيبين موضع هذا الحديث من الدين، فيقول: "فقد اجتهد في جمعها وتبينها. الشيخ الإمام الحافظ أبو عمر وعثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح رحمه الله - انظر ماذا يقول لك اعترافاً بالأفضل لأهل الفضل - ، ولا مزيد على تحقيقه وإتقانه" انتهى، أي أنني لن آتي بأفضل منه لينبغي أن يُثنى على عمله وأن يُذكر فيشكر، فيقول: "ولا مزيد على تحقيقه وإتقانه، فأنا أنقل ما ذكره رحمه الله مختصراً" انتهى، أي أنا فقط أختصر مع أن الاختصار من الأبواب التي نص العلماء على أنها من أبواب التأليف، إما أن تشرح مختصراً أو تختصر مشروحاً أو تجمع متفرقاً أو تبتكر جديداً، أي أحد أسباب التقليد، قال: "وأضم إليهما تيسراً مما لم يذكره فإن الدين النصيحة" الله أكبر، هو يقول أنا أزيد على ما ذكره الإمام ابن الصلاح ما لم يذكره وهذا استدراك العلماء، أننا نكمل على جهد الآخرين والسابقين، فإن الدين النصيحة ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذ من كلام غيره أنه له، فهو جدير ألا ينتفع بعلم، ولا يبارك له في حال، ولم يزل أهل العلم والفضل على إضافة الفوائد إلى قائلها، نسأل الله التوفيق لذلك دائماً، وإن هذه طريقة أهل العلم. أنهم ينسبون الكلام إلى قائله

وهذه صفات الأمة المحمدية، أن يذكر اللاحق خير السابق، وأن يعترف بفضله، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]، بخلاف اليهود كلما جاءت أمة لعنت أختها لها، نحن نكمل بعضها بعضاً، فكل فرد على ثغر من ثغور الدين،

- الإمام السيوطي في (مُزهر في علوم اللغة) يقول: "ومن بركة العلم وشكره عزوه إلى قائله" انتهى
- قال الحافظ أبو طاهر السلفي: "سمعت أبا الحسن الصيرفي يقول: سمعت أبا عبدالله السوري يقول: قال لي عبدالغني بن سعيد لما وصل كتابي إلى عبدالله الحاكم، أجابني بالشكر عليه، وذكر أنه أملاه على الناس وضمن كتابه إلى الاعتراف بالفائدة، وأنه لا يذكرها إلا عني" انتهى، أي قل له أن الحاجة التي أخذتها منك أسندتها إليه.

- **أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم قال:** "حدثنا العباس ابن محمد الزوري قال سمعت أبا عبيد يقول: من شكر العلم أن تستفيد الشيء فإذا ذكر لك قلت خفي علي كذا وكذا ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا فهذا شكر العلم" انتهى، أي أنا لم أكن على علم بهذه المسألة وفلان هو الذي أفادني
- **الإمام السيوطي -** هذا جانب التنظير - ينقل عن العلماء، تلتزم بالعمل بهذا العلم الذي نقله، قال "ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء مبيناً كتابه الذي ذكر فيه" انتهى
- **المحدث محمد جمال الدين القاسمي في (قواعد التحديث) يقول:** "لا خفاء أن من المدارك المهمة في باب التصنيف عزو الفوائد والمسائل والنكت إلى أربابها تبرء من انتحال ما ليس له، وترفعاً عن أن يكون كلابس ثوب زور، لهذا نرى جميع مسائل هذا الكتاب معزوة إلى أصحابها بحروفها، وهذه قاعدتنا فيما جمعناه ونجمعه" انتهى
- **الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في كتابه (قيمة الزمن عند العلماء) يقول:** "وأني قد ألتزمت في كتبي صغرت أو كبرت عزو كل خبر أو جملة بل كل كلمة إلى قائلها مع تسمية المصدر وتعيين الجزء والصفحة فيه أداءً للأمانة العلمية وتمكيناً للثقة بالمنقول" انتهى

أنت هكذا تجعل للمنقول نسباً عند من تنقل إليه العلم، إذن تكلما على مسألة الأمانة من جانب أهميتها في أقوال العلماء ومن جانب تطبيق العلماء لمسألة الأمانة، لأن طالب العلم سيأتي عليه اليوم ويصنّف، وهناك ما يُسمى تصنيف المذاكرة، فأنت مثلاً لخصت كتاباً فمن الممكن أن يُكتب لهذا الاختصاص الذبوع والشبوع ويُطبع كتاب فتكون بهذا قد أسندت الأقوال إلى قائلها حتى لا تكن كلابس ثوب زور أو متشبع بما لم تُعطى.

اغتنام الأوقات في الدراسة والتَّحصيل

من المسائل المهمة مسألة اغتنام الأوقات ومعرفة قيمة الزمن

مسألة قيمة الزمن وأهميتها في القرآن والسنة

مسألة قيمة الزمن

الزمن هو رأس مال الإنسان الذي يتاجر فيه، مثلما قال شيخ **محمد الغزالي** رحمته الله: "الزمن، الذي هو رأس مالنا هو هبة القدر الأعلى لنا، إنه لا يجامل، إنه إما صديق، وإما عدو، صديق إذا انتفعت به، وعدو إذا أهملته وأضعته" انتهى

ومن الأسئلة التي يسأل عنها الإنسان (لا تزولُ قدما عيدِ يومِ القيامةِ حتى يسألَ عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقهُ، وعن جسمه فيم أبلاه) فيُسأل عن شبابه فيما أفناه (وعن عمره فيما أفناه) فأى سؤال من الأربعة أسئلة التي يُسأل عنها الإنسان نصفها عن الزمن عامة عن العمر فيما أفناه وعن مرحلة الشباب خاصة.

أهمية الزمن في القرآن والسنة

نأتي لبيان أهمية الزمن وقيمته في القرآن والسنة، تنبيه السلف الصالح على اغتنام الزمن ثم التطبيق العملي للعلماء في اغتنام الزمن للتحصيل العلمي

تظهر أهمية الزمن في القرآن والسنة أن الله أقسم بالزمن في سورٍ مختلفة ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]،

أمثلة لحرص العلماء على تسخير حياتهم للعلم

- قال تلميذه القاضي إبراهيم بن الجراح الكوفي: "مرض أبو يوسف فأتيته أعوده فوجدته مغمى عليه، فلما أفاق قال لي: يا إبراهيم ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحالة؟! قال: ولا بأس بذلك، ندرس لعله ينجو به ناج!! ثم قال: يا إبراهيم أيهما أفضل في رمي الجمار: أن يرميها أم ركباً؟ قال إبراهيم الكوفي وما استحي أن يقر أنه أخطأ أمام شيخه، قلت: ركباً. قال: أخطأت. قلت ماشياً. قال أخطأت. قلت: قل فيها يرضى عنك الله. قال: أما ما كان يقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يوقف عنده فالأفضل أن يرميه ركباً. ثم قمت من عنده، فما بلغت باب داره حتى سمعتُ الصراخ عليه، وإذا هو قد مات" انتهى
- الشيخ عبد الفتاح أبو غدة يقول: "هذه طريقة العلماء والمشايخ، فإنهم يقولون: طلب العلم من المهد إلى اللحد" انتهى
- مات ابنُ أبي يوسف (ابنه) فأوكل بتجهيزه ودفنه ليحضر الدرس، وكان شديد الملازمة لأبي حنيفة تسعة عشر سنة، ما فاتته صلاة الغداة معه، ولا فارقه في فطر ولا أضحى إلا من مرض: فقد روى محمد بن قدامة قال: "سمعت شجاع بن مخلد، قال: سمعت أبا يوسف يقول: مات ابن لي، فلم أحضر جهازه ولا دفنه وتركته على جيراني وأقربائي، مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيء لا تذهب حسرته عنى" انتهى

وهذا كان دأب العلماء، وليس أبا يوسف فقط، فكأن العلماء يتأثرون ببعضهم فيكررون هذا الفعل.

● **البيروني المؤرخ الكبير أيضا كان يباحث في مسألة ميراث الجدة وهو على فراش الموت.**

قال العلامة **طاشكبري زاده** في (مفتاح السعادة ومصباح السيادة): "واشترى عمام بن يوسف - البلخي الفقيه الحنفي ومحدث بلخ، المتوفي سنة ٢١٥ رحمه الله - قلمًا بدينار ليكتب ما سمع في الحال. فالعمر قصير، والعلم كثير، فينبغي للطالب أن لا يضيع الأوقات والساعات، ويغتتم الليالي والخلوات، ويغتتم الشيوخ ويستفيد منهم، فليس كل ما فات يدرك!"

ولست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني "انتهى

● **إمام الحرمين يحكي عنه أبو الحسن في (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السبكي، وإمام الحرمين**

هو الإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري الشافعي الفقيه الأصولي المتكلم النظار، وكان يوصف بإمام الأئمة ومُجمَع على إمامته شرقًا وغربًا، يقول -أي أبو الحسن-: "وسمعه - أي إمام الحرمين- في أثناء كلام يقول: 'أنا لا أنام، ولا أكل عادةً، وإنما أنام إذا غلبني النوم ليلاً كان أو نهارًا، وأكل إذا اشتهيت الطعام أي وقت كان!' وكانت لذته ولهوه ونزهته في مذاكرة العلم وطلب الفائدة من أي نوع كان" انتهى

وهو في الخمسين كان يتلمذ عند العالم النحوي، يقول: "ولقد سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن فضال بن علي المجاشعي القيرواني النحوي، القادم علينا سنة تسع وستين وأربع مئة، وقد قبله الإمام فخر الإسلام، وقابله بالإكرام، وأخذ في قراءة النحو عليه والتلمذة له، بعد أن كان إمام الأئمة في وقته - وقد بلغ من العمر خمسين سنة -، وكان يحمله كل يوم إلى داره، ويقرأ عليه كتاب (إكسير الذهب في صناعة الأدب) من تصنيفه. فكان أبو الحسن المجاشعي يحكي ويقول: ما رأيت عاشقًا للعلم مثل هذا الإمام، فإنه يطلب العلم للعلم. وكان كذلك" انتهى، فالعلم وطلب الفائدة من أي نوع كان.

● وهذا **بن عقيل** لم يهدر وقته ومن أقواله: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة" انتهى، فهو يختار الكعك المخلوط بالماء على الخبز لكسب الوقت ويقول: "وأنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي" انتهى، فليس عنده وقت لضياعه في الأكل والطعام والشراب ليوفر وقتًا لمطالعة أو تفصيل فائدة لم يدركها، وإن أجلَّ تحصيل عند العقلاء بإجماع العلماء هو الوقت فهو غنيمة تُننَّهَرُ فيه الفرص فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفة - كما هو معلوم أن الواجبات أكثر من الأوقات -، هذا الإمام - بن عقيل - ولشدة حرصه على الأوقات كان له نتاج متميز فلقد أخرج كتاب الفنون في ثمانمائة مجلد.

قصة طريفة في تقدير العلماء للعلم و الوقت

• **محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري**، المتوفي سنة ٢٢٧، كان في حال الطلب جالساً في مجلس الإملاء، والشيخ يحدث ويملي، فانكسر قلم محمد بن سلام فأمر أن ينادي: قلم بدينار، فتطايرت إليه الأقلام. -حكاه الحافظ العيني في (عمدة القاري)- وما هذا البذل السخي منه، إلا لمعرفة بقيمة ذاك الوقت الغالي، وقيمة ما يملأ به أيضاً.

فهذا عالم بل متعلم ممن عرف قيمة الزمن والوقت، فبذل الذهب والدينار في تحصيل قلم، فالوقت الذي سيمضي في الذهاب وشراء قلم أعلى من الدينار، -والدينار قيمته كبيرة، فأربعة دينار يساوي ٨٥ جرام ذهب، فتأمل حرصه على الوقت، لا يريد أن يضيع لحظة دون أن يكتب فيها العلم.

الزمن في أعين الصالحين: ابن الجوزي مثالا

- **قول الإمام بن الجوزي:** "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث (نية المرء خير من عمله)^{١٦٥} وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات -أي يسارعون إلى الاستفادة منها في الطاعات-، فنقل عن عامر بن عبد قيس: أن رجلاً قال له: كلمني! فقال له: أمسك الشمس -أي ليس لديه وقت ليكلمه -"انتهى

ويقول: "رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيبياً: إن طال الليل، فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر! وإن طال النهار، فبالنوم! وهم في أطراف النهار على دجلة أو في الأسواق! فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة، وهي تجري بهم، وما عندهم خبر! ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد، والتأهب للرحيل، إلا أنهم يتفاوتون، وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته، بما ينفق في بلد الإقامة^١، فالمتيقظون منهم يتطلعون إلى الأخبار بالناقق هناك، فيستكثرون منه، فيزيد ربحهم، والغافلون منهم يحملون ما اتفق، وربما خرجوا لا مع خفير^٢، فكم ممن قد قطعت عليه الطريق فبقي مفلساً! فالله الله في مواسم العمر! والبدار البدار قبل الفوات! واستشهدوا العلم، واستبدلوا الحكمة، ونافسوا الزمان، وناقشوا النفوس، واستظهروا بالزاد، فكان قد حداً الحادي، فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم" انتهى

^{١٦٥} رواه الطبراني "٦/ ٢٢٨" وأبو نعيم في الحلية "٣/ ٢٥٥" والخطيب في تاريخه "٩/ ٢٣٧" عن سهل بن سعد، وابن عبد البر في التمهيد "١٢/ ٢٦٥" عن علي، والقضاعي "١٤٧، ١٤٨" عن أنس والنواس ضعيف

وابن الجوزي يعد نموذجًا يحتذى به في التحسر على أبناء زمانه، وقد كان حريصًا على وقته واستثماره وقد أثمر اغتنامه للوقت أكثر من مائتي مجلد كتبه بيديه ﷺ.

تجنب الصحبة المضیعة للوقت

يقول الإمام ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) في الفصل الذي سماه: أعوذ بالله من صحبة البطالين:

"أعوذ بالله من صحبة البطالين! لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس، وما لا يعني، وما يتخلله غيبة! وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصًا في أيام التهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لنلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لنلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار، ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن ٢ السلاطين، والغلاء والرخص، إلى غير ذلك: فعلمت أن الله لم يطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وألهمه اغتنام ذلك. ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] انتهى

نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر وأن يوفقنا لاغتنامه، والحقيقة هذا نموذج عملي، فأنا أرى أن الإمام ابن الجوزي يعرفنا كيف نحصر على أوقاتنا، فهو كان لديه بعض الناس ليسوا حريصين على أوقاتهم وكانوا يضيعون الوقت، ومنهم من أغناه الله ومع ذلك فهو إنسان فارغ لا عمل له ولا يغتنم وقته، لكن الإمام ابن الجوزي وفقه الله ﷺ إلى أن يفهم شرف الوقت وقيمته، فكان نموذجًا عمليًا في كيفية التخلص من العوائد والمألوف التي كان الناس عليها

هذا أمر، أما الأمر الثاني، فهو كونه كان يستعيز بالله من صحبة البطالين -أي العاطلين- وكان يفر منهم، وقد مر بنا قبل ذلك كلامه عن نفسه، حين قال: "غير أنه عز وجل صانني، وعلمني، وأطلعني من أسرار العلم

معرفة، وإيثار الخلوة به، حتى أنه لو حضر معي معروف وبشر لرأيتهما زحمة" انتهى، وبشر و معروف الكرخي هما صاحبا الإمام ابن الجوزي وهما عابدين، زاهدين، وعالمين، لكنه لم يفرغ حتى لهما.

فلك أن تتخيل طالب العلم يتمسك بإنسان بطل لا هم له ولا همّة، أو يجري على ما يجري عليه الناس من عوائد المجتمعات، فطالب العلم ليس كذلك وإنما طالب العلم ينبغي أن يكون متفرداً له سمة، له ميزة ولا يستوحش من التفرد. ولا من قلة السالكين في هذا الطريق، فهو بنفسه جماعة لأنه أوقفه الله ﷻ على فهم ما لا يفهمه غيره وأوقفه علي آثار من السلف، ونصوص من القرآن والسنة تحفظ عليه هذا، فالشاهد: ينبغي علينا أن نغتتم أوقاتنا ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا لاغتنامها

لو أنّ إنسانا مناضعت منه ساعة يد ذهبية لحزن عليها حزناً شديداً بالرغم من أنه بإمكانه أن يعوضها بأفضل منها: إما أن يكون معه مال أو يعمل ويحصل على المال ويشترى أخرى، بينما لو ضاعت منه ساعة من الزمن فلا يحزن عليها مع أنّ هذه لا يستطيع أن يشتريها بمال الدنيا.

فالساعة التي تمر بك من الزمان إن اغتنتمتها فزت بها، فإن لم تغتتمها ضاعت ولن تعود إلى يوم القيامة.

وهذه بمثابة مفاتيح فقط وليست علماً، فينبغي أن نبدأ وأما فات فلا نبيكي عليه، فكما نقول أنّ الإسلام يجب ما قبله، فكذلك اليقظة تجب ما قبلها من الغفلة، فمن أضاع الوقت فيما لا ينفع أمامه الفرصة والله ﷻ يرزقه البركة ومن صدق الله ﷻ صدقه الله ﷻ.

وهناك كلمة للإمام ابن الجوزي يقول: "التحسر على ما فات هو إضاعة للوقت الحاضر" انتهى، ولقد ذكرها الله ﷻ في كتابه في مجال العقاب للكافرين: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فالتحسر على ما فات سيضيع الحاضر، فليس ذلك هو النموذج العملي، ونحن نريد أن نبدأ و نأخذ خطوات عملية.

الآداب التي تتعلق بمجلس العلم

هناك آداب تتعلق بالمجلس نفسه، وآداب بمنهجية الطلب وطرق التحصيل، وآداب تتعلق بالتعليم والتدريس وبذل العلم.

- الحرص على الحضور والإبكار فيه: الأصل في طالب العلم أن يكون حريصًا على حضور المجلس، فلا يفوته منه شيء، وهذا لا يتأتى إلا بالتبكير بالحضور لمجلس العلم، لا سيما إذا كان المجلس ثابتًا ومعروفًا مواعده، ونحن نعرف أن آداب المجلس عمومًا لها أهمية من حيث عدم التأخر أثناء المجلس وعدم تخطي الرقاب إذا كان مجلسًا بأرض الواقع -أي ليس افتراضيًا كمجلسنا هذا-؛
- حسن الإنصات: كذلك الإصغاء والإنصات أثناء الدرس، فلا يشتغل بما يشوش عليه الفكرة، فقد يفوته شيء مهم أثناء انشغاله عن الدرس؛
- عدم قطع المتحدث على حديثه؛
- عدم التفريق بين جالسين: فآداب المجلس العامة تقال هنا أيضًا؛
- السؤال والإستفسار: كذلك السؤال والاستفسار عما أشكل، بمعنى أنه إن كان أحد الطلاب جالسًا لا يفهم شيئًا وأشكلت عليه مسألة، فينبغي عليه أن يراجع المعلم أو المدرس فيها؛
- تقييد المعلومة وكتابتها حتى يتسنى له أن يراجعها: الإمام الشاطبي يتحدث عن فوائد أخذ العلم مشافهةً من العلماء وحضور مجالسهم، عندما نقول مجلس علم فلا بد أن يكون هناك عالم أو معلم يشتغل بالتدريس، ولا بد أن يكون هنالك طالب يحضر هذا المجلس، وهذه عند العلماء تسمى بالمشافهة، حيث قال الإمام الشاطبي في (كتاب الموافقات): "مجلس العلم والحرص على المشافهة مع العلماء خاصية جعلها الله بين المعلم والمتعلم، يشهدا كل من زاول العلم والعلماء، فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتابٍ ويحفظها ويردها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتةً وحصل له العلم بالحضرة، وهي من فوائد مجالسة العلماء، إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم، ويبقى ذلك النور لهم بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم كلما ازدت حرصاً على المجلس وكلما كنت متأدباً وكلما اقتديت بهذا العلم وبالعالم، فهذا الطريق نافع على كل تقدير". انتهى، بمعنى أنه قد يفتح الله عليك أنت كمتعلم بين يدي العلماء.

وهذا من بركات المجلس، لأنه من الممكن أنه بمجرد أن يقول المعلم شيئاً، تفهمه حتى وإن كنتَ قبل ذلك لا تفهمه، وقد لا يكون هناك توضيح من المعلم، أي يقوم بمجرد قراءة فيتلقي المتعلم المعلومة ويفهمها دون الحاجة إلى سؤال، وهذه من بركات المجلس وقد شهدناها كثيراً وهي من الأمور المجربة.

ويقول بعض العلماء: "القارئ كالحالب والسامع كالشارب" فأيهما أنفع؟ السامع طبعاً: فأنت أثناء الإستماع قد يكون عند العالم قراءة معبرة وهي القراءة المفسرة في ذاتها، فإذا ألقاها إليك المعلم فهمتها بغتةً، فلا تحتاج بعدها إلى صعوبة الإستدراك، وحصل له العلم بالحضرة بمجرد وجوده بالمجلس قال وهي من فوائد مجالسة العلماء إذ يفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم يعني كلما ازددت حرصاً على المجلس، وكلما كنت متأدباً فيه، وكلما اقتديت بهذا العلم والعالم فهذا الطريق نافع على كل تقدير

- قال الإمام الذهبي رحمه الله: "كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل الى بطون الكتب وبقيت مفاتيحه بأيدي الرجال" انتهى، بمعنى: الإنسان لا يستطيع أن يستغني بنفسه وبكتابه عن حضور مجالس العلم سوف نرى هذا أنه من قبيل الإجماع أنه لا بد لك شيخ تأخذ عليه.

لله در القائل:

يظن الغمران الكتب تهدي	أخافهم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها	غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ	ضللت عن الصراط المستقيم

والكلمة المشهورة عندنا: "من كان شيخه كتابه غلب خطؤه صوابه"، وأيضاً: "من يأخذ العلم عن شيخٍ مشافهةً يكن من التصحيف والتحريف في حرم ومن لم يأخذ العلم عن شيخٍ مشافهةً يكن عند أهل العلم كالعدم"

العلماء رصدوا بعض الأشياء ممن تفقه من بطون الكتب، فقد تجده يغير المعاني وقد ينطق خطأً وقد يطبق خطأً.

- ومن أمثلة ذلك من الطرائف: "أن رجلاً قال لامرأته يوم الزفاف أن تلبس شِوَالاً، ولمّا سألتها لم؟ قال لها تزوج الرسول - صلى الله عليه وسلم- عائشة في شِوَال"، والصحيح: في شِوَال (الشهر)، فأوقعه الخطأ في النطق والقراءة في الخطأ في التطبيق .
- مثال آخر: تكلمت مرة مع رجلٍ عن العَجَلَة، وهي كلمة بالعامية المصرية تعني الدراجة التي تُركب، فقال لي: العَجَلَة من الشيطان، قاصداً أنّ عدم الأناة-أي الإستعجال- في أمور الدنيا لا يأتي بالخير، فهناك أناس لا تُميز ولا تُفرق، مثل الذي لم يفرق بين العَجَلَة التي هي من السرعة، والعَجَلَة أي الدراجة التي تُركب.

وأشياء كثيرة من هذا القبيل، مثل الذي منع سقي زرع غيره، ويقول: "نهى النبي ﷺ أن يسقي الرجل زرع غيره"، والمقصود بهذا الحديث: المرأة الحامل، فلا ينبغي أن تتزوج -بغير زوجها إن طُلقت- حتى تضع حملها،

وذلك حتى لا يحدث اختلاط في الأنساب، وهو خلط ذلك بمسألة الزرع والماء! فنجد أن مسألة الأخذ عن الكتاب يغلب فيها الخطأ.

مسألة الكتابة في الدرس

فينبغي أن يكون طالب العلم مستفيدًا في كل وقت؛ حتى يحصل له الفضل والكمال في العلم، وطريق الاستفادة: أن يكون معه في كل وقت مَحَبَرَةٌ؛ حتى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية، وقيل في ذلك: "من حفظ قرًا ومن كتب قرًا انتهى، والمقصود أنه يمكن أن تحفظ المعلومات من كثرة تداخلها، ولكن هذا الحفظ الذي لم يتعني به المرء ولم يبذل فيه جهدًا سيذهب سريعًا، والحفظ في الأصل محمودٌ ومطلوب لأخذ العلم.

فقضية الكتابة غاية في الأهمية، فلا أتخيل أن يحضر طالب علم درسًا وليس معه ورقة وقلم، فهو يحتاجهما لكتابة مقولةٍ أو فكرةٍ طرأت عليه أو غيره.

وقيل: "العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال؛ لأنهم يحفظون أحسن ما يسمعون، ويقولون أحسن ما يحفظون"

وكان أحد أساتذتنا يقول لنا: "اكتب أحسن ما قرأت، واحفظ أحسن ما كتبت" فنتتقي ما تحفظه من المقولات.

السؤال

الإمام بن عبد البر رحمته الله يقول: "باب حمد السؤال والإلحاح في طلب العلم وذم ما مُنِع منه" ^{١٦٦}، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (شفاء العيِّ السؤال) ^{١٦٧} والسيدة عائشة رضي الله عنها أثنت على نساء الأنصار: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" ^{١٦٨}

الحرص على الاستزادة من طلب العلم

ألا تكتفي بما عندك من العلم، فإذا دخلت مجلسًا فيه حديث مكرر بالنسبة لك، فلا تُقل من أهمية المجلس؛ وإذا فعلت فإنك لن تستفيد لأنك لم تكن حريصًا على الاستفادة، فأنت قادمٌ للمجلس وأنت مكتفٍ بما عندك؛ فما الفائدة من جلوسك؟!!

^{١٦٦} (جامع بيان العلم وفضله، ١ / ٤٠١ وما بعدها)

^{١٦٧} (صحيح أبي داود)

^{١٦٨} (رواه مسلم)

التفريق بين سؤال المتعلم وسؤال المتعنت

فابن حزم رحمته الله أشار لذلك بكلام نفيس بديع، قال: "إذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علمًا وأجرًا، لا حضور مستغن بما عندك، طالبًا عثرة تشيعها أو غريبة تشنعها، فهذه أفعال الأرزال الذين لا يفلحون في العلم أبدًا، فإذا حضرتها على هذه النية -أي نية الإستفادة من العلم وطلب الأجر- فقد حصلت خيرًا على كل حال، وإن لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك، فإذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع له؛ إما أن تسكت سكوت الجهال فتحصل على أجر النية في المشاهدة ويثنى عليك بقلة الفضول، وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس، فإن لم تفعل ذلك فاسأل سؤال المتعلم فتحصل على هذه الأربع محاسن وعلى خامسة وهي استزادة العلم... وصفة سؤال المتعلم: أن تسأل عما لا تدري لا عما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخر وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك؛ وربما أدى إلى اكتساب العداوات، وهو بعد عين الفضول، فيجب عليك ألا تكون فضوليًا فإنها صفة سوء، فإن أجابك الذي سألت بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام، وإن لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم؛ فقل له لم أفهم واستزده...^{١٦٩} انتهى

فإن كنت تسأل عن شيء لديك إجابته فلم تُضيع وقت المعلم؟ فيكون في هذا سوء نية، فأحيانًا يكون السؤال عما تدري من قبيل التصنيف (أي تصنيف الشيخ)، فإنك إذا صنفت الشيخ بأنه على خلاف مذهبك فماذا استفدت؟ إنما حرمت نفسك من العلم الذي عنده.

وهذا حال بعض الأفراد، يذهبون لمجالس العلم ليصنفوا الشيوخ عن طريق أسئلة معينة، وقد فطن إلى ذلك أحد الأساتذة، ولاحظ أن هناك بعض الأسئلة أينما ذهب وجدها موجودة فصار لا يجيب عنها، وقال إنه كانت هناك حركة صهيونية داعمة لهذا؛ لأن هذه المسائل يترتب عليها فرقة في الأمة، مثل مسائل النقاب والإسبال واللحية، وهي مسائل لا تُقلل منها إطلاقًا، فالمسألة ما دام فيها خلافت معتبر (فكلُّ يقول بقول له فيه حجة)، فحتى إن كان على غير مذهبك فلا يجب أن تكون المسائل سببًا لافتراق الأمة من أجلها.

فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم فقل له لم أفهم واستزده فإن لم يزدك بيانًا وسكت أو أعاد عليك الكلام الأول ولا مزيد فأمسك عنه، انتهى فهو لا يوجد لديه زيادة وإلا حصلت على الشر والعداوة ولم تحصل على ما تريد من الزيادة

^{١٦٩} (الأخلاق والسير في مداواة النفوس: ٩٢)

تراجع مراجعة العالم: وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضاً بيناً، فإن كان عندك رد أقوى منه ودليل أقوى تقول له: ولكن أنا ورد إليّ هذا وما رأيك في هذا، وإن لم يكن ذلك لديك إلا تكرر قول أنت لا تدري دليله أصلاً أو معارضه بما لا يراه خصمك معارضة أصلاً فهو يرى أن الدليل الذي أتيت به مرجوح فأمسك فإنك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر ولا على تعليم ولا تعلم بل الغيظ لك ولخصمك والعداوة التي ربما أدت إلى المضرات وإيالك وسؤال المتعنت ومراجعة المكابر الذي يطلب الغلبة بغير علم هناك ناس هكذا هواه غلبه وهو يعلم يقيناً من نفسه أنه ليس على حق ولكنه يطلب المكابرة أو يطلب الغلبة بغير علم فهما (سؤال المتعنت ومراجعة المكابر) خلقا سوء ودليلان على قلة الدين وكثرة الفضول وضعف العقل وقوة السخف وحسبنا الله ونعم الوكيل

هذا كلام الإمام ابن حزم رحمة الله عليه وهو كلام نفيس ينبغي أن تتأمله كثيراً وأن تستحضروا هذه المعاني في كل مجالس العلم

و صاحب نظم حادية أولى الفهم يقول:

ولتبرع شيخك بالتقدير واستمعن	إليه ولتجمع التحصيل والأدبا
لا، لا تقاطعه في درس فتقطعه	عن المراد وكن للغو مجتنباً
لا، لا تقل يا فلاناً فهمي منقصة	بل قل أيا شيخنا إن كنت منتدباً
وإن بدالك شيء فانصحن له	لا تظهر الحق عند النصيح والغضبا
وإن اردت انتقالاً عن مجالسه	فكن [هديت] لإذن الشيخ مصطحباً
فإنه ناصح يعطيك خبرته	من نصحه تقطف الرمان والعنبا
ولتستزد منه ولتطلب فوائده	فالشيخ يخرج در العلم إن طلبا
ولتكتب الدرس وتعلمه في أدب	فربما احتجت يوماً للذي كتباً
واحذر مجالسة الشخص الذي انحرفت	به الطرائق عن درب الهدى نكباً
لا يؤخذ العلم عن أهل الهوى فإذا	جانبتهم كنت من أهل الهدى الغرباً

هذه يعتبر أبرز ما ينبغي أن تحرص عليه في مسألة حضور مجلس العلم:

- الكتابة؛
- السؤال؛
- حسن الإصغاء؛
- عدم الجدال والمرء في الدرس؛
- عدم طلب العثرة؛

- عدم محاولة المغالبة؛

- عدم محاولة التخطئة.

الآداب المتعلقة بمنهجية الطلب والمعينة على تحصيل العلم

هناك من يقول "أنا لا أقدر على الحفظ لا أقدر على الفهم" أخي السائل هل تذاكر؟ هل كررت ما أخذت؟ هل درست زملائك؟ هل يوجد لديك آلات التحصيل من الكتب أصلاً؟ هل الكتب التي اشتريتها تطالعها؟

كلما هبت لديك الحماسة للطلب سرعان ما تبطئ! هل أنت متدرج في مسألة الطلب؟ هل سألت الخبراء بالمناهج العلمية كل في تخصصه بأي شيء تبدأ؟

مثال: لو أراد شخص أن يتعلم اللغة العربية فالعلماء قسموا الكتب إلى مبتدأ ومتوسط ومنتبه: فيشير إليك العالم أن تبدأ بمتن خفيف ككتاب (الأجرومية) تستطيع أن تنتهي منه في أسبوعين، ثم إنتقل لكتاب (قطر الندى وبل الصدى لابن هشام) أو (شذور الذهب) وتبدأ (شرح بن عقيل) ثم (حاشية الأشموني)

مثلاً كتاب (حاشية الأشموني) حوالي أربع مجلدات ومن أوسع الشروح في (ألفية بن مالك) لو جاء شخص ومسك (حاشية الأشموني) مباشرة فسيجد أنه لا انتهى من شيء والإمام يذكر كثير من الإختلافات بين الكوفيين والبصريين وغيره فيتشتت فيفطر عزمه لأنه أصلاً لم يراعي قضية التدرج في الطلب ولم يسأل الخبير بها

كذلك مسألة أصول الفقه ومسألة المصطلح ومسألة التفسير: كل علم من هذه العلوم يحتاج إلى التدرج في هذه المسألة، أنت حصلت ما عندك ! هل أنت مستمر على الطريق ومواظب على الطلب أم أكتفيت؟ الإكتفاء هذا يذهب ما أخذت، فمسألة الإكتفاء بما عندك تذهب ما عندك فالعلم يزكو بالإنفاق والمدارسة والمواظبة وما إلى ذلك

مسألة الحفظ

يقول الدكتور عامر بهجت عن أهمية الحفظ: "غير خافٍ على طلبة العلم الشريف ما لحفظ المتون العلمية من أهمية بالغة في ترسيخ العلوم في الفؤاد وتثبيتها في النفس" انتهى، فهناك حكمة للعلماء (من حفظ المتون نال الفنون ومن أهتم بالحواشي ما حوى شيء)، لأنّ المتون بمثابة القواعد فيسهل عليك استحضار الشاهد دائماً من أي متن من المتون .

فأنا مرة سألني الأستاذ وأنا أسمع عليه: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٤]، فقال لي أين الخبر؟ فتوقفت كثيراً، فقال لي: "الشاهد من الألفية: (وبعد لولا دائماً حذف الخبر)" انتهى

القصة بعد لولا، لا يوجد خبر، يكون محذوفاً، تقديره فلولا فضل الله، فمثل هذه المتون دائماً تستطيع أن تحوى بها قواعد العلم، واستدرك الدكتور عامر بهجت قوله: "ولله در الشيخ الحكمي حين قال بعد حديث عن سبل التحصيل:

والحفظ أولاها بالإهتمام	وهو طريق السلف الأعلام
لا تصغي يا أخيه للإرجاف	ولتتبع مناهج الأسلاف
واسمع لما أسنده الخطيب	في جامعه عن الإمام الصيرفي
ليس بعلم ما حوى القمطر	ما العلم إلا ما حواه الصدر
وقال عنه بن أبي الحديد	في أول نظمه الفصيح فأعرف
وبعد فالعلم إذا لم ينضب	بالحفظ لم ينفع ومن مار غلط
وكلنا يحفظ قول الرحبي	في نظمه المحرر المستعذب

ويونس النحوي أنشد لبعضهم:

وكلنا يحفظ قول الرحبي	في نظمه المحرر المستعذب
استودع العلم قرطاساً فضيعه	فبئس مستودع العلم القرطيس

القرطاس: يعني الكتاب، ومعناه أنك إذا استودعت كُتُباً دون أن تُراجع أو دون أن تحفظ منها شيء فإنه من الممكن لهذه الكتب أن تُسرق مثل ما حدث مع الإمام أبي حامد الغزالي عندما خرج عليه اللصوص وأخذوا الكتب التي معه فلما عاد أصبح يحفظ كل ما يكتب وكل ما يقرأ، يصير العلم في رأسك لا في كُرَّاسك.

فقال: "قاتله الله ما أحسن صيانتته للعلم وأشد صبايته به" انتهى

ولأبي بكر الخوارزمي رسالة في آفات الكتب جمع نُكِّنْهَا بعض تلامذته في قوله:

استودع العلم قرطاساً فضيعه	فبئس مستودع العلم القرطيس
عليك بالحفظ دون الجمع في كُتُب	فإن للكُتُب آفات تفرقها
الماء يُغرقها والنار تُحرقها	والفأر يُخرقها واللص يسرقها

فمسألة أنك تهتم بالحفظ مهمة لأن الكتاب يأتي عليك زمان وهو ليس معك حينها ستستحضر من الذاكرة.

التأمل والفهم والتكرار والمذاكرة

يقول الإمام الزرنوجي: "وينبغي أن يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمل وبالتفكير وكثرة التكرار، فإنه إذا قلَّ السبق وكثرة التكرار والتأمل يُدرك ويُفهم" انتهى، فهل مثلاً تُريد أن يُلقى إليك العلم فجأة؟ بل بكثرة التكرار، ما تكرر تقرر.

قيل: "حفظ حرفين، خير من سماع وقرين، وفهم حرفين خير من حفظ سطرين" انتهى، لأنه قد يكون الإنسان يحفظ ولا يفهم ما يحفظه فبتالي لا يستطيع أن يستحضره في موطنه.

"وإذا تهاون في الفهم ولم يجتهد مرة أو مرتين يعتاد ذلك فلا يفهم الكلام اليسير" انتهى، لو أنت لا تُعمل عقلك أصلاً، فبالتالي بعد فترة عقلك لا يفهم حتى الكلام اليسير الذي لا يحتاج إلى فهم، لذلك أنت من الممكن أن تسأل سؤالاً هو من الواضحات يعني لا يستطيع العالم أن يوضحه أكثر من هذا، كما يُقال: "توضيح الواضحات من الفاضحات، وتعريف المُعرّف يزيد تعقيداً" انتهى، فهذا لأنه لا يجتهد أن يفهم حتى الكلام اليسير.

"فينبغي أن لا يتهاون في الفهم بل يجتهد ويدعوا الله ويتضرع إليه فإنه يجيب من دعاه، ولا يخيب من رجاه" انتهى، تبدأ تقرأ مرة واثنان وثلاثة وتسأل وتدعوا الله وتتضرع إليه فإنه يُجيب من دعاه ولا يُخيب من رجاه.

"وينبغي أن يتذاكر مواظبوا مجلس الشيخ ما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، وأن يعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً، وينبغي المذاكرة في ذلك عند القيام من مجلسه قبل تفرق أذهانهم وتشتت خواطرهم وشدوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم ثم يتذكرونه في بعض الأوقات" انتهى، مجرد ما ينتهي الشيخ وفي مجموعة نبدأ نتناقش في كلام الشيخ في المجلس وأبرز العناصر والذهن مازال حاضراً قبل أن يعزبَ عنك شيء مما قاله الشيخ.

كذلك الإمام الزهري رحمته الله يقول: "إنما يُذهب العلم النسيان وترك المذاكرة" انتهى، أنت تركت المذاكرة فبالتالي العلم سيذهب.

الاعتناء بالكتاب

وهو وسيلة من وسائل التَّحصيل، لذا ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراءً وإلا فإجارةً أو عاريةً لأنها آلة التَّحصيل ولا يجعل تحصيلها وكثرتها حظه من العلم وجمعها نصيبه من الفهم كما يفعله كثير من المنتحلين للفقه والحديث وقد أحسن القائل:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

هناك أناس كثيرون يذهبون ويشترون كتباً كثيرةً، هذا حظه من العلم أن يشتري كتب فقط ويستكثر بها، لكن هل قرأها؟ هل حفظ ما فيها؟ هل يعلم مواطن الاستدلال منها حتى؟

"وإذا أمكن تحصيلها شراء لم يشتغل بنسخها، ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ إلا فيما يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه" انتهى

لأنه طبعاً استنساخ الكتب مرة أخرى يشغلك عن حفظ ما في هذه الكتب، لذا إذا كنت تستطيع الشراء اشتري، بعض الكتب تكون متوفرة PDF، أكتب ما تحتاجه منها، يعني إذا كان الكتاب ثمنه غالي لا تستطيع تحصيله إذاً استغل كتب الـ PDF بأن تأخذ ما تحتاجه منها.

الاستمرار والمواظبة

قيل لابن المُبارك إلى متى تطلب العلم؟ قال: "حتى الممات إن شاء الله"، وقيل له مرة أخرى مثل ذلك فقال: "العلم الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد".

وسئل سُفيان بن عُيينة: "من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم، إنَّ الخطأ منه أقبح" انتهى، يعني بالعكس، كلما اشتد علمك كلما احتجت للمذاكرة وللمطالعة ولشراء الكتب لأن الخطأ منك أقبح.

وقال منصور بن المهدي للمأمون: أبحسُن بالشيخ أن يتعلم؟ فقال: "إن كان الجهل يَعِيْبُهُ فالتعلم يَحْسُنُ بِهِ" انتهى

التدرج في الطلب ومراعاة المنهجية

- إتقان الأصول من كل علم، والبدأ بالمختصرات متدرجاً قبل المطولات، وتقييد الفوائد، والانتباه لضوابط العلم وقواعده واصطلاحات العلماء، فهي توفر الجهد والوقت.

وعن **يونس بن يزيد** قال: "قال لي ابن شهاب: يا يونس لا تُكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام" انتهى

قال **ابن خلدون**: "اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيداً إذا كان على التدرّج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا يُلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويُقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويُراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يردُّ عليه حتى ينتهي إلى آخر الفنّ" انتهى

- كثرة الكلام يجعل بعضه يأتي على بعض ويُنسى بعضه بعضاً، ولذلك كلام النبي ﷺ كان يُعدُّ عدداً ولذلك أحد العلماء يُعلّق على حديث النبي ﷺ **لعبدالله بن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات،...)**، قال: "كلمات تثبت في الأذهان وتعيها الأذان ولا تملأ النفوس" انتهى، لذلك أنا أقول من باب الحماسة أننا نجلس ساعتان وثلاث ولكن ماذا بعد كل ذلك؟ كان لا شيئاً لأننا أخذنا كم كبير ولم نستطع مراجعة هذا الكم، لذا فالمسألة ليست هكذا.

قال ﷺ: ﴿وَلَكِنَّ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال **البخاري**: "وقال ابن عباس: كونوا ربانيين: حلماء فقهاء، ويُقال: الرباني الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره" انتهى

- التدرج في الطلب شيء ومراعاة المنهجية شيء آخر، علماء السلف كانوا يبنهون طالب العلم الشرعي أن يبدأ أولاً بكتاب الله عز وجل يتقنه حفظاً، ويجتهد في إتقانه تفسيراً فإنه أصل العلوم وأهمها ثم بعد ذلك يأخذ من كل فن مختصر (الحديث وعلومه، الأصول، النحو، الصرف، البلاغة) ومع هذا لا ينشغل عن دراسته للقران وتعهده وملازمة ورده منه في كل يوم أو كل جمعة -كما تقدم- ولا ينسأه وليشتغل بشرح تلك المحفوظات علي المشايخ وليحذر من الإعتماد في ذلك علي الكتب ابداء بل يعتمد في كل فن على من هو أحسن تعليماً له وأكثر تحقيفاً فيه وتحصيلاً منه ولا مانع ان يكون بين الأقران وإن كانوا أصغر سناً.

الإمام **السيوطي** رحمه الله قال: "وقد روي الكبار عن صغار في السن والعلم والمقدار" انتهى، فقد يكون أحد أقرانك أصغر منك علماً وسناً ولكنه أبرز منك في أي فن من الفنون فلا مانع أن ترجع إليه، وتستشيره، وأن تذاكره فهو يختصر عليك كثيراً.

أنا لا اتخيل أبداً أنّ أحداً يستدل بآية من القرآن فيخطئ فيها أو لا يستحضرها وخاصة إذا كان في مناظرة أو لا يقرأها قراءة متقنة -لم يأخذ القرآن على يد شيخ -لأن الأصل في القرآن أن يتلقاه على شيخ فهذا الأمر لا يليق بك حتى إن لم يتوفر لك حفظ القرآن أو الكم الكبير منه فعلى الأقل الشواهد يجب أن تستحضرها وتراجعها على شيخ

- أيضاً في بداية أمره يجب أن يحذر من الإشتغال بالإختلاف بين العلماء أو بين الناس مطلقاً -في العقليات والسمعيات - فإنه يحير الذهن ويشتت العقل بل يتقن أولاً كتاباً واحداً في فن واحد أو عدة كتب ويبدأ يتدرج في مسألة الطلب بطريقة يرتضيها له شيخه لأن الشيخ يوفر عليك كثيراً ويرشدك لأفضل كتاب يمكن ان تنتفع به ويكون علي علم بأخر الإصدارات التي صدرت وأقربها الي لغة العصر وهكذا.

- ويحذر في بداية طلبه من المطالعات في فريق المصنفات لأن هذا يضيع الزمان ويفرق الذهن وفي النهاية ستجد أنه لا حصيلة له بل يأخذ الكتاب الذي يدرسه كلية حتي يتقنه والكلمة المشهورة تقول : "من تفرغ لشيء أتقنه"، ويحذر من التنقل من كتاب الي كتاب بغير موجب فهذا علامة الضجر أما إذا تحققت أهليته وبدا له معرفة بهذا الفن فلا يترك فن من الفنون الشرعية إلا ونظر فيه فهو أصبح عنده الاصول في كل فن من الفنون أو علي دراية بشيء من التدرج وصل الي مرحلة التوسط في هذا الفن فلا مانع بعد ذلك من أن يكون على شيء من الدراية والمطالعة المتسعة فإن ساعده القدر وطول العمر علي التبحر فذاك وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك، بمعنى لو أصبح متبحراً - فيها ونعمة- والا فلم يكن عنده جهل بمفردات هذا العلم ومسائله.

الإمام النووي رحمه الله يقول: "وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصراً ويبدأ بالأهم ومن أهمها الفقه، النحو، الحديث، الاصول، ثم الباقي على ما تيسر، ثم يشتغل بإستشراح محفوظاته" انتهى، ولذلك يا أحبّاب من الخطأ الكثير جداً أنه لا يفهم الدلالة اللغوية للحديث، والإنسان بمجرد أن يفهم دلالة الآية تزول عنه الشبهة لأنه عنده دراية باللغة وكذلك الدراية بالبلاغة تزيل عنه شبه وكذلك الدراية بالدلالة (شرعية، لغوية، عرفية...) ويستطيع التفريق بينهم، كذلك عنده قواعد العلم مثل نظرية السياق فيأتي إليه أحد بإستشكال مثل قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فنقول له: إنّ هناك ما يسمى بالسياق الداخلي وهو أن نجمع كل الآيات المتعلقة بالقتال وكذلك أسباب نزولها وتطبيقاتها وممارساتها من فعل النبي ﷺ ومن خلال هذا السياق نبدأ بتفسير الآية: فإستحضار تلك الأصول والضوابط يبسر كثير جداً من الإستشكلات علي طالب العلم

- كذلك من المنهجية أن يصحح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحاً متقناً إما علي شيخ أو غيره مما يعينه ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً ثم يكرر عليه بعد حفظه تكراراً جيداً ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه فإنه يقع

في التحريف والتصحيح والعلم لا يؤخذ من الكتب فانه من اضر المفاصد وينبغي أن يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح ولضبط ما يصححه لغة واعراباً فإن لم يجد الطالب من يذكره ذاكر نفسه بنفسه وكرر معنى ماسمعه ولفظه علي قلبه ليعلق ذلك علي خاطره فإن تكرر المعني علي القلب كتكرار اللفظ علي اللسان سواء بسواء وقل أن يفلح من يختصر علي الفكر والتعقل بحضرة شيخه

فسبحان الله تجد طالب العلم لا يبذل شيئاً من هذا ويقول لك العلم صعب. بل أنت لم تكرر ولم تحفظ، ولم تلازم شيخ، ولم تجاري الأقران في المذاكرة، ولم تتعاهد ما حفظت فماذا تريد من التحصيل وأنت لم تبذل عشر معشار ما طلب منك . أيضاً صاحب حادية أولي الفهم يقول:

يا من سلكت طريق العلم مجتهدا	فلتستمع إن أردت البحث والطلب
خذ بالأصول وأتقنها فإن ثبتت	فقد ضربت بأطراف العلاطنيا
وابدأ بمختصر وأحفظه معنيا	بضبطه عند شيخ في العلا رغبيا
لا تشغل بتفاريق مطولة	وأنت لم تتقن الفن الذي وجبا
لا تنتقل دون ما يدعو لمختصر	من بعد آخر لن تكسب سوى نصبا
قيد فوائد أهل العلم مقتنصا	وبالضوابط فاجمع كل ما صعبا
على طريقة أهل العلم فاعن بها	فهي الصراط لباعي العلم قد ضربيا
فقد تدرج أهل العلم في كتب	فخذ بما درسوا أنعم بها كتبيا

فالذي علم أداء المجلس واستطاع أن يحصل شئ من العلم لابد أن يعلم غيره وأن يدرس لغيره فتلك زكاة العلم – الإنفاق منه – فالعلم يزكو بالإنفاق

آداب متعلقة بالتعليم والتدريس

الحرص على بذل العلم وتعليمه

- التأهل قبل التصدر؛
- عدم الانشغال بالطعن في الآخرين؛
- الإنصاف مع المخالف وعرض أقواله بأمانة

الحرص على بذل العلم وتعليمه

روي أن سفيان الثوري رضي الله عنه قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال: "اكرؤا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم" انتهى، أي أنك إذا وهبت العلم فلا بد أن تبحث عن تبذل له هذا العلم وإنما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم.

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) فليست الفضيلة قاصرة على المتعلم فقط وإنما هي أيضا للمعلم وبقاء العلم عند المعلم بتعليم غيره كالزوجة والأولاد

قال عطاء رضي الله عنه: "دخلت على سعيد بن المثيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء" انتهى

- قال بعض العلماء: "العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره" انتهى
- قال الحسن رضي الله عنه: "لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم" انتهى، أي أنهم بالتعليم يخرجونهم من حد البهيمة إلى حد الإنسانية: فهذه مكانة طالب العلم والتي تحتاجها الأمة.
- قال عكرمة رضي الله عنه: "إن لهذا العلم ثمناً، قيل: وما هو؟ قال: أن تَضَعَهُ فِيمَنْ يُحْسِنُ حَمْلَهُ وَلَا يُضَيِّعَهُ" انتهى، أي إذا رأيت أحداً حريصاً على طلب العلم فابذله له

عدم ترك قول لا أدري

تلك مقولة من أساسيات من يعلم الناس جاء في الآداب الشرعية والمنح المرعية قال ابن عباس رضي الله عنه: "إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله" وكذا قال علي بن حسين

قال مالك: "كان يقال إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله" وقال أيضاً: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء" وقال الشعبي: "لا أدري نصف العلم" وقال أحمد في رواية المرودي: "كان مالك يسأل عن الشيء فيقدم ويؤخر يثبته" وهؤلاء يقيسون على قوله ويقولون قال مالك

وبإسناد حسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم 'الله أعلم' " لأن الله صلى الله عليه وسلم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]

وصح عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري"

لطيفة علمية: سؤل شيخ الأزهر الأسبق الشيخ طنطاوي رحمة الله عليه فقال لهم قبل السؤال الذي أعلمه سأجيبه وما لا أعلمه لن أجيب فيه واستدل بقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿طه: ٥١-٥٢﴾، فموسى أنكروا علم القرون الأولى لنفسه وأثبت علمها لله

وهذا الإمام مالك سُئِلَ في أربعين مسألة لا يجيب إلا على أربعة فقط ويترك ستة وثلاثين فسأله ماذا نقول؟ فقال لهم: "قولوا قال مالك: لا أدري"

وهذا الإمام الشعبي سُئِلَ عن مسألة قال: "هي غباء هلباء لا أحسنها ولو ألقيت على بعض أصحاب رسول الله ﷺ لأعضلت بهم وإنما نحن في الغرق ولسنا في النور" فقال له أصحابه: استحيينا لك أو منك مما رأينا، قال: "لكن الملائكة لم تستح عندما قالت: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]"

قال مجاهد "سُئِلَ بن عمر عن فريضة من الصلْب فقال: -وهي مسألة في الميراث- لا أدري" فقيل: فما منعك أن تجيب؟ قال: "سُئِلَ ابن عمر عمًا لا يدري فقال لا أدري" - فلا ضير من عدم الإجابة - ثم قال "ويل لمن لا يعلم أن يقول أعلم" انتهى وفي هذا أقوال كثيرة عن السلف ومن صار على دربه من العلماء

وهذا الإمام مالك سُئِلَ عن مسألة فقال لا أدري فقيل له إنها مسألة خفيفة فغضب الإمام وقال ليس في العلم خفيف ألم تسمع قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْنَا قَوْلًا نَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥] ولقد تورع العلماء عن ذلك وكانوا يقولون لو أجبنا الناس في كل ما تعلم سألوك حتى تقول لا أعلم وهذا دأبهم الملاحقة بالسؤال والافتراضات حتى تجيب بلا أعلم وهذه خصية من أدب السلف الصالح وهي أنه إن سُئِلَ عن مسألة لا يترتب عليها علم لا يجيب ويقول أي مسألة لا يترتب عليها العلم أو العمل فالخوض فيها تكلف ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وها نحن نرى كثير من الناس ينشغلوا بمسائل لا يبني عليها علم نافع أو عمل صالح والجهالة به لا تضر فمثل ذلك لا ينبغي أن تضيع وقتك عنده.

الصبر على المتعلمين

كان الربيع بن سليمان -العالم الحجة- صاحب الإمام الشافعي وتلميذه وأحد سلسلة رواية الإمام الشافعي، كان بطئ الفهم ولو كرر الإمام الشافعي عليه المسألة أربعين مرة قام من المجلس حياءً وهذا إن دلّ يدل على صبر الإمام الشافعي على الربيع فدعاه الإمام بعيدا عن المجلس وكرر عليه حتى فهم ثم قال: "يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك" انتهى وهذا يدل على حرص الإمام الشافعي على أن ينفع طلبة العلم.

أيضا مما ينبغي أن يراعيه العالم أو من يبذل العلم أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، **ابن الجوزي** يقول: "ولا ينبغي أن يملأ ما لا يحتمله عقول العوام" انتهى. **والإمام أبو حامد الغزالي** يقول "كل لكل عقل بمعيار عقله وميزان فهمه وإلا لختلف المعيار لإختلاف المكيال" انتهى

محادثة الناس على قدر عقولهم

وفي **(صحيح الإمام البخاري)** أن **علياً** قال " حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أُتْحِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ" انتهى **وابن مسعود** يقول "ما أنت بمحدث قوم حديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعض" انتهى.

ولذلك يقول العلماء: "ليس كل ما يعرف يقال". هناك مسائل لا تقال إلا في مجالس العلم، الذي يتتبع شذوذات العلماء من الأقوال، هذه مجالس العلم، لا ينبغي أن تشهر على أذان العامة حتى لا يستنكروها.

الشيء الذي نفتقده

الإنصاف مع المخالف.

ابن عبد البر يقول: **فصل في الإنصاف في العلم**: قال **أبو عمر**: "من بركة العلم وأدابه الإنصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم" انتهى

عن **محمد بن كعب القرظي** قال: "سأل رجل **علي** عن مسألة فقال فيها فقال الرجل ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، سيدنا **علي** قال أصبت وأخطت (انا) (وفوق كل ذي علم عليم)".

حتى وإن خالفك وكان أعلم منك بهذه المسألة ينبغي أن تعترف بأعلميته. إذا كان عنده شيء من الحق اعترف الحق وتترك ما عنده من الباطل.

ابن تيمية له كلمة رائعة جدا استنكر بها على بعض المنتسبين للسنة. أن يفروا من التصديق أو أن يوافقوا قول الفلاسفة أو المتكلمين بسبب النفرة والوحشة أو إعراضهم عن بعض فضائل آل البيت. مثال أقول ان الشيعة يبتمسكوا بمسألة بآل البيت فأنا أنكر فضل آل البيت. هل هذا هو الموقف. من المفترض أنني كأهل سنة على الحقيقة أكون أكثر الناس حرصاً على إبراز هذه الحقيقة، ولا أدع لهؤلاء المنتسبين في محبة آل البيت أن يختصوا بهذا الشيء. فقال رحمه الله "لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلاً عن الرفضة قولاً فيه حقا أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل، مع بيان ما فيه من الحق"

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]،
شَنَاٰن بمعنى بغض.

إبن تيمية ﷺ يقول: "وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو مأمور به فإذا كان البغض الذي أمر الله به،
قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف بمن يبغض مسلماً بتأويل وشبهة أو بهوى النفس، فهو أحق أن لا يظلم
بل يعدل عليه أو معه" انتهى

الإمام الذهبي في ترجمة **محمد بن نصر المروزي** يقول "أن كل ما أخطأ إمام بهذة في آحاد المسائل، خطأ مغفور
له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا إبن نصري ولا إبن مندا ولا من هم أكبر منهما، لأن كل عالم له خطأ
والله هاد الخلق إلي الحق. هو أرحم الراحمين فنعوذ بالله من الهوى والفضاظة.

عدم الطعن في الآخرين

ايضاً لا ينبغي أن يكون كل علمك وتعليمك للناس أن نطعن في الآخرين. عن أبي سنان زيد بن سنان الأسدي قال
" إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقية في الناس متى يفلح، فيكون شغلك الشاغل أن
تتعرض للآخرين أو متى يأتي لك طالبة العلم فتضيع أوقاتهم أن تسرد مسالب الآخرين وتطعن فيهم. ما الذي
عاد عليه في آخرته، ما الذي تعلموه وما الذي سيعملون به مما أفدثهم فيه من موطن الدرس.

ثمرة المادة

هذه هي جملة الوصايا العامة التي تمثل ثمرة المادة العلمية "آداب طلب العلم"، من المهم الحرص عليها:

- معرفة الغاية التي تطلبون والثبات عليها؛
- الإبتعاد عن المزلق والمعوقات؛
- العناية بوسائل التحصيل وأدواته؛
- الحذر من الإلتفات والإفتتان بالدنيا؛
- الإبتعاد عن الراحة والدعة.

معرفة الغاية والثبات عليها

كثيرا ما يتردد: 'أنا يعتريني فتور'، فلماذا هذا الفتور؟

قد يقال: 'الهمة غير موجودة، أو النفس توقفت عما تطلب'، وأنا أزعم أو أدعي كذلك أن الخطأ في كثير من الأحيان، قد يكون من الفتور: فالفتور طبيعة للنفس، لكن، لو أن الإنسان عرف الغاية التي يطلبها لن يفتر عما يطلب.

الإشكال هو: أن الإنسان مثلاً مُخلطٌ في نيته (مثلاً: كنت أزعم عندما أدخل باب العلم أنني في خلال سنة أو سنتين أكون متصدراً، أو يكون عندي كمية كبيرة من العلم، أو أستطيع أن أكتب للناس كتابات، أو يُشار إليّ بالبنان، فأجد نفسي ما زلت صغيراً في ميدان العلم) عندها لابد أنني سأفتر.

ولكن عندما أطلب العلم لأجل العلم لكي أحسن عبادتي وعلاقتي بالله ﷻ، وأرفع الجهل عن نفسي وأدعوا أسرتي وأربي أولادي، وأنفع مجتمعي، حينها ماذا يضيرك أن تصل أو لا تصل، ما دمت على الطريق، لا يهملك الوصول ولا يهملك مثل هذه الأمور، وسأضرب مثالين على ذلك:

١. سيدنا عكرمة ؓ لما قرأ قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء]:

١٠٠] يقول: "ظللت أربعة عشر سنة أبحث عن هذا الذي ذكرته الآية"، أربعة عشر سنة يبحث عن هذه الآية في من نزلت

٢. سيدنا بن المديني ؓ شيخ البخاري ؓ يقول: "ظللت أربعين سنة حتى استبان لي علة الحديث" انتهى

فإذا أراد أن يعرف من البداية كل خبايا العلم وظروفه ولم يُتَّح له ذلك، فإن النفس تقتدر، ونحن قلنا أن الفتور الوقتي لا بأس به ولا يسبب إشكالا، إذ أن هذه طبيعة من طبائع النفس، والعلماء كانوا يتغلبون عليها بالطرف والمُح والاشعار والآداب وما شابه ذلك؛ يعني تترك العلم الصعب الذي وقفت أمامه وتغير عنه، لكن نحن نتكلم عن الفتور الذي يسبب التوقف، فمعرفة الغاية هذا أمر مهم، أيضا الثبات عليها كما يقال: "من ثبت نبت" فالإنسان لا بد له من الأول أن يكتشف ميوله الشخصي، يبدأ أولا بعلم الحديث ويجده صعب ثم يدخل على القراءات ويجدها صعبة ثم ينتقل للفقهاء ثم على هذا النحو، لا طبعاً هذا لن يصل؛ لذلك هناك حكمة: "من ثبت نبت".

أيضا كان الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة يقول في كتابه (صفحات من صدر العلماء): "جمعت هذا الكتاب في أكثر من عشرين سنة" انتهى،، يعني كتاب قيم كهذا تتلذذ بكل كلمة فيه يقول أنه لم يأت بين يوم وليلة، فقد استغرق في جمع كتاب كامل عشرين سنة من ثلاثمئة صفحة يزيد قليلا أو يقل قليلا.

ابن سلمان يقول عن هذا: "وكم أخذ تحقيق كلمة منه أوقاتنا وأزماننا" انتهى

هذا العلم ليس وجبة سريعة، لأن العلم يحتاج إلى تحقيق وتدقيق، فمن الممكن أن كلمة أو مسألة تظل معك شهورا وأياما وهذا لا يضيرك، ولذلك كلمة "لا يستطاع العلم براحة الجسد" لما أوردها الإمام مسلم رحمه الله، يقول الشيخ السكران -فك الله رحمه الله بالعزّ أسره- في (المسلكيات) أن هذه العبارة ليس لها مقام في الباب الذي ذكرها فيه الإمام مسلم رحمه الله ولكنه أراد أن يشير أنه تعب كثيرا حتى أنه استطاع أن يخرج الباب على هذه الهيئة، أخذ زمنا وجهدا كبيرا جدا حتى استطاع أن يخرج ذلك الباب فوضع تلك الكلمة فيه.

البعد عن المزالق والمعوقات

المزالق والمعوقات كثيرة جداً تتخطف الإنسان كالكلاب، وكذلك المعوقات التي تصرفه.

المزالق منها:

- **باب الجدل:** -أعاذنا الله وإياكم- وهذا مزلق خطير، فما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا، ويقسو القلب، ويكون همه أن يجمع الأدلة على ذات المسألة التي يريد أن يجادل فيها، ومضيعة للوقت؛

والجدل منه محمود ومنه مذموم، وما دعت إليه الحاجة، وله أصول، ولكن أحيانا يكون مزلقا، وكافة العلماء الكبار لا يميلون للجدل والمناظرة إلا في أضيق الحدود وعندما تكون مرجوة العواقب والغايات والثمرات.

- المعصية:

شكوت إلى وكيع ... سوء حفظي
 فأرشدني إلى ... ترك المعاصي
 وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاص

فهذا يغلط عليك باب العلم، ولما أوصى أحد العلماء تلميذه وقال له إنني أرى أن الله قذف في قلبك نورًا فلا تطفئه بظلمة المعصية.

- الشهرة: - وهو مزلق خطير: "وفي الظهور قاصمة الظهر"؛
- الإنشغال بالملهييات: - ولا سيما مواقع التواصل الإجتماعي- عندما تكون هي المقدمة على طلب العلم-؛
- الملل والتسويق: عندما يتسرب إلى طالب العلم هذا يوقعه كثيرًا؛
- أقران السوء: ينبغي أن ينصرف عنهم.

العناية بوسائل التحصيل وأدواته

وهذا باب مهم جدًا:

- الشيخ؛
- الكتاب؛
- مجالس العلم؛
- السؤال؛
- الصحة الصالحة؛
- دروس العلم؛
- البحث والتنقيب؛
- التكرار والحفظ والتأمل والفهم.

هذه وسائل التحصيل، فالذي يعجز عن الوسيلة أو لا يلتفت إلى الوسيلة: هذا لن يصل، فهذه من أشد الأمور التي ينبغي أن يهتم بها طالب العلم

أيضا من ضمن وسائل التحصيل: النظر إلى النفس

والحكمة تقول: "تعلل النفس حتى تقطع المسافات"، فالنفس دائمًا تركز إلى الراحة والدعة فيجب أن تعلها:

والنفس كالطفل شب على ... حب الرضاع. إن تهمله وإن تفضمه ينفطم

فطبيعة نفس الإنسان يكون قيم عليها وهو الذي يقودها.

أيضا من ضمن الشيء الذي يجعل عندك وسيلة للتحويل: أن تعرف العلم جيدا وأنواعه، ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية، هذه الأبواب ما لا يسع المسلم جهله، وما لا يضره جهله، كل هذه الأمور هي التي تجعل الإنسان في ميدان التحصيل سباقا، وتجعل له ثمرة.

الحذر من الإلتفات والإفتتان بالدنيا

نحن في عصر صعب، انتشر فيه:

- طغيان المادية: الذي صار يحيط بنا من كل جانب، والصوارف صارت كثيرة جداً؛
- سعي الناس خلف الكماليات: غارقون في مسألة الكماليات.

فيجب أن يحذر طالب العلم أن يلتفت عن طريقه، فالمُلتفت لا يصل، ويحذر أن يفتتن بالدنيا.

عادة الدنيا يا أحاب أن ترفع الجهال وتخفض العلماء، فنحن نرى الإحتفاء بالتافهين وتكريم للساقطين وتلميحا وشهرة وإغداقا بالمال، فلا ينبغي أن يكون هذا صارفاً لنا، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

لا ينبغي لإنسان كرمه الله ﷺ واصطفاه واختاره أن يحمل العلم أن يضع نفسه أصلا في مقارنة مع أحد، ولا أن يقارن نفسه مع أصحاب العلوم الدنيوية، فراتب العالم المختص بالعلم الشرعي قد لا يوازي عُشر العالم الدنيوي، فطالما أنك اخترت هذا الباب فأنت لا تنوي به مجلساً في الدنيا وإنما ترجو به الآخرة.

قال أحد العلماء:

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ... وخفض لذي علم، فقالت: خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم ... وأهل التقى أولاد للضرة الأخرى

فالدنيا ترفع الجهال لأنهم أبنائها، والله درُّ القائل

كَمْ جَاهِلٍ يَمْلِكُ دُورًا وَقَرَىٰ ... وَعَالَمٍ يَسْكُنُ بَيْتًا بِالكَرَىٰ

لَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ ... نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ زَالَ الْمِرَا^{١٧٠}

القاضي عبد الوهاب المالكي رحمته الله أراد أن يخرج من بغداد بسبب الضيق والفاقة التي أتت عليه، فقال:

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفالييس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشى فى أزقتها ... كأتنى مصحف فى بيت زنديق

الأديب الوزير المهلبى رحمته الله - وهو **الحسن محمد الأسدي** (ت ٣٥٢) - كان من ضيق الحال الذي أتاه، كان يطلب الموت، فيقول:

ألا موت يباع فأشترته ... فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي ... يخلصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد ... وددت لو أتني مما يليه
ألا رحم المهيم نفس حرّ ... تصدق بالوفاة على أخيه^{١٧١}

أي إنه يدعو بالرحمة لمن يعطيه موتاً (أي يقتله فيخلصه من فقره).

حافظ إبراهيم الشاعر الأديب، والذي كان يكنى "بشاعر الفقراء"، كان فى ضيق من الحال، فوجد الصوفية يندروا النذور والأموال الطائلة للأموال، بينما الأحياء لا يجدون طعاماً، فقال:

أحيأؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف تُرزقُ الأمواتُ
من لي بحظّ النائمين بحفرةٍ ... قامت على أحجارها الصلواتُ

فهو يعني أن هؤلاء الموتى تغدق عليهم الأموال، ونحن الأحياء لا نجد ما نأكله.

والإمام الشافعي رحمته الله يقول:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصرٍ ... ومن دونها أرض المهامه والقفر
فو الله ما أدري ألفتوز والغنى ... أساق إليها أم أساق إلى قبري^{١٧٢}

١٧٠ تفسير الثعالبي - الجواهر الحسان في تفسير القرآن (١٧٩/٥) وذكر بعضه ابن عطية في المحرر (٥٣/٥)

١٧١ الوزير المهلبى (٢٩١-٣٥٢) هـ: الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو محمد: من كبار الوزراء، الأديباء الشعراء. اتصل بمعز الدولة بن بويه، فكان كاتباً في ديوانه، ثم استوزره. وكانت الخلافة للمطيع العباسي. فقربه المطيع، وخلع عليه، ثم لقبه بالوزارة. فاجتمعت له وزارة الخليفة ووزارة السلطان، ولقب بذي الوزيرين. وكان من رجال العالم حزمًا ودهاءاً وكرماً وشهامة. أصابته فاقة في شبابه، وتغرب، واشتهى مرة بدرهم لحماً، فاشترى رقيقه له بدرهم، ثم تنقلت به الأحوال، ووزر، فتعرض له ذلك الرجل، فخلع عليه، وولاه عملاً. وكان الوزير أديباً مترسلاً، بليغاً، شاعراً، سائساً، له أخبار في الكرم والمروءة.

١٧٢ مناقب الشافعي للبيهقي (١٠٨/٢)

الشيخ محمد أبو زهرة يعلق عليه فيقول: "فسيق إليهما جميعاً" انتهى. يعني لما خرج الإمام الشافعي من العراق إلى مصر، أدرك الأمرين، وعاش بمصر عزيزاً، ومات فيها ودفن بمقابر الإمام الشافعي.

أيضاً ذكر ابن خلكان رحمه الله أن أحد العلماء اشترى كتاباً، فوجد فيه أن صاحب الكتاب يشكو ضيق الحال، وأنه ما باع كتبه إلا للحاجة والفقر حيث قال:

أنست بها عشرين حولاً وبعثها	لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظمى أنمى سأبيعها	ولو خلدتني في السجون ديونى
ولكن لضعف وافتقار وصبية	صغار عليهم تسهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرة	مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك	كرائم من رب بهن ضنين ^{١٧٣}

البعد عن الراحة والدعة

طبيعة الحياة الدنيا أنها كلها تعب، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البند: ٤]، أي في تعب، وقال ﷺ للنبي ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]، وليس للإنسان نهاية من العمل دون الموت، كما قال الحسن البصري رحمه الله معلقاً على قول الله ﷻ: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، ففي كل الأحوال، الدنيا كلها تعب، فلا بد للإنسان أن يختار شريف التعب، أو أن يكون هذا التعب في البذل للشريف مما يطلب، وأن يرى أن هذا التعب عندما يعتاده، لذة ضمن اللذات التي يعايشها الإنسان ويعاينها.

والإمام الزمخشري رحمه الله في كلمات رائعة جدا يقول:

سهرى لتنقيح العلوم ألدلي	من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طرباً لحل عويصة	في الدرس ابلغ من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها	أشهى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفا	نقري لألقي الرمل عن أوراقى
يا من يحاول بالأمانى رتبتي	كم بين مستفل وآخر راق
أأبيت سهران الدجى وتبتيه	نوماً وتبغى بعد ذلك لحاقي

فيصف التعب الذي يشعر به حال انشغاله بحل مسألة وإنهاك عقله بالتفكير بها، بأنه أشهى من الخمر لشاربها، وصوت القلم وهو يضرب على الأوراق ويصدر صريراً بأنه أجمل من الأنغام، -والدوكاء: نوع من الأنغام-

١٧٣ واقعة ذكرها ابن خلكان في كتاب "وفيات الأعيان" في ترجمة الشريف المرتضى، قال: ذكر أبو زكريا الخطيب التبريزي ~، صاحب كتاب مشكاة المصابيح. الأديب اللغوي: أن أبا الحسن علي بن أحمد بن علي الفالي كان له نسخة عزيزة نفيسة من كتاب "جمهرة اللغة" لابن دريد، فاضطرته الحاجة إلى بيعها، فباعها بستين ديناراً، واشترى هذه النسخة الشريف المرتضى، فلما تصفح الشريف الكتاب وجد هذه الأبيات التي كتبها أبو الحسن الفالي

ويستحيل للمرتاح الذي ينام ليله، ويلهو في نهاره، أن يلحق بالمجد الذي يسهر في طلب العلم، فما وصل من وصل إلا بالسهر، والتعب، والنصب، والبذل، وكثرة القراءة، والصبر على الضيق والفاقة، فعلى الإنسان أن يوازن، والحمد لله نحن في كفاية، ولم نصل لما وصل له هؤلاء العلماء من الضيق والفاقة والصبر عليها:

فمثلا الدكتور محمد عمارة يقول عن نفسه أنه كان يمكث ثمانية عشر ساعة في طلب العلم.

وأحيانا يرى العلماء أن الفقر يساهم في الطلب، لأن الملهيات للإنسان-حال الفقر- تكون قليلة، وقد ذكروا مناظرة جرت بين ابن حزم رحمته وأبا الوليد الباجي رحمته، ويقال أن أبو الوليد الباجي تفوق فيها على ابن حزم، ثم قال له: "أنت طلبت العلم وأنت في غنى، وأنا طلبته وأنا في فقر" انتهى، فرد عليه ابن حزم قائلاً: "أنت طلبته وأنت في فقر، لتصل إلى ما كنت عليه"^{١٧٤} انتهى، لكن الشيخ عبد الفتاح أبو غدة^{١٧٥} يرى أن أبا الوليد الباجي قوله أسلم من قول ابن حزم، لأن ابن حزم يرى أن الغنى سبب للملهيات، وأنه قد يفتح على الإنسان أبواباً أخرى، بينما الباجي يرى أن توفر المادة هو سبب للعلم (أي يساعد في طلب العلم)، فالشيخ عبد الفتاح أبو غدة ينتصر لهذا الرأي، لأنه يرى أن الفقر قد يلقي الإنسان في همٍ وغمٍ وقد يمنعه ذلك من قضية التفكير، والذكاء.

واستدل بكلمة للإمام الشافعي رحمته كان يقول: "لا تستش من ليس في بيته دقيق" انتهى.

وأثر فعلاً عن الإمام الشافعي رحمته أيضاً، أنه قال "لو سُئلت عن شراء بصلٍ ما عرفت مسألة" انتهى.

ويقولون أن الإمام أبا حنيفة رحمته كان جالساً في بيته فجاءت له الجارية، فقالت: 'يا إمام، لا يوجد في بيتنا دقيق'، قال، "قاتلك الله أضعتي أربعين مسألة من العلم كانت برأسي" انتهى.

والإمام الشافعي رحمته كتب في ديوانه:

لَوْ أَنَّ لُقْمَانََ الْحَكِيمَ الَّذِي سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ بِالْقَضَلِ

١٧٤ يشير المحاضر الشيخ إلى ما ورد في كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي في ترجمة الإمام الحافظ الفقيه ابن حزم كما يلي: "ذكر أن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي صاحب التوليف الكثيرة، و جرت بينهما مناظرة، فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد الباجي لابن حزم: تعذرنى فإن أكثر مطالعاتي كانت على سُرُج (جمع سراج) الحراس، قال ابن حزم: و تعذرنى أيضاً فإن أكثر مطالعاتي كانت على منائر الذهب و الفضة. -أي على المصابيح المصنوعة من الذهب و الفضة-.

قال ياقوت الحموي: أراد أن الغنى أضع لطلب العلم من الفقر!" و قد ورد حوارهما بصيغة أخرى وهي: قال الباجي لابن حزم: "أنا أعظم منك همة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت مُعان عليه، تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بتدليل بانث السوق. فرد عليه ابن حزم قائلاً: هذا الكلام عليك لا لك، لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته، لم أرُج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة".

١٧٥ يشير المحاضر الشيخ إلى تعليق الشيخ أبو غدة على حوار ابن حزم و الباجي في كتابه "صفحات من صبر العلماء على شذائد العلم و التحصيل" حيث قال: " يقول العلامة الجليل الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "ابن حزم"، بعد ذكره خبر اعتذار كل من الباجي و ابن حزم لصاحبه، بالحال التي نشأ عليها من الفقر المدقع أو الغنى المفرط: " يرى ابن حزم أن كثرة المال و طيب العيش تسد مسالك العلم إلى النفوس، فلا تتجه إلى العلم، فإن الجدة (الغنى) قد تسهل اللهو و تفتح بابيه، و إذا انفتح باب اللهو سد باب النور و المعرفة، فلذا نذ الحياة و كثرتها تطمس نور القلب، و تعمي البصيرة، و تذهب بحدة الإدراك. أما الفقير، و إن شغله طلب القوت، قد سدت عليه أبواب اللهو، فأشرفت النفس، و انبثق نور الهداية، هذا نظر ابن حزم. أما نظر الباجي فإنه متجه إلى الأسباب المادية، من حيث تسهيل الحياة المادية، من غير نظر إلى الأسباب النفسية، التي تتضمن أن الغنى في كثير من الأحوال معه الانصراف من العلم إلى اللهو، و قد توفرت ذرائعه". انتهى

قال عبد الفتاح أبو غدة: و الذي أراه أقرب إلى الصواب هو اعتذار الباجي، فقد قال الإمام الشافعي و قوله الفصل: " لا تستش من ليس في بيته دقيق (أي فقير)، لأنه مدله العقل (أي تبده ذهنه من الهم و الغم بسبب الفقر)".

بُلِي بِمَقَرِّ وَعِيَالٍ مَّا ... فَرَقَّ بَيْنَ التَّيِّبِ وَالتَّبَقْلِ^{١٧٦}

انظر يقول لو كان لقمان الحكيم أكرمه الله ﷺ بالأولاد مع قلة ذات اليد - وهذا هم ضارب يأتي على الأمر - لما كان حكيماً، فهذا له فائدة:

- أن الإنسان يستغل وقت الغنى، ووقت القوة في الطلب لأنه ستأتي عليه أيام سينشغل من أجل لقمة العيش وكذا... وكذا...
- وأيضاً عليه أن يوازن في المطالب ولا يستغرق في مسألة الكماليات، لا سيما إذا اختطى مسألة العلم، فإن أنت فخير، قال ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أي أنه إذا أنت المسألة وكان في سعة من العيش، مثل ما فعل الإمام مالك ﷺ فلا بأس. لكن لا يسعى إليها ويقول أنا طالب علم فهذا معوز، فمسألة أن يكون الإنسان في شغل دائم وكذا، يستغل هذه الفترة ويخرج من الحالة التي عليها.
- تجربة شخصية للشيخ الدكتور محمد حسني حفظه الله ﷺ:

حين كنت استخدم وسائل المواصلات، كنت أراجع ثلاثة أو أربعة أجزاء من القرآن، أو أقرأ ما يقارب من نصف كتاب (إذا كان كتيب صغير ٢٠٠ صفحة مثلاً)، أو أقرأ ٥٠ صفحة من مجلد، أراجع من القرآن وأقرأ من الكتب ما لا أراجع في البيت، وحين أكرمني الله ﷺ بالسيارة فأصبحت مسئولاً عن القيادة فلا أستطيع أن أقرأ شيئاً، بالرغم من أنه من المتاح استخدام وسائل أخرى بدل القراءة إلا إنها لا تكون بنفس التركيز، فأحياناً فترات الفقر تساعد الإنسان فعلاً على استغلال كل شيء.

إن أحد العلماء وكان (غفيراً) في درب (كان يعمل حارساً في أحد دروب بغداد) يقول: "كنت أستعين بالأجرة لمعاشي وبالضوء للقراءة" انتهى، أي يستغل النور في القراءة والكتابة، واستطاع تسخير المجال والإستفادة منه في طلب العلم وفي الوقت نفسه يستعين بالأجرة على متطلبات حياته، والكثير من العلماء كانوا فقراء وماتوا وهم فقراء فهذا ليس مانعاً ولا صارفاً.

هذا وما كان من فضل فمن الله العلى القدير وما كان من تقصير فطبيعة العبد هي التقصير. والله عز وجل أسأل
أن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما وعملا وفهما وتطبيقا وصلى الله وسلم ومجد وكرم على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وجزاكم الله خيرا وفيكم بآرك ربنا ﷻ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال ١: حول بعض المصادر المهمة:**جواب ١:** من بين أهم المصادر:

١. كتاب (معالم إرشادية لطالب العلم) للشيخ محمد عوامة؛
٢. كتاب (تعليم المتعلم) للزرنوجي؛
٣. كتاب (حلية طالب العلم) للشيخ طارق أبو زيد؛
٤. كتاب (فضل العلم) لابن القيم رحمته الله في كتاب (مفتاح دار السعادة).

سؤال ٢: لو قتلنا الكلب المُعَلَّم، هل سنكون ضد العلم؟

جواب ٢: أقول هذه دعوة تحتاج إلى دليل، من الذي قال أننا نقتل الكلب المُعَلَّم، النص الوارد في الحديث الكلب العُفُور، الخمسة الذين يجلُّ قتلهم في الجل والحرم: الكلب العُفُور، فلم يقل أحد بقتل الكلب المُعَلَّم ولا حتى بقتل الكلب غير المُعَلَّم: طامًا غير ضار، بل ثبت في الفقه الإسلامي وغيره والحضارة الإسلامية أن كثيرا من الناس كانوا يُقْفُونَ وَقَفَاءً، تَحَيَّلَ يَحْبِسُ شئًا يَنْفَعُ مِنْ أَجْلِ الْكِلَابِ، يُسَمُّونَهَا الْكِلَابِ الضَّالَّةِ، يُنْفَقُ عَلَيْهَا وَتُؤَوَّى فِي مَكَانٍ وَتُطْعَمُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ).

ومثلاً من باب التنازل، من قال أن يقتل الكلب المُعَلَّم نُصَبِحُ ضِدَّ الْعِلْمِ؟ الأصل في العلم والدعوة إليه الأصل فيه الإنسان هو الذي ينشر العلم وليس عندنا كما فعل غيرنا من حرق للكُتُبِ وحرق للعلماء كما حدث في القرون الوسطى، وقرأوا كتاب جميل لـ محمد عبده اسمه العلم والمدنية بين النصرانية والإسلام، فإن حدث وأحد وقع على هذا، أنا لم يُقَابِلِنِي هذا النص، فلا يُقال أننا ضد العلم من أجل هذه المسألة

سؤال ٣: حول القول الذي يقول أن التعمق في العلم هو الذي جعل إبليس يخرج من الجنة؟**جواب ٣:** من قال هذا؟ أنا أقول هذا مفهوم خاطئ لمسألة العلم:

- العلم ما نَفَع، عند السلف يقولون: "إنما العلم الخشية وليس العلم عن كثرة الرواية" انتهى، لذلك أحد السلف كان عندما يجد إنسانا لا يعمل بعلمه يقول: "نأقل"، يعني يَعْتَبِرُ وَنَه وِعَاء فقط للعلم، وأحد العلماء يقول: "ليس العالم الذي يَعْلَمُ الحلال والحرام -مجرد المعرفة فقط ليست علماً-، إنما العالم الذي يعلم الحلال فَيَلْتَزِمُهُ ويعلم الحرام فَيَجْتَنِبُهُ" انتهى، لذا مسألة الميزان عندنا في مفهوم العلم هو العمل بالعلم وليس مجرد الرواية، ليس العلم عن كثرة الرواية وإنما العلم الخشية؛

- لو كان إبليس علم لكان رأى أن في سجوده لأدم تكريماً له لأنه أطاع الله ﷻ، لكنه اتَّبَعَ هواه؛

- إبليس دخل عليه آفة من آفات العلم وهي الكبر، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:

١٢]، لذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لا تَقُلْ أنا ولا تَقُلْ لي ولا تَقُلْ عندي لأن الثالثة الذين قالوا هذه

الكلمات ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] فرعون، ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]

قارون، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] إبليس، ولكن قل أنا لي الذنبُ وعندي الجُرمُ، وأنا عاصي، هذا الذي

تَقُولُهُ" انتهى

وأيضا لم يكن عنده علم بالمرّة في هذه النقطة لأنه على حد قول العلماء، كنت قد قرأت شيئا، قال أن إبليس قاس، وقاس قِيَاساً فاسِداً: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، قال إذا كان لديه القليل من العقل لكان رأى أن الطين سبب للحياة، إنبات النبات، والنار سبب للفناء، لذا فالطين أفضل، الطين يمتاز بالرزانة والقوة... أما النار فيها خِفةٌ وطيش، فهو عقد مقارنة بين فضل الطين على النار فقال: حتى لو قاس قِيَاساً فهو قياس فاسد، هو أخطأ في هذه المسألة، فمسألة التعمق في العلم يقول فيها العلماء، آفة العلم ليست التعمق فيه لأن العلم ثلاثة أشبار: من بَلَغَ الأول تَكَبَّرَ، -الذي يعرف مسألة وإثان وحضر درس وإثان هذا مُصِيبَةٌ في العلم-، والذي يدخل في الشبر الثاني يتواضع، -لأن الذي تعمق عِلْمٌ أنه لم يعلم شيئا-، والله ﷻ في مجموع العلم يقول ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ﴾ [الإسراء: ٨٥]، في مجموع الأمة ﴿مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، نحن نقطة في بحر.

سؤال ٤: حول مسألة العلم التجريبي:

جواب ٤: نحن لدينا العلم النافع، وهذا سيأتي في أقسام العلوم، من العلم ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية على الأمة، مثلاً الطب لو خلت الأمة من طبيب تأثم الأمة في مجموعها، فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، وكذلك الفلك، والحساب، والرياضة.

والله ﷻ عندما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، ذكر قبلها أنواعا قال عنها العلماء أنها من العلوم الكونية، الدواب والأنعام والجبال وكذا، ثم عَقَّبَ بعدها بـ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وعندنا العلم يَدْعُوا للإيمان سواء علم تجريبي أو علم نظري، وأحد العلماء كان يقول عندما أدخل مَعْمَلِي يزدادُ إيماني، وعندنا **موريس بوكاي** لَمَّا عَمِلَ العلم الحديث بين القرآن والتوراة والإنجيل كان سبباً في إسلامه، الإعجاز العلمي ووضع كتاباً سَمَّاه العلم الحديث أو في ضوء التوراة والإنجيل والقرآن، فالعلم التجريبي محمود طبعاً في الشرع إذا دَلَّ على الله ﷻ ولذلك:

حاذر إذا تغزو الفضاء فربما	ثار الفضاء لنفسه فغزا كما
أنالاً أثبط من جهود العلم أو	أناف في طريقك أغرس الأشواكا
لكنني لك ناصح فالعلم إن	أخطأت في تسخيرهِ أفناكا
سخر نشاط العلم في حقل الرخاء	يصغ من الذهب النضار ثراكا
سخره يملأ بالسلام وبالتعاون	عالمأ متنـاحراً سـفـفاكا

العلم كالغيث ينزل على الأشجار فتمتصه بعروقها فلا يزيد الحلو إلا حلاوةً ولا يزيد المرّ إلا مرارةً، بشرط ألا نؤله العلم فله عندنا ضوابط.

سؤال ٥: مسألة العلم والمرأة:

جواب ٥: نأتي الآن إلى مسألة العلم والمرأة، العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، فيستوي فيها الرجال والنساء، فمثلاً الممارسات التطبيقية للصحابيات رضوان الله عليهن، كان منهنّ المحدثّة والفقيرة والشاعرة والطبيبة وغير ذلك. فالتاريخ الإسلامي مليئٌ بتعظيم شأن النساء في العلم، بل أنا قرأت كثيراً أنه ما من عالم من العلماء الكبار إلا وكان في سنده شيخة.

فالإمام الشافعي كانت شيخته نفيسة (نفيسة العلم)، الإمام البخاري كانت له شيخة على ما أذكر اسمها كريمة^{١٧٧}. والإمام السيوطي كانت من مشايخه ساره بنت تاج الدين السبكي، فعندنا لا حرج في مسألة العلم فهي مسألة واسعة، وأنا أحيلكم لكتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" لعبد الحليم ابو شقة، فهذا الكتاب ذكر أحاديث في البخاري ومسلم رواها من النساء، فجهود المرأة في طلب العلم معروفة عبر العصور منذ القرن الأول. كان أحد كتب كتابا وكان عميد كلية أصول الدين، كتب رسالة "جهود المرأة في الدعوة إلى الله في القرن الأول الهجري" ثم توالى بعدها كتابات كثيرة جدا، الإمام الذهبي أثنى على المرأة في رواية الحديث وقال أنه لا توجد امرأة من النساء أو محدثة من النساء وهي مدلسة، يعني هناك في الرجال مدلسين وكذبة، لكن لا يوجد امرأة روت الحديث مدلسة. النبي ﷺ كان يسمع شعر الخنساء رضي الله عنها، والسيدة عائشة كانت تروي بالقصيدة أربعين بيتا، والله ﷻ يقول: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

فمسألة طلب العلم للمرأة هذا باب واسع، نحن أيها الأحبة محتاجون إلى جيش جرار، لماذا؟ لأن الأم العالمية هي التي تستطيع أن تكون مربية.

لذلك نحن نقول كل الأئمة الكبار أثرت فيهم أمهاتهم، الإمام الشافعي أمه هي التي وجهته إلى العلم وكانت تغزل وتعطيه المال، سيدنا سفيان الثوري، تقول له أمه "خذ عشرة دنانير أنفقها وتعلم بها عشرة أحاديث فإن رأيت أنها تغير في مشيتك وجلستك وحديثك مع الناس فأقبل وإلا فلا تكثر من حجج الله عليك" (في الهمش لم أقف على هذا الأثر، لكن وجدت حديثا عن عطاء يقول " كان فتى يَخْتَلِفُ إِلَىٰ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، فَيَسْأَلُهَا وَتُحَدِّثُهُ، فَجَاءَهَا ذَاتَ يَوْمٍ يَسْأَلُهَا فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ هَلْ عَمِلْتَ بَعْدَ بِمَا سَمِعْتَ مِنِّي؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا أُمَّهُ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ فِيمَا تَسْتَكْثِرُ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ"^{١٧٨}.

أم الإمام مالك تقول له " اذهب إلى ربيعة الرأي فخذ من أدبه قبل علمه، يقول فلزمت ربيعة ثمان سنين فأخذت كل أدبه وكل علمه".

ونافع العلم للجنسين مفترض	لا فرق بينهما في الحث والطلب
لكل جنس بدنيا رسالته	وللأمومة فضل الصبر والتعب
الله سواك أنشى تلك حكمته	وليس من عبث في الخلق أو لعب
لا تحسبي أن الإسترجال مفخرة	فهو الهزيمة أو لون من الهرب
ما بالأنوثة من عار لتنسلي	منها وتسعي وراء الوهم في سرب
ولست قادرة أن تصبجي رجلا	فقطرة الله أولى منك بالغلب

١٧٧ كريمة أم الكرام بنت أحمد بن محمد المزورتي: الشيخة، العالمية، الفاضلة، المسندة، أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المزورتي، المجاورة بخرم الله. سمعت: من أبي الهيثم الكشمي (صحيح البخاري) - «سير أعلام النبلاء - ط الرسالة» (٢٣٣/١٨)
١٧٨ معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية (ص ١٤٣). وروى الحافظ ابن عبد البر في الجامع مثله عن أبي الدرداء (ص: ٦٩٥) - ط. دار ابن الجوزي

فكّل واحد له رسالة في حياته.

سؤال ٦: ما الرد على من سأل عن البيت القائل:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

جواب ٦: فأنا لا أدري مقصده من قوله هذا، هل يقصد أن الجهل يطلق على مسألة العلم أم لا؟ فمفردة الجهل بتبعتها في القرآن الكريم - وأنا كنت قد ألقيت محاضرة طويلة عن قضية الجهل والجاهلية، فمن المفروض أن نعرّج عليها كثيراً لأننا دائماً نقول أنّ ضد العلم هو الجهل فمن المفروض أن نعرف الآثار الخطيرة للجهل أيضاً، وإنّ من فضل العلم أن تتبّع ذمّ الجهل في القرآن الكريم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إلى آخره هذه أيضاً مضاف للرصيد الذي يدل على فضل العلم، أقول إنه بتتبع الآيات في القرآن الكريم تجد أنه لكلمة الجهل أربع مدلولات منها:

- **خلو النفس من العلم:** هذا يطلق عليه جهل اعتقاداً بدليل ﴿أَجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، يعني تجهلون لا تعرفون عظمة الخالق قال يعني نفسك خلت من تعظيم الخالق ﷻ.
- **أيضاً منها اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه:** هذا جهل وهذا يسمى جهلاً مركباً اعتقاداً الشيء على خلاف ما هو عليه مثل ربنا قال ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءً مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أنا بفكره غني وهو فقير، اعتقاد شيء أنا أعتقد اعتقاد على خلاف ما هو عليه، وهذا اعتقاد إبليس أيضاً، اعتقاد النفس على خلاف ما هو عليه أيضاً هذا من الجهل.
- **أيضاً من الجهل أو من معاني الجهل في القرآن فعل الشيء على خلاف ما حقه أن يفعل:** ﴿وَالَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، يبقى أنا إذا أصاب الإنسان الـ هذا سمي الفعل جهل، وهل الفعل هذا جهل، فعله عن جهل ولا فعله عن علم، لأ فعله عن علم لكنه فعل الشيء على خلاف ما حقه أن يفعل، كذلك مثلاً يطلق على المعصية ﴿لِّلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، هو الإنسان لما يقدم على المعاصي أعزكم الله عافانا الله وإياكم وجنبنا المعاصي ما ظهر منها وما بطن الإنسان، عندما يقدم على المعصية يقدم عن جهل ولا عن علم، لكنه فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، وضع الشيء في غير موضعه قال تعالى ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧]، في موضع الجد الإستهزاء في موضع الجد قال تعالى ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، لما سأل سيدنا نوح ربه النجاة لابنه، قال تعالى ﴿إِنَّ أَبِي مِّنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]، قال، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي

بِهِ عِلْمٌ [هود: ٤٧]، فربنا قال له ﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، هوسيدنا نوح نحن نعلم مقامات النبوة والوحي من أعلى درجات العلم، لكن لما يسأل السؤال في غير موضعه أو يحسب الشيء على خلاف ما حقه أن يكون، قال تعالى مخاطبا النبي ﷺ ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، فهذا أيضا فعل الشيء على خلاف ما حقه أو قول خلاف الحق، هذا أيضا يسمى جهل. فكلمة الجهل لها إطلاقات ليس إطلاق واحد وينبغي عندما نتبعها نتبعها من خلال القرآن الكريم ومن خلال معاجم اللغة العربية ولذلك "أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا" ١٧٩ هذا فعل سُمِّيَ هذا الفعل على خلاف الحلم.

● الجهل أيضا من معانيه ضد الحلم: هذا أيضا يسمى جهلاً لأنه فعل ما لا يستحق أن يفعل.

لا أريد أن أطيل أكثر من هذا، كان هنالك طالب بمرحلة الدكتوراه يقول أنه فترت نفسه - هذا سيأتي معنا في علو الهمة- ولكن إلى أن يأتي اقرأ قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبد الفتاح ابو غدة هذا أمر.

الأمر الثاني أن هناك ظاهرة يسميها الباحثون "العصيان الكتابي"، حيث يأتي على الإنسان فترات يستعصي عليه أن يكتب شيئا أو لا تميل نفسه أو تفتر - وهذه طبيعة النفس-، ينبغي إذا عليه أن يشغل نفسه بأشياء أخرى، يعني لو كان لدي مهمة سأنقل النصوص تتعلق بباب من الأبواب أو فصل من الفصول غير محتاجة إعمال ذهن، أنا سأنقل كل ما احتاجه ثم عندما يصفو الذهن وتعود الحالة للمرة الأولى أستطيع أن أنسق نصوص وأضع كل نص في المكان الذي أريده على الوجه الذي ينبغي وأستطيع أن أنا أعلق عليه وأستدرك وأرجح وأقرر لكن فيه أشياء أستطيع إن أنا أفعلها في حالة الفتور، مثلاً أجمع أحاول إن أنا أروح عن نفسي بشيء آخر ربما يتعلق بالمادة من قريب أو بعيد، لكن هي مسألة عرضية مسألة نفسية الباحث مسألة عرضية، ويعني ربنا ﷺ استعن بالله ﷻ ولا تعجز وأطلب من الله العون وحاول يعني إنك إنت تستعيد، اقرأ ما كتبت، تذكر يعني هذه الأمور لتتجاوز هذه المرحلة، تذكر الإنجاز الذي صنعه مثلاً في مرحلة الماجستير طالما أنك في مرحلة الدكتوراه وحاول تهاتف أصدقاءك الباحثين لكي يشعلوا النشاط والقوة عندك من جديد.

سؤال ٧: كيف نروض أنفسنا للتحسين في طلب العلم؟

جواب ٧:

أولاً: المواظبة على حضور مجالس العلم، فهذا ينشط النفس، وقد قلنا الصوارف والعوائق كثير جداً، الإنسان عندما ينخرط في عمل الدنيا ينسى فيحتاج من يذكره.

ثانياً: الصحبة الصالحة الحريصة علي طلب العلم، لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله. اقطع العلاقات بكل إنسان ترى أنه يؤخرك ولا يقدمك، اقطع علاقتك به ولو كان أخاك لأبيك وأمك.

ثالثاً: الديمومة مع القلة، من دخل العلم جملة تركه جملة، والعالم الرباني الذي يعلم صغير العلم قبل كبيره، وهذا سيأتي في منهجية الطلب. فعندما أبدأ بالأشياء الصعبة فهذا من شأنه أن يحطم من نفسياتي وقوتي، ولا أستطيع أن اصبر على طلب العلم، لذلك نصح العلماء بأن تبدأ بالمختصرات؛ لأنك ستشعر بالإنجاز، ولأن فيها سهولة، ولأنها الطريقة المثلى لطلب العلم.

رابعاً: مراعاة المنهجية في الطلب.

هذه الأمور من شأنها أن تساعدك إن شاء الله،

لا تقل قد ذهبت أربابُهُ ... كلُّ من سارَ على الدَّرْبِ وصل

فأنا ضد من يقول أنا كبير في السن (سيأتي الكلام عنه لاحقاً)، فيقول: أنا جاوزت الأربعين أو الخمسين أو الثلاثين... بل أن هناك علماء لم يبدؤوا إلا بعد الثلاثين وبعد الأربعين، فأبشر، لكن مسألة الطلب يجب أن تكون بطريقة الموازنة.

سؤال ٨: العالم الذي لا يعمل بعلمه، هل نأخذ منه النصيحة؟

جواب ٨: نعم بالتأكيد، لماذا؟ العالم الذي لا يعمل بعلمه، معه علم أم لا؟ معه علم، إذن خذ ما ينفعك ودع ما يضرك، "ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري"، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيطان: (صدقك وهو كذوب)^{١٨٠}، أنظر حتى الشيطان يأخذ منه أبو هريرة النصيحة، فلا يوجد مشكلة في الانفتاح بالحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها، وأذكر أن الإمام مالك قال له أحدهم: صل يا إمام أو اركع، فصلى في وقت

^{١٨٠} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث رقم: ٣٢٧٥

تُكره فيه الصلاة، فقال له الناس: أتصلي في وقت تُكره فيه الصلاة؟ قال: خشيت أن ادخل في قول الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرَأَيْتُمْ لَآ يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

وقيل أن يهودياً كان يختلف إلى هارون الرشيد سنة، يريد أن يقضي له مصلحة، فلما خرج هارون الرشيد اعترضه اليهودي وقال له: اتق الله، فنزل من على فرسه وسجد، وأمر بقضاء حاجة اليهودي، فقالوا له: أتسجد لقول يهودي؟ فقال: خشيت أن أدخل في قول الله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، إذن، حتى لو كان يهودياً أو نصرانياً أو بوذياً طالما معه شيء من الخير- وهذا الانفتاح على الآخر فيما يتوافق مع شريعتي- وهذا الخير معتمد لدي، فلا يوجد مشكلة، ولذلك كان هناك سؤال قد طُرح في المرة السابقة وهو هل من الممكن أخذ العلم من غير المسلم؟ فالإجابة نعم، إذا كان ميرزاً في هذا المسألة بما لا يتعارض مع الشرع فلا مشكلة، فسيدنا محمد ﷺ استفاد من علم عبدالله بن أريقط؛ لأنه كان خبيراً خريئاً ماهراً بالطريق في الهجرة، ولأنه كان كُفناً وأميناً. وأيضاً طلب من الحارث بن كلدة وهو الطبيب النصراني، أن يداوي خاله سعد بن أبي وقاص.

فمسألة أخذ العلم من عالم لا يعمل بعلمه ليس بها إشكال. طالما أنني استفيد من علمه، فلا ضرر من ذلك؛ لكن لا أقندي به في عدم العمل بالعلم.

سؤال ٩: كيف نتجنب العُجب والحسد والكبر؟

جواب ٩: هذا باب واسع في مسألة النفوس، وقد كان لي سلسلة اسمها "آفات النفس البشرية وعلاجها في ضوء القرآن الكريم" تحدثت فيها عن كل هذه المساويء.

علينا أولاً: أن نرصد هذه المظاهر فلكي أعالج شيئاً يلزم العلم به (ولا نضخمها، كي لا يحدث تلبيس من إبليس، فنحاسب النفس قدر الإمكان)، فاعرف إن كان بي عَطَب (خلل)، ثم اعرف أسباب هذا العَطَب، ثم أحاول أن أزيل هذه الأسباب. ولنأخذ الكبر كمثال: كيف أعرف إن بي كبر؟ بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(الكبر بطر الحق وغمط الناس)**^{١٨١}. واطر الحق هو عدم الاعتراف بالحق، فإذا جاءني الحق ورددته، إذأ أنا إنسان متكبر. أيضاً من مظاهر التكبر: إحتقار الناس (غمط الناس)، وعدم التواضع في العلم، فيلزم أن أرصد المظاهر الموجودة في شخصي.

^{١٨١} صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٩١.

ثانياً: علينا أن نحاول أن نعالج الكبر (إذا وُجد) كما يلي:

● التفكير في سبب الكبر ودفعه بالعقل: أن تسأل نفسك علام الكبر؟ فإن كان لامتلاك المال فالمال قد يُسلب في لحظة، وإن كان لامتلاك العلم فيكفي الإصابة بمرض الزهايمر فيختلط على الإنسان نسأل الله السلامة، ولدينا من المحدثين الذين اختلط عقولهم في أواخر أيامهم فصاروا لا يُؤخذ منهم العلم، فهذا العقل هبة من الله عز وجل لو شاء سلبك إياه.

● إدراك العواقب: تذكر المصير الذي ستصير إليه، ف(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ)^{١٨٢}. وأيضاً تذكر أهمية مسألة انتزاع العجب، فالعجب يحبط العمل.

● مطالعة الكتب في هذا الباب: هناك باب يسمى باب المهلكات في كتاب " إحياء علوم الدين " للإمام أبي حامد الغزالي اقرأه، فيه عن الكبر والعجب والحسد وكذا، أيضاً هناك كتاب "تنبيه الغافلين" للإمام السمرقندي من علماء القرن الرابع، وكتاب "أدب الدنيا والدين" للإمام الماوردي، وكتاب "الأخلاق والسير في مداواة النفوس" للإمام بن حزم، وكتاب "الداء والدواء" لابن القيم. فلا بد للإنسان أن يطالع الباب الذي يرى أنه مُقصر فيه.

مطالعة سير العلماء في التواضع: فماذا معك من العلم مما كان مع العلماء الذين كانوا يتواضعون تواضع عجيبة؟، خذ مثلاً سيدنا أبو بكر الصديق والذي كان أعلم الصحابة؛ الإمام السيوطي في الحقيقة عقد باب كامل عن علم سيدنا أبو بكر، فقد كان فقيهاً وعالماً ومن اعلم الصحابة رضوان الله عليهم وباستدلالات بكل تأكيد؛ فهو أول صحابي استطاع أن يستنبط من الآية ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، قتال مانعي الزكاة، فلم تأت هذه الآية مفرقةً ابداً، وقال: "والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ"^{١٨٣} انتهى، وهذا فقهٌ واستنباط وغيره كثير، كما أن الأولى في الخلافة هو الأعلم، بالإضافة إلى صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلك أن تتخيل أنه وهو خليفة المسلمين كان يخدم امرأة^{١٨٤}. وسيدنا عمر المعروف بقوته وصلابته والذي إذا مشى أسرع، وإذا تكلم اسمع، وإذا ضرب أوجع، مر بامرأة تدعى خولة بنت ثعلبة في خلافته، والناس معه فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: "يا عمر قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك يا عمر، ثم قيل لك يا أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإن من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن الحساب خاف العذاب". فقيل له: "يا أمير المؤمنين، أتقف هذا الوقوف لتلك المرأة العجوز؟" انتهى، فقال: "والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة. أتدرون من هذه؟ إنها خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر" انتهى، فكان يذل نفسه كلما بدأ يداخله الكبر. أيضاً خرج سيدنا عمر بن عبدالعزيز ذات ليلة إلى

^{١٨٢} صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٩١

^{١٨٣} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٣٩٩.

^{١٨٤} القصة ذكرت في تاريخ ابن عساكر و لا تثبت.

المسجد ومعه رجل من الحراس، فلما دخل عمر المسجد مرَّ في الظلام برجل نائم، فأخطأ عمر وداس عليه، فرفع الرجل رأسه إليه وقال: أمجنون أنت؟ فقال: لا، فتضايق الحارس وهمَّ أن يضرب الرجل النائم، فمنعه عمر، وقال له: إن الرجل لم يصنع شيئاً غير أنه سألتني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا، لذلك من المهم تعلّم التواضع والحلم والعفو والصفح من خلال قراءة سير الأعلام ككتاب "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ولي مقال مفيد على موقع "الألوكة" بعنوان "أهمية دراسة التراجم والسير للدعاة إلى الله تعالى"، ولقد وضعت بها العديد من البنود عن هذا الموضوع، لذلك أنصحكم بمراجعة هذا المقال.

سؤال ١٠: هل من الممكن أن نأخذ من الشيخ سيء الخلق سوء خلقه بطول مرافقته دون أن نشعر؟

جواب ١٠: نعم، وهنا لا بدّ من التنويه لموضوع، وهو أنّ هناك فرق بين نقل العلم عن الشيخ ومعايشة الشيخ. والمعايشة مطلوبة لمن حسن خلقه؛ لأنّ هذا ما يسمى التربية بالقُدوة. لذلك أقول إذا كنت تريد أن تعاش مثل هذا الشيخ سيء الخلق فلا تفعل. أما لو كنت في درس علم فأخذت ما عنده من علم وعدت إلى بيتك فلا بأس، أما من قبيل المعايشة فلا؛ لأنّ "الطبع لص" كما قال الإمام ابن الجوزي ويسرق، والأخلاق تعدي، وسنتحدث عن هذا الموضوع في مسألة اختيار الشيخ أو أخذ العلم عن الشيخ وسيأتي في ذلك كلام كثير.

سؤال ١١: لو أنّ هناك شخص جاهل استخف بالعلم الشرعي الذي يأخذه ولكني اجتهدت في تعليمه عسى أن يهديه الله فما قولكم في ذلك؟

جواب ١١: هذا هو المطلوب، إذا كان هو يجهل ما يعييه، "و ضدُّ كلِّ امرئٍ ما كان يجهلُهُ... والجاهلون لأهل العلم أعداء" ^{١٨٥}. وطبيعة الجاهل أنّه لا يعرف قدر العلم، فإذا استخف، فإنّ دوري أن أعلمه وأرفع عنه الجهالة حتى أقيم عليه الحجة؛ لأنّ الإنسان يُعذر بالجهل، وهذه المسألة (العذر بالجهالة) تدخل في باب العقيدة، ونستدل عليها بأية: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢]، فهم شكوا بقدرة الله عز وجل لجهلهم به، والرجل الذي قال لأهله: إذا مت فاحرقوني وذروني. فهذا شك بقدرة الله على جمعه مرة أخرى وهو يعذر بجهله. لذلك يجب أن تكون نموذجاً يحتذى به في

^{١٨٥} القائل: علي بن أبي طالب.

مسألة طلب العلم الشرعي ونشره وتعليم هذا الجاهل، بحيث لو كان معانداً بعد ذلك، واستخفّ بمسألة العلم، تكون قد أقيمت عليه الحجة، وانتفى عنه المانع فصار رهيناً بذنبه.

سؤال ١٢: هل من الممكن أن تذكر لنا عناوين كتب ننتفع بها يا شيخنا الفاضل بارك الله بك؟

جواب ١٢:

- "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" لابن جماعة.
- "الحث على طلب العلم" لأبي هلال العسكري.
- باب العلم من كتاب "مفتاح دار السعادة" للإمام ابن القيم.
- باب العلم من كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي.
- "آداب الراوي والسامع" للخطيب البغدادي.
- "اقتضاء العلم العمل" للخطيب البغدادي.
- "زُغَل العلم" للإمام الذهبي.
- "قيمة الزمن عند العلماء" لعبد الفتاح أبو غدة رحمه الله.
- "صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل" لعبد الفتاح أبو غدة أيضاً، وهما كتابان قيّمان جداً.
- "معالم إرشادية في طلب العلم" للشيخ محمد عوامة، وهو من تلاميذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
- كتاب "مداواة الأخلاق والسياسة" لابن حزم، حيث تكلم عن مسألة طريقة حضور مجالس العلم في جزء منه - وهذا سيأتي أيضاً معنا في طريقة طرح السؤال - تكلم فيها كلام في غاية الجمال والروعة.
- كتاب "حلية طالب العلم" لبكر أبو زيد.
- "تائية الألبيري" في الحث على طلب العلم لابن أبي بكر، وهي من مائة وخمسة عشر بيتاً تشتمل على جملة من الآداب.
- كتاب "التبيان في آداب حملة القرآن" للإمام النووي. نحن نتكلم في باب عام، أي طالب علم لا بد أن يتقن هذه الأشياء، ولكن من دقة العلماء أنهم وضعوا آداباً لطالب العلم خاصة بحمل القرآن، منها هذا الكتاب.
- "آداب السامع والراوي" للخطيب البغدادي، و"الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي، خاصة بالحديث.
- "أخلاق العلماء" للإمام الأجرّي.
- "آداب المفتي والمستفتي" للإمام النووي.

لشدة اهتمام العلماء بالآداب جعلوا لكل علم من العلوم آداباً؛ الإمام الذهبي في "زُغَل العلم" رصد المذموم عند كل علم من هذه العلوم حتى علم الوعظ، علم الحساب، علم الحديث، علم الفقه، علم العقيدة، المذاهب، فرصد كل هذه الثغرات التي تكون موجودة عند العلماء. ومن الكتب ما هو شامل جامع، مثل "بيان العلم وفضله" لابن عبد البر، وهذا يعتبر من أجمع الكتب في هذا الباب، ومنها كتب تكلمت بصفة عامة عن العالم أو الفقيه أو المحدث أو قارئ القرآن وهكذا، ومنها كتب متخصصة في علم من العلوم، فالباب طويل والأمر واسع، ولكننا نأخذ رموز وعناصر أساسية.

أرجو من الله تعالى أن يكون رواد هذه الأكاديمية محط أنظار الجميع، وأن يكونوا شامة بين الناس يُشار إليهم بالبنان؛ بأخلاقهم وآدابهم وسمتهم قبل علمهم، فنحن إلى كثير من الأدب أحوج منه إلى كثير من العلم.

سؤال ١٣: هل يجوز أخذ العلم ممن زلَّ في أصل من أصول الدين أو يأخذ بنوادير الآراء؟

جواب ١٣: طالب العلم المُمَيِّز يعرف وينكر، ويأخذ ويدع، الإمام الذهبي في السير كان يوازن -وأسمي فعله هذا فقه الموازنات- فيذكر ما لصاحب السيرة وما عليه، كما في إحدى التراجم حيث يقول: "وكان من الزهاد العباد العلماء... وكان يرى القدر رحمه الله وغفر له" انتهى، يعني من القدرية، والقدرية فرقة ضلت في أصل من أصول العقيدة.

والإمام البخاري روى عن بعض الشيعة والخوارج، ولذلك يقول الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة أبان بن تغلب: "شيعي جلد، ولكنه صدوق فلنا صدقه، وعليه بدعته" انتهى، وهو من رجال البخاري. حتى المعتزلة خدموا الدين، ولهم جهود ضد النصارى. والإمام الجاحظ عمل فرقة اسمها فرقة الجاحظية، وله كتاب في الرد على النصارى. والقاضي عبد الجبار المعتزلي له كتاب "دلائل الإعجاز في القرآن الكريم"، وهذا كتاب معتمد، يعني كل من يتكلم في القرآن الكريم وإعجاز القرآن الكريم يرجع لكتاب عبد القاهر الجرجاني وكتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي.

خلاصة القول أن "الحكمة ضالة المؤمن أتى وجردها فهو أحق بها وأولى" انتهى، وحديث النبي ﷺ صريح "صدقك وهو كذوب" وهذا مع الشيطان، فكيف بشخص زل في أصل من الأصول وأنا أعرف موطن الزلل، إذن أنتفع بما عنده من علم.

ولكن قد يأتي أحدهم ويقول: إن ما عنده من الصحيح موجود عند غيره (لذلك لن آخذ العلم منه)! أنا شخصياً في الحقيقة لا أميل إلى هذا القول لماذا؟ لأن الله ﷻ قسم العقول كالمال فلا يستوي فيها الجميع، وكل واحد عنده من الخير ما لا يوجد عند غيره، فربما أحدهم يفتح لي باب لا أجده عند غيره. حتى هذه الأكاديمية، وهي قد أسست أصلاً للعمل بمقارنة الأديان، فهل نقرأ في التوراة والإنجيل ولا نقرأ لشخص ضل في أصل من أصول الدين، يعني هل هذا يعقل؟.

إذن، إذا كنت تقرأ وأنت على علم بمواطن الخلل والزلل فليس هناك مانع من أن تأخذ من الآخرين، والمسألة هذه ربما تحتاج لمزيد سرد من أقوال العلماء في هذا الباب، لا سيما الإمام الذهبي فقد ذكر كثيراً من التعليقات بهذا الشأن، كما فعل الإمام ابن القيم رحمه الله، وسيدنا سعيد بن المسيب يقول: "ليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا وفيه عيب، لا بد" انتهى، هناك أناس كالطود الشامخ لهم زلات كبيرة، وهذا معروف عند طلبة العلم، فكل عالم من العلماء له زلة، زلة كبيرة جداً، ولكن "من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله" أي العامل هنا الكثرة، لكن إذا كان شخص الحسن عنده قليل فهذا أتركه جملة. وبالنهاية "القول المشهورة الصحيحة جوازه لكامل القريحة" انتهى، أي إذا كان الإنسان عقله موزون ويستطيع أن يميز، فلا مانع أن يأخذ ممن زل، لكن من لا يستطيع التمييز فلا أحبذ طبعاً أن يقرأ لمن زل حتى لا يتأثر به.

• مداخلة الدكتور أمير عبدالله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فضيلة الدكتور محمد جزاكم الله عنا كل خير، المحاضرة ممتعة ورائعة وبارك الله فيك وحفظك، ونحن نستمتع ونطرب من العلم والأداء والمعلومة فبارك الله فيك.

وطبعاً أنا أتمنى من كل الإخوة والأخوات والآباء والأبناء الحضور أن يبذلوا الجهد في دراسة هذه المحاضرة ويخرجوا ما فيها من جواهر مفيدة، ودائماً وأبداً ستجدون أن الشيخ يتحدث في نقطة، فتستشعر أن العلم أو أدب الطلب ما هو إلا هذه النقطة، وبعدها يحدثك في نقطة أخرى فتستشعر أن أدب الطلب ما هو إلا تلك النقطة، فدورك أن تأخذ كل هذه النقاط وتفقهها، وبعد ذلك تجمعها كلها مع بعضها لتظهر وتكمل الصورة لك.

وما قاله الشيخ بخصوص مسألة الأخذ عن عالم زل أو مخالف في العقيدة فهذا من العدالة ومن الإنصاف، وهذا لا يختلف عليه أحد، لكن أحياناً شيخك أو من تتعلم على يده ينصحك مثلاً أن لا تقرأ في هذه الكتب الآن أو لا تبدأ بهذه الكتب، لكن لا يعني ذلك أنه يقول لك أن تظل تمشي وتقول لعنة الله على هذا الإنسان (مؤلف الكتاب)، بل هو يقول أنه لا بد أن تأخذ العلم والعقيدة والأصول حتى تثبت فيها وترسخ قدمك، وبعد ذلك عندما يفتح الله عليك بالقدرة على أن تميز الصواب من الخطأ، والقدرة على أن تميز بالدليل أين أخطأ العالم وبماذا وأين لم يخطيء، وقتها يفتح الله عليك وتأخذ من الجميع.

فكل واحد ستأخذ منه خير، ستأخذ منه النقطة الصواب التي ذكرها، ولكن في البدايات لا يصح أن تقرأ في الكتب التي قد تنزل بها قدمك، وأنت ليس لديك أساس في العقيدة، أو في المصطلح، وليس لديك أصلاً شيئاً في علم الآلة، لكن بعدما تتمكن تستطيع أن تقرأ في مثل هذه الكتب بل يجب أن تقرأ فيها، وتأخذ من كل من خالفك الخير الذي عنده، والنقطة التي خالف فيها رحمه الله تبعدها، وابتعد دائماً عن الناس الذين ليس عندهم إلا يمين أو شمال؛ أي أن الذي يخالفهم إما كافر أو عليه لعنة الله، فهذا كلام غير مقبول؛ كل واحد هو تحت رحمة الله ﷻ، كل واحد أخطأ وهناك أناس ضلوا في طريقهم، لكن هل كانت حياتهم كلها ضلالاً؟ هل في حياتهم كلها لم يعملوا شيء لوجه الله؟ هل وهل وهل، تساؤلات كثيرة جداً، فالذي يكتمل عقله ويكتمل فهمه ويكتمل إدراكه، سيعرف بعد ذلك أن يميز ويكون عنده عدالة وإنصاف، والإنصاف دائماً عزيز، والإنصاف له معنى علمي ومعنى خُلقي، وهذا المعنى العلمي والخلقي يجب أن تتبناه أنت كطالب علم، فلا بد أن تفرّق بين مقام ومقام، مقام متى لا آخذ من هذا العالم ومتى آخذ منه، فكلام العالم صواب عندما يقول لك لا تقرأ هذه الكتب؛ لأنك لازلت لم تُعدّ إعداداً جيداً، إنما بعد ذلك عندما تصبح عالماً وعندك القدرة (على التمييز) ستقرأ بلا بخس ولا تحيز ولا محاباة، وستأخذ وتردّ فكلُّ يؤخذ منه ويُرد.

ربنا يفتح علينا جميعاً ويرحمنا؛ لأنه لا يوجد إنسان ولا يوجد عالم ولا يوجد شيخ إلا وله خطأ، وله من الله ما ستره الله عليه، فيجب على كل واحد فينا أن يركز في هذا، ويركز في تركية نفسه كما قال الشيخ، ركّز أنت على نفسك ودعك من أخطاء الآخرين، وخذ منهم خيرهم واترك خطأهم، هذا لا يعني أنني أقول لا تحذّر من الخطأ، حذّر من الخطأ إذا أردت ولكن بعدل، لماذا؟ لأنه لا يوجد شيء اسمه انزع من عليه المشيخة، أو انزع عنه عبادة العلم لأنه أخطأ، ولكن قل أخطأ رحمه الله في كذا، كما في المثال الذي طرحه الشيخ المحاضر منذ قليل الخاص بأبان بن تغلب وأن الذهبي قال عنه أنه شيعي جلد، ولكنه صدوق ومن رجال البخاري، انظر! البخاري أخذ من شيعي جلد في الرواية عن رسول الله ﷺ لماذا؟ لأنه ثبت له صدقه. فخذ منه الصدق واترك بدعته. أنقول أنه على بدعة؟ نعم، هو كان على بدعة كذا وكذا، ويُذكر أنه على بدعة كذا وكذا، ولا يؤخذ منه هذا في العقيدة وإنما في الرواية عن رسول الله ﷺ. فتأخذ العلم الذي يفيدك وتترك ما لا يفيدك أو ما يخالف عقيدتك، أو ما يخالف ما تعلمت وتأصلت عليه، لكن لا بد من أن يكون الميزان دائماً موجود معك في كل خطوة تسلكها في سبيل العلم أو في طلب العلم.

• تعليق الدكتور محمد حسني عمران (المحاضر)

وهذا منهج قرآني؛ فالقرآن أنصف مع المخالفين من اليهود: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدَيْنِهِ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]، وربنا سبحانه وتعالى عندما يستثني دائماً يقول أكثرهم، حتى عندما يعرض لقضية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]، وهي قضية خروج عن الأدب في حق رسول الله، قال سبحانه وتعالى "أكثرهم لا يعقلون" ولم يقل كلهم. إذاً، هذه الاستثناءات لا بد أن تكون موجودة عندنا في طلب العلم.

وأنا في الحقيقة أشكر لفضيلة الدكتور أمير رحابة فكره، وأضيف أنّ كثير من الناس الذين يستخدمون الفيس بوك يأخذون دينهم من الشبهات، وهذا خطأ، تعلم دينك الأول، وهذا ما يسمى بالبناء، وبعد هذا لن يضررك أن تقرأ في الشبهات، فطالما أكتمل البناء إن شاء الله لا يُخشى عليك.

سؤال ١٤: أجد صعوبة المادة، فكيف أذاكرها؟

جواب ١٤: الحقيقة أن الاهتمام بالمادة ليس من قبيل الامتحان فقط، فهي مادة عملية أكثر منها نظرية ونعيد النظر إن شاء الله في مسألة طريقة الأسئلة لأن البعض وجد صعوبة، فأنا لم أقل لأحد أن يحفظ هذه المقولات وإنما يفهم المضمون.

لو أن أحد قرأ بالتركيز سيميز بين أقوال العلماء أي يجد نفس (فكر) الإمام ابن القيم في المقولة، أو ابن حزم أو ابن الجوزي، سيعتاد مجرد الإحساس فقط أن هذه الكلمات تنسب لفلان، وهذه تنسب لفلان وهذه لا سيما إذا اعتاد الإنسان القراءة بتركيز فالمسألة ليست بالصعبة.

أوصيكم بالاستمرار، وبحرصكم على الطلب ستصلوا.

أن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت إنه سيكون بدرًا كاملاً

وفي النهاية ستحمد هذه المتاعب هذا المشاق، ويكون لك أثر نافع على الأقل على مستوى الأسرة وهذا أقل القليل وختاماً:

تلك أثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الأثار.

فلا يغادرنكم عن طلب العلم، مانع ولا صارف حتى لو الإنسان قصر يوماً أو أياماً في برنامج علمي ينبغي عليه أن يستمر في الطلب وكما قلنا: من سار على الدرب وصل. ولا تقول ما ترك الأول للآخر، ولكن قل كم ترك الأول للآخر.

الله عز وجل يختص برحمته من يشاء، فمسألة المادة ليست صعبة فالكثير من النساء كن عاليات الهمة والإمام ابن الجوزي يقول: "ولو أمكنك عبور كل أحد من السلف أو من العلماء فهم كانوا رجالاً وأنت رجل" ^{١٨٦}

والكلمة الرجال تقال للتغليب هذا أمر، الأمر الثاني أن كلمة رجل أو رجال تطلق على الصفة وليس على الموصوف فأنا أقول من النساء رجال

فالرجولة صفة (الرجولة لا تعني الذكور، فهناك فرق وفي الجنس يقال ذكر وأنثى)، وإنما الرجولة الصفة ولذلك في حديث يقال أن عائشة (كَانَتْ رَجُلَةً الرَّأْيِ) ^{١٨٧} باعتبار الرجولة الصفة.

وإن شاء الله سنذكر الكثير، نورد جانباً للأخوات، أمثال عائشة، والسيدة أسماء، والسيدة نفيسة، والسيدة كريمة، وسارة بنت تاج الدين السبكي وراويات الأحاديث من الصحابيات والفقهاء والشعراء وغيرهم كثير جداً طلباً للعلم، وبنت سعيد بن أبي معير حين تزوجت ابن أبي وداعة وكان ذاهباً، فقالت: إلى أين ذاهب الليلة؟

قال: إلى أبيك سعيد، قالت: اجلس أعلمك علم سعيد ^{١٨٨} هي بنت سعيد وكانت عالمة. مقولة الرجال قوامون عن النساء، ذكر أحد الحاضرين الرجال قوامون عن النساء والاجابة كانت ما علاقة الرجال قوامون على النساء بهذا، هذا استدلال في غير موضعه، القوامة في مسألة الزوجية لكن لدينا مفاهيم خاطئة كثيرة جداً.

أحد العلماء يعلق على خطبة الروميساء لأبي طلحة حين خطبها أبو طلحة الأنصاري قالت له: والله ما بك عيب ولكنك مشرك وأنا مسلمة، فإن تسلم فذاك مهري.

همة عالية تطلب بها السيدة أم سليم الروميساء أن يدخل بالإسلام، لم تقل له أنت قليل المال، أو قليل الجمال أو القليل المنصب والوظيفة وكذا إنما قالت: أن تسلم فذاك مهري فأحد العلماء يعلق ويقول: أن تكون النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال.

فما التأييث لاسم الشمس عيباً ولا التذكير فخر للهلال

العبرة ليست بالأنوثة ولا بالذكورة، بل بالعكس أحياناً المرأة تكون في هذا الباب أفضل من الرجل، إذا كانت عالية الهمة، فعلو الهمة هذا له جوانب كثيرة فهناك علو الهمة في الصلاة وفي الزكاة وفي الحج وفي الصيام وفي قيام الليل وطلب العلم وفي الدعوة الى الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أشياء كثيرة جداً.

^{١٨٦} سلسلة علو الهمة - محمد بن اسماعيل المقدم - (٤/٣)

^{١٨٧} رواه إبراهيم الحربي في "غريب الحديث" ٢ / ٤١٦ من حديث عمر بن عبد العزيز مقطوعاً

^{١٨٨} المدخل لأبن الحاج - ابن الحاج - (٢١٥/١)

(السيدة أسماء بنت يزيد الأنصارية تدخل على النبي ﷺ، وتقول له: أن الله بعثك بالحق للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك وإنا معاشر النساء مختارات، قواعد بيوت، ومواقع شهوات الرجال، وأن الرجال فضلوا علينا بشهود الجناز والصلاة في جماعة والجهاد في سبيل الله، النبي ﷺ توقف عند مقولة المرأة وهي تقول أسنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟، النبي ﷺ إلتفت الى الصحابة وقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه؟ قال انصرفي وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن اتباع احداكن لزوجها طلباً لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل ما ذكرت)^{١٨٩} أنت تبتغين أجرا، لك مسألة أخرى تبتغين منها الأجر غير حضور الجنازة والجهاد في سبيل الله، ومع ذلك:

فكم حضرن جماعات وكم جُمع، وما منعن شهود العييد والخُطب، وكم حضرن مع الأبطال معركة لخدمة الجيش في اللُواء والنَّصَب، وكم لأم سليم أو نسيبة من معارك، فاسألوا تاريخكم يُجب، وكم شهدن جموع حج بيت الله بوجه غير منتقب، وقد عَجَّ التاريخ في السيرة والتطبيقات العملية للصحابة، أن المرأة كانت تسأل، وهذا السؤال يمثل بذاته مفتاح طلب العلم، فعن أم سلمة (أن امرأة قالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟)^{١٩٠} والسيدة عائشة كانت تزكي نساء الأنصار في التزامهن قائلة: (نِعَمَ النساءُ نساءَ الأنصارِ لم يكنْ يَمْنَعُهُنَّ الحياءُ أن يسألنَّ عن الدينِ وأن يتفَقَّهنَّ فيه)^{١٩١}، فمسألة طلب العلم كانت عند الصحابيات كثيرة جداً وكانت أمام الرجال وكن يحضرن مع الصحابة ﷺ.

سؤال ١٥: هل تلتزم المرأة وخدمة زوجي أو أقوم بطلب العلم؟

جواب ١٥: أنا أقول أن هذا لا يعرف المفاصلة، إنما يحتاج إلى موازنة، فقد ترضي المرأة زوجها وتغضب ربه، مهما كانت حريصة على رضاه أي الزوج ولن يرضى، لأنها مقصرة في العبادات، فالله يجعل زوجها غير راضٍ عنها لتقصيرها في الطلب، لا يجعل العبادة هو حق الزوج في الموازنة، من ناحية هي عابدة زاهدة لكنها من ناحية أخرى مهملة في زينتها، وزوجها يتطلع للأخريات، أو طالبة للعلم مجتهدة ولكنها مقصرة في حق زوجها، فالذي أحاول قوله أن شخصية المرأة يجب أن تكون متوازنة، المرأة مع ربه، في نفسها، في طلبها للعلم، وفي خدمة مجتمعها، في اعتناها بأقاربها وصلته رحمة.

^{١٨٩} شرح سنن أبي داود - ابن رسلان - (١٦/١٣٥) - صحيح
^{١٩٠} الراوي : أم سلمة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم | 197 : خلاصة حكم المحدث : صحيح
^{١٩١} الراوي : عائشة أم المؤمنين | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود | الصفحة أو الرقم | 316 : خلاصة حكم المحدث : حسن

هنالك جوانب متعددة: فلا بد للمرأة أن تقوم بالموازنة في كل باب من الأبواب، تحاول أن لا يأتي جانب على آخر، وهذا كله لن يكون إلا إذا حاولت أن لا تتأخر عن شيء حضر وقته، إذا كان الزوج حاضراً فهذا حق الزوج، وإذا حضرت العبادة فهذا حق العبادة، إذا حضر العلم إذا هذا حقه، فالمسألة ليست مفاصلة أو مقابلة، إنما المسألة تحتاج إلى مواصلة.

سؤال ١٦: ماذا تقول في كثرة الفتن وقلة الصحبة الصالحة والمجالس؟

جواب ١٦: لا بد من مرجع يُرجع إليه، لأن قراءة الكتب أو الدروس وحدها لا تُسعف، ومن الممكن أن تُقرأ خطأً فكما قيل "من كان شيخه كتابه غلب خطأه صوابه"^{١٩٢} لذلك، الإمام الذهبي قال: الكلمة التي ذكرناها من قبل: "العلم في بطون الكتب ولكن ظلت مفاتيحه بيد الرجال"، والعلماء يذكرون أشياء تصل إلى حد العجب، أن كثيراً من الناس يقرأون ولا يفهمون ويفسرون الأشياء بغير ما أُريدت لهم، لكن الدروس موجودة على الإنترنت فبإمكانهم سماع درس يشحن همتهم.

أما بخصوص المادة وصعوبتها، فهي حقا ليست صعبة، فلا يجب أن تُؤخذ على أنها مسألة امتحان ورسوب، هذا منهج حياة، فإذا تم المدارس بتركيز، تمكن الطالب من الإجابة على أي سؤال، لذا لا جدوى من أن تتشغل النفوس بالامتحان وليكن الهُمُّ أعلى من هذا.

سؤال ١٧: الأوضاع الآن تتطلب أن نجهز أنفسنا ونعمل من أجل الزواج، هل نترك الزواج ونطلب العلم؟

جواب ١٧: النبي ﷺ قال: (النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني)^{١٩٣} وإن كان هناك العُزَّاب من العلماء الذين آثروا العلم على الزواج ومنهم الإمام النووي رحمته الله وابن تيمية رحمته الله وغيرهم كثير، لكن في زمن الفتن، الإنسان أحوج للزواج، إذن كيف يوازن؟

هي لدينا مسألة بركة، فطلب التوفيق من الله وطلب العون منه، أنت بنفسك لن تصل، فأنت ضعيف ووقتك لا يكفي وهمتك لا تكفي، ومالك لا يكفي، وجسدك لن يستطيع، فينبغي عليك أن تستعين بالله في المقام الأول

١٩٢ فتاوي الشبكة الإسلامية – (٦١١٨/٩)

أرواه ابن ماجه (١٨٤٦) قال ابن حجر في التلخيص (٣/ ٢٥٣) في إسناده عيسى بن ميمون وهو ضعيف وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف عيسى بن ميمون المدني لكن له شاهد صحيح وقال الألباني حسن

المسألة الثانية: كثير من العلماء كانوا أصحاب حرفة، مثل: القفال الشاشي، وهو من أئمة الفقهاء الكبار، وقيل عنه أنه صنع أصغر قفل يزن أربعة دوانق، وكان آية في الذكاء، طلب العلم وعمره ثلاثون عامًا، وكان ماهرًا جدا في صناعة الأقفال.

كان كثير من العلماء يُلقبون بحرفتهم، مثل: اليزي نسبة إلى البراء، والجصاص نسبة إلى الجص، والأجوري نسبة إلى صناعة الأجر (قوالب الطين)، وغيرهم كثيرون اشتغلوا بالخياطة، فالحرفة ليست مانعًا من العلم.

ويحكى أنه كان هناك صاحب دكان في الدولة الأيوبية، واجتهد في طلب العلم، إلى أن صار مقامه عظيمًا بين الناس، حتى أنهم كانوا يتركون مفتي البلاد ويذهبون إليه عند دكانه ليستفتونه.

فالمسألة مسألة تنظيم، فلا يجب أن تستصعب هذا الأمر.

اليوم شيءٌ وغداً مثله من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمةً وإنما السيل اجتماع النقط^{١٩٤}

فالإنسان ربما يريد أن يجمع العلم مرة واحدة، وهذا لا يكون، وإنما: "اليوم شيءٌ وغداً مثله"

فحاول أن تجمع بعض المسائل إلى أن يبسر الله لك، وإن صدقت نيتك فسيفرغك الله ويأتيك الرزق من حيث لا تحتسب، بل ربما يكون مجال عملك فيما بعد مجالًا تتعلم فيه.

وأحكي لكم شيئًا حدث معي هنا في السنغال، قابلني رجل اسمه أبو بكر، فقال لي (من ظاهري) أنت مسلم عربي، فقال لي: أنا أبو بكر من فرنسا، فسألته: ماذا تعمل في فرنسا، قال: إمام مسجد، فسألته: على ماذا حصلت من شهادات العلم؟ فقال أنه كان يعمل رافعًا (في مواد البناء)، ثم حفظ بعض القرآن وذهب لشيخٍ فقال لي أن أعتني بحفظ القرآن، فحفظت على يديه وأجازني، ثم فوضني أن أكون إمامًا للناس في المسجد، وكنت لا أعرف إلا الإمامة، ثم بدأت أطلب العلم وأعطي دروسًا للأطفال الصغار، وهو الآن يعمل في مركز إسلامي في فرنسا.

وأعرف طبيبًا ترك الطب واشتغل بعلم القراءات، وقال له الشيخ أيمن: أن الطب له رجال كثر، وأنت بارز في مجال القراءات، وصار يجوب الدول ليعطي محاضرات.

الشاهد: أن الأمر في الصدق، فمن صدق الله، صدقه الله، وأيضاً يحتاج الطالب إلى موازنة وخطة منهجية، فالأمر تراكمي لا يأتي فجأة.

سؤال ١٨: ما المقصود بأن تقدم المرأة ثلاثة من ولدها؟

الإجابة ١٨: أي يموت لها ثلاثة من الولد، أو يموت لها اثنان و في رواية أخرى حتى لو مات واحد، وتصير على هذا البلاء، فالولد هو فلذة الكبد وثمره الفؤاد و المصاب فيه جلل، فمن مات لها ثلاثة، ومن مات لها اثنان، و من مات لها واحد إن شاء الله يأجرها الله عليهم و يجازيها خير جزاء.

سؤال ١٩: حول تشريك النية

جواب ١٩: مسألة تشريك النية، أي أن أعمل عملاً واحداً بأكثر من نية: في الفرض قول واحد لا يصح، فمثلاً أنا سأصلي الظهر فهو فرض واجب مضيق عليه فقط، فلا يمكن أن تشرك مع نية الصلاة نية أخرى، فلا يجوز أن أصلي الظهر وأشرك معه نية صلاة العصر أو المغرب، أما في النفل فيجوز أن تشرك أكثر من نية: فمثلاً أنا سأصلي ركعتين تحية للمسجد و أضيف معهما نية الاعتكاف، ونية قضاء حاجة، ونية الاستخارة، ونية العصمة من الذنوب (باعتبار وقت الصلاة نفسه)، كذلك النموذج الذي معنا في طلب العلم: فنيتي أرفع الجهل عن نفسي، أعلم غيري، أعلم أولادي، أقتدي بالرسول ﷺ و بالسلف الصالح، الكثير من النيات يمكن أن تستحضرها في هذا الجزء: فتشريك النية هو جعل نيات كثيرة في عمل واحد وهو جائز في النافلة وليس الفرض.

سؤال ٢٠: هل يجوز صيام ٦ أيام من شوال بنية قضاء أيام رمضان؟

جواب ٢٠: لا يجوز هنا تشريك النية: فالقضاء واجب و صيام ٦ أيام من شوال سنة، وحتى من أجاز ذلك (مع أني لا أعلم له وجهاً) قال أنه من فضل الله أنه يحتسبها، فالله ﷻ يحتسبها قضاءً و باعتبار أنك صمت في شوال يحتسبها أيضاً صيام ٦ أيام من شوال وهذا الكلام لا أصل له، و إن كان فضل الله واسعاً ولا حرج عليه، لكن هذا واجب وهذا سنة.

سؤال ٢١: هل يجوز إشراك النية في الصدقة؟

جواب ٢١: نعم فالصدقة لها نيات كثيرة جداً، نية الشفاء، نية صلاح الولد، نية جبر خاطر، نية العطف، نية تفريج الكرب، نية الإعانة وغيرها، فقل فيها ما شئت.

سؤال ٢٢: لو أشركت نية فرض و نافلة معا أيهما تقبل الفرض أم النافلة؟

جواب ٢٢: مبلغ علمي أنها تحسب نافلة لأن الفرض لا يقبل معه غيره.

سؤال ٢٣: لو أشركت النية بأداء فرض و نافلة، فأى منهما ستقبل؟

جواب ٢٣: والله مبلغ علمي أنها تحسب نافلة لأن الفرض لا يقبل معه غيره.

سؤال ٢٤: هل الأولى هو طاعة الوالدين في ترك العلم والتفرغ لكسب المال، أم السعي لطلب العلم أولى؟

جواب ٢٤: توجد قاعدة عند العلماء تقول "الجمع أولى من الترجيح ولا يلجأ إلى الترجيح إلا إذا تعذر الجمع" انتهى، فالذي يستطيع أن تكون له جرفة ويكسب المال ويطلب العلم في نفس الوقت حتى لو كان قليلاً فهذا أفضل بكثير.

سؤال ٢٥: هل خروج المرأة من بيتها للعمل أو لطلب العلم لا يصلح، لأنه سمعت البعض يقول أنه فتنه فهل ينفع أو لا؟

جواب ٢٥: طبعًا هذا كلام باطل لأن الصحابيَّات كنَّ يخرجن للصلاة ولمجالس العلم وللأسواق وهذا شهده النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فالخلاف ليس في مسألة خروجها إطلاقًا إنما الخلاف في كيفية خروجها طالما بالضوابط الشرعية والفقهية وثياب غير فاتنة، وغير متبرجة هذا لا حرج فيه ولا نعلم في هذا خلاف.

سؤال ٢٦: حول كتاب (الماجريات)

جواب ٢٦: بالطبع هو كتاب ماتع للدكتور السكران فك الله أسره، وهذا خسر فيه طلبة العلم كثيرًا وهو الإنشغال بما جرى أي بما يجري على الساحة وهو بالتالي يبدأ بنسيان العلم ولا هو قدم للأمة في هذا خير ولا في ذلك خير فلا ينبغي أن يلتفت طالب العلم ولا ينبغي أن يكون إمعة وينساق مع الناس ويؤثرون عليه.

ومن لم يقرأ كتاب (الماجريات) فليقرأه، فهو كتاب شيق جدًّا، وكل كتب د. إبراهيم السكران شيقة، مثل: (المسلكيات)، و(الماجريات)، و(الطريق إلى القرآن)، و(رفائق القرآن)، و(التأويل الحداثي للتراث)، و(مآلات الخطاب المدني)

سؤال ٢٧: حل الوسوس التي تراود الشخص في طلب العلم من خوفٍ من التقصير في العمل وأن يزيد التكليف عليه بزيادة العلم

جواب ٢٧: هذا من تلبس إبليس؛ لأن ما يدُك على العمل هو العلم، فأنت تأخذ العلم:

• **رواية:** حدثني فلان عن فلان، وقال لنا الشيخ؛

• **دراية:** أن تفهم ما تحمله؛ لأن آفة العلم عدم الفهم؛

• **رعاية:** أن تبدأ في التطبيق على قدر الإمكان.

فتبلغ القصد، فإن هذا الدين متين (ولن يُشاد الدين إلا غلبه، فسددوا وقاربوا)، فابدأ بتطبيق شيء مما تعلمت كل يوم، "إن المُنبَتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى"، وهذا المثل كان يضربه العلماء، معناه: إذا كان رجل معه دابة في الصحراء، وظل يضرب الدابة فأنهكها من التعب؛ فماتت، فلا هو وصل إلى المكان الذي بيتغيه، ولم يبق له ظهر دابة ليركب عليه، فهذا هو "المُنبتَّ" المتشدد .

فمن آفات الإنسان الذي تجعله يبئد ويكسل ويفتر أن يكون حماسياً عاطفياً، يريد أن يقرأ في يومه خمسة أو ستة كتب، فيظل سنتين لا يمسه كتاباً، فهذا لا يجب، بل اقرأ صفحة، فالديمومة والإستمرار والمواظبة هي الأساس لقطع هذه الوسوس، ولا تشق على نفسك، فمثلاً إذا وجدت مسألة لا تفهمها اليوم، فأعط نفسك فرصة، كان العلماء يرصدون لأوقات الملل -فهم كانوا بشرًا يملّون- الطرائف والمُحج، فاحمل معك كتاباً تحبه أو رواية هادفة، أو كتاباً للشعر، أو كتاباً ليس مقررًا بشكل إلزامي ولكنك تميل إليه، فإذا مللت تُغلق الكتاب، فالنبي ﷺ قال: (اقرأ القرآن ما انتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه)^{١٩٥}

وإن القلوب إذا كلت عميت، فالقلوب تكَلّ فهذه طبيعة النفس أنها تفتن، فالإنسان يسوق نفسه إلى الله وهي تبكي فتسوقك إلى الله وهي تضحك "مازلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها إليه وهي تضحك" انتهى^{١٩٦}

سؤال ٢٨: كل سؤال يقصد به تصنيف المعلم يعتبر سؤالاً مكروهاً، لكن هل يبقى مكروهاً إن كان القصد من السؤال حتى أعلم هل أطلب عنه العلم أم لا؟

جواب ٢٨: إذا كان في الأصول وأنت مازلت مبتدئاً فأجتنب أهل الهوى، وهذا أشرت إليه مسبقاً، نحن نتكلم عن مسائل الخلاف فيها سائد ومعتبر،

وليس كل خلافٍ جاء مُعْتَبَرًا إلا خلافٌ له حظٌ من النظر

يعنى طالماً أن الخلاف معتبر وفي دائرة أهل السنة ولا يضر بالمسألة المعتقد، مثال شخص عنده مخالفات وأنا أخذ منه الفقه أو الحديث، أشرنا إلى هذا الكلام عندما ذكرنا أن الإمام البخاري ﷺ روى عن الخوارج وروي عن العلماء الشيعة وغيرهم، فهذه المسألة أن تعلم أن هذا صاحب هوى أو غيره فهو مطلوب طبعاً لاسيما إذا كنت في البداية، لكن إن كنت طالب علم متميز أو مميز وعندك سعة اطلاع تستطيع أن تخرج بعض الهفوات أو دس السم في العسل كما يقولون فلا بأس أن تقرأ في كتب المخالفين كما نقرأ نحن كما قلنا في المناظرات المعدة للحوار مع الآخر ومن ليس على دينك أصلاً، فإن كنت على دراية بمذهب المعتزلة، فلك أن تقرأ (كتاب الكشاف) للزمخشري ﷺ، وهو في التفسير كتاب جيد. أو تقرأ (فتح القدير) للإمام الشوكاني ﷺ وهو شيعي زيدي، وهكذا... لكن لا يكن شغلك الشاغل أن تصنف هذا وتصنف هذا، فهذا مرض نفسي، أن يدخل الإنسان في العلم بأعبائه النفسية، كما قال الإمام الذهبي ﷺ "من يسلم لك؟"، ستجد أنك تصنف الجميع، مثل علماء الجرح

^{١٩٥} رواه البخاري ومسلم
^{١٩٦} أبو يزيد البسطامي

والتعديل الآن، قد انشغلوا بتجريح علماء الأمة جميعاً، أما أن تسأل بهدف معرفة المذهب أو الفرقة وكذا وتأخذ عنه، هذا جائز ولا بأس بذلك إن شاء الله ﷻ.

سؤال ٢٩: هل شروحات الشيوخ للكتب تقوم مقام الشيخ؟

جواب ٩٢: لا، لا تقوم مقام الشيخ، إذ ربما تقرأ الشرح خطأ، أو ربما تفهم عَوْد الضمير خطأ، كما فصلنا كلمة للإمام: "فتستزيد ثالثةً ورابعةً"، ما الثالثة؟ أين الثالثة؟ وأين الثانية؟ الإمام شرح هذا الكلام، وربما تحرف كلام الشيخ نفسه أو تقع في أخطاء في اللغة، أو المعنى، أو عَوْد الضمير، أو أصلاً كُتِبَ خطأً مثل الأخطاء المطبعية، فمن يبين لك هذا ويقول لك صحح هذا إلا الشيخ نفسه؟!

يقول الإمام الذهبي رحمته الله: "لم يقل أحد من أهل العلم أنه يجوز أخذ العلم من الكتب إلا واحداً، -طبيب اسمه ابن رضوان المصري-، قال: وألف كتاباً فيه أغاليط." انتهى، يعني هو نفسه الذي شذ عن منهج العلماء في القول بالأخذ من الكتب، كتابه الذي ألفه مليء بالأغاليط. فهذا دأب من خالف منهج الأمة.

سؤال ٣٠: دكتورنا العزيز كما نعلم أن العلامة الشيخ الألباني رحمته الله ليس له شيخ ونهل علمه من الكتب ومع ذلك فهو عَلم من أعلام وأئمة الحديث:

جواب ٣٠: هو عَلمٌ فيما وافق فيه علماء الأمة، والإمام الألباني رحمته الله يُسأل عنه أهل الحديث المنصفين، وثمة أشياء تؤخذ عليه أيضاً، فهذه ليست القاعدة، ليس كل الناس يكونون مثل الإمام الألباني رحمته الله.

سؤال ٣١: كيف نجمع بين علو الهمة والتأني بطلب العلم؟

جواب ٣١: لا تعارض بينهما، بل إن علو الهمة يحتاج إلى التأني في الطلب؛ لأن العجلة والسرعة تكون سبباً في فتور الهمة، "ما أتى سهلاً ذهب سهلاً" كما يقال: "ومن رام العلم جُملة فاته جُملة"، فعندما يكون عندك حماسة عالية جداً، وتعرض للكتب جُملة قد يكون هذا سبباً من أسباب فتور الهمة، ولذلك التأني في الطلب والأخذ

بالمسألة والمسألين يؤدي إلى تراكم معرفي بعد فترة من الفترات إذا تعرّض جانب من العلوم ورأى أنّه أحاط، هذا يكون سبباً للبناء المعرفي.

سؤال ٣٢: كيف نتعايش مع المثبتين إذا كانوا أقرب المقرّبين منا؟ وكيف نرفع همّتنا إذا كان كلّ من حولنا يُحبط ويُحطّم همّتنا؟

جواب ٣٢: أنا دائماً أقول اجعل لك نافذة من الأصدقاء المخلصين الحريصين على طلب العلم، كلّما تفقّر الهمة أو تجد تثبيطاً افتح لك نافذة، صوّب اتّجاهك نحو الهدف: يعني أن تجعل لنفسك هدفاً، وكُن أنت المؤثّر ولا تتأثّر، ثمّ هاتف أحد الطلبة أو الأصدقاء الحريصين على طلب العلم، -في مرحلة الدكتوراه والماجستير كنت لما أفترّ أحادث أصدقائي الباحثين، فبعد أن أغلق الهاتف أجد بأنّ الهمة عندي عادت مرّة أخرى-

بالتالي فإنّ الشخص الذي لا علاقة له بالعلم سيُثبّطك لأنّه يرى أنّك تفعل شيئاً يُخالف هدفه، فهو يميل للراحة وللإجتماعات وللكلام في غير العلم... وأنا أراك مجتهداً.

بالتالي إمّا أن يؤثّر عليك فينتصر، وإمّا أن تنتصر أنت عليه، والذي يجعلك تنتصر هو الثبات على الهدف، وأنّ تسأل الله ﷻ العون، والمحاذثة مع المجتهدين والأصدقاء الباحثين أو طلبة العلم، فلا بدّ أن يكون عندك الهدف، لكن لو أنّه لا يوجد لديك هدف فأيّ كلام سيؤثّر فيك، وأنت لا ترضى لنفسك أن تكون تابعاً بل ينبغي أن تكون متبوعاً.

سؤال ٣٣: هل يُمكن أخذ العلم بالفهم فقط؟

جواب ٣٣: الفهم وحده لا يُغني؛ فكيف يُمكن أن تُعبّر باصطلاحات أهل العلم دون أن تحفظ جملاً من أقوالهم؟

فأنا لم أقف على أحد يقول بأنّ أخذ العلم يُمكن أن يكون بالفهم فقط، لأنّك تحتاج كثيراً إلى اصطلاحات أهل العلم والإستدلال بالمقولات والحُجج والأدلة، وهذا ميسور؛ فالشافعي ﷺ أعاد على الربيع بن سليمان ﷺ أربعين مرّة، معنى ذلك أنّ الربيع نفسه صَبّر على الطلب، والذي يكرّر العلم أكيد سيصير إماماً، فهي مسألة تحتاج إلى تكرار.

وانظر إلى العاقبة الجميلة، كما قال ابن الجوزي رحمته الله: "من لاح له فجر الأجر هان عليه ظلام التكاليف" انتهى، فيجب عليك أن تنتظر دائما للأجر وما تنتظره وما تطلبه.

سؤال ٣٤: هل من يدرس عن طريق الأنترنت الآن ويأخذ الإجازات عن بُعد مثل أكاديميتنا يُعتبر علمًا؟ أم يجب أن يحضر مباشرة في مجلس الشيخ ليصبح طالبًا؟

جواب ٣٤: نحن قلنا أنّ مثل هذه اللقاءات والفيديوهات الحية تُتيح للإنسان أن يفهم مُراد العالم ويعرف المصادر التي يذهب إليها، كما أنّ هناك شروحات كثيرة، وأعتقد أنّه من مئة الله رحمته الله علينا أنّ هذه اللقاءات تُقابل مسألة الأخذ عن الشيخ، مع الحرص أيضا على الإتصال بأهل العلم إذا أشكل على الإنسان شيء، بأن يكون له مرجع يرجع إليه.
